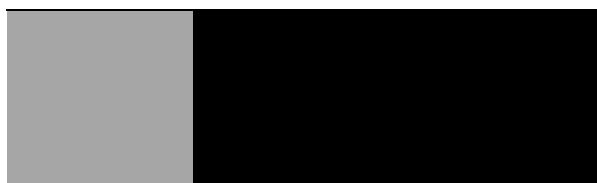


التفسير التحليلي للقرآن الكريم
الجزء الرابع عشر



التفسير التحليلي للقرآن الكريم

الجزء الرابع عشر

الأستاذ الدكتور
عبّاس عليّ الفحام

الطبعة الأولى / ٢٠٢٣م



مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع - نشر - توزيع



مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع - نشر - توزيع)

التفسير التحليلي للقرآن الكريم
الجزء الرابع عشر

اسم الكتاب:

الأستاذ الدكتور عباس علي الفحام

اسم المؤلف:

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣ م

I.S.B.N.978-9922-702-09-4

ردمك

الأولى / ٢٠٢٣ م

رقم الطبعة:

٢٤ × ١٧

القطع الطباعي

٣٣٧

عدد الصفحات:

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

العراق - بابل - الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما

هاتف: 009647801233129

E-mail: alssadiq@yahoo.com



﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة الشورى

مكية، وهي ثلاث وخمسون آية

افتتحت السورة بالوحي واختتمت به، في دلالة على أن غرضها يدور حول معانيه ففسرته وعرفت بآثاره، وعرضت أقسامه، والوحي تنزيل الله إلى أنبيائه، ولذا ارتبط بالشرع، فدعت الآيات إليه، ورغبت فيه بذكر صفات المؤمنين، وحذرت من الإعراض عنه فذكرت أحوال الكافرين.

والآيات متصلة المعاني، حتى موضوعات الخلق والرزق لها اتصال بموضوع الوحي وشرعة الدين، لأنها من شؤون ألوهيته تعالى واختصاص ربوبيته في الخلق والتدبير.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ ﴾

تقدم القول في نظائرها، وأنها من الحروف التي تتصل بنوع اتصال بمضامينها، يعرف كنهها الذي نزلت عليه، وفيها قال الإمام علي عليه السلام: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي. ذكر في المجمع. انتهى.

قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾

قوله (كذلك يوحى إليك) الخطاب للرسول ﷺ لتعريفه بالوحي، أي: كذلك الوحي في معاني هذه السورة يوحى إليك في سائر السور.

واسم الإشارة للبعيد لعلو المرتبة، والوحي مجاز من إنزال الآيات بواسطة الملك من الله، ومضارع الفعل لاستحضار الحكاية الماضية.

وقراءة الجمهور لفعل الوحي بكسر الحاء، وقرئ بفتح الحاء على ما لم يسم فاعله.

قوله (وإلى الذين من قبلك) أي: ويوحى إلى الرسل من قبلك، لأن دعوة الأنبياء إلى التوحيد والصلاح واحدة.

قوله (الله العزيز الحكيم) ارتفع لفظ الجلالة لأنه خرج مخرج الجواب التبيني لسؤال مما تقدم تقديره: من يوحى؟ فقيل: الله العزيز الحكيم.

والعزيز اسم دال على قوته تعالى التي لا تقهر، والحكيم دال على إتقانه فيما يصنع، وكلا الاسمين من أسمائه العلى مشعران بعلية وحيه.

قوله تعالى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾

قوله (له ما في السماوات وما في الأرض) الجملة موقعها الصفة الثالثة
لاسم الله، فهو سبحانه المالك لما أوجد من مملكته الواسعة في السموات
والأرض.

وتقدم الظرف (له) لإفادة الاختصاص، وتقديم السموات على الأرض،
لأنها الأوسع والأهم، وتكرار اسم الموصول للتأكيد.

قوله (وهو العلي العظيم) أي: وهو الله وحده الموصوف بعظم العلو وشدة
العظمة، فله الأمر والنهي وليس لعباده إلا الطاعة.

قوله تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴾

قوله (تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن) الكلام لتمثيل عظمة كلام الله
النازل بالوحي، وتجسيد ثقل معانيه، فتكاد تتشقق له السموات، وخص
بالذكر أعلاها لأنها معارض مرور الوحي، وطرائقه إلى الأرض،
والمعنى نظير قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله) [الحشر ٢١].

قوله (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) تسبيح الملائكة بمعنى تنزيه الله تعالى عما لا يليق بساحة قدسه، وشبه الجملة (بحمد ربهم) محلها الحال، أي: ملتبسين بحمد ربهم.

قوله (ويستغفرون لمن في الأرض) أي: ويسألون الله تسبيب الأسباب الداعية إلى مغفرة عباده في عالم التكليف، أي: تشريع الدين الذي يقرب إلى طاعة الله، ويستدعي صفحه.

قوله (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) جملة تقرير لما تقدمها، فذاته تعالى مقصورة في كثرة المغفرة والرحمة.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾

قوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي: المشركون، لأنهم من عدل عن ولاية الله إلى ولاية معبودات أخرى، وفصلوا بين الألوهية والربوبية، فزعموا أن الله أشرك آلهتهم بالتدبير، وهو ما يدل عليه لفظ الأولياء. والإتيان بجملة الموصول لتعليل ما بعده من تهديد ضمني.

قوله (الله حفيظ عليهم) أي: الله تعالى يحفظ عليهم شركهم وسيحاسبهم عليه، والجملة محلها الخبر لاسم الموصول.

قوله (وما أنت عليهم بوكيل) أي: لست مسؤولاً عن شركهم فلا تكثر لهم، فأنت أيها النبي ﷺ مبلغ لا ضامن لهم.

قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾

قوله (وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًا) لما عرف الله لنبيه الوحي في نفسه شرع يبين علة إرساله إليه، والتشبيه بمعنى: كذلك الإيحاء الذي عرفناه لك أوحينا إليك أيها النبي ﷺ كتابا سماويا مقروءا بلغة قومك.

قوله (لتنذر أم القرى ومن حولها) اللام لتعليل الوحي، أي: أن تخوف أهل مكة ومن جاورها من عرب البلاد القريبة من عاقبة الشرك بالله، وسميت مكة بأم القرى لأنها أصل القرى فهي أقدمها.

قوله (وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه) الواو لعطف العام على الخاص، قال السيد في الميزان: كأنه قيل: لتنذر الناس وتخوفهم من الله وخاصة من سخطه يوم الجمع. انتهى.

وسمي يوم القيامة بيوم الجمع، لأن الله يجمع فيه الخلائق جميعاً، قال تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) [التغابن ٩]، وقال عز وجل: (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) [الجن ٢٦]، وأكد وقوعه بنفي الجنس لإنكار المشركين له.

قوله (فريق في الجنة وفريق في السعير) تعليل لجمعهم، أي: لأنهم سيكونون فريقين، فريق سعيد يثيبهم بالجنة، وفريق شقي يعذبهم في سعير النار، والكلام نظير قوله تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس فمنهم شقي ومنهم سعيد) [هود ١٠٥].

قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

قوله (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) جملة الافتراض لبيان القدرة المطلقة لله، أي: ولو شاء الله لم يجعلهم فرقتين يوم القيامة، بل جعلهم فرقة واحدة في الدنيا يجمعهم على دين واحد، فلا إلزام عليه، ولكنه تعالى أجرى حكمته على أن يفرقهم بالوحي والنبوة ليكونوا يوم الجمع فرقتين سعيد وشقي، من دون أن ينقص ذلك شيئا من قدرته.

قوله (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) الاستدراك على جملة (لو) أي: لم تنشأ حكمته، فأدخل في رحمته من يشاء من عباده، وهي المشيئة التي أجراها على أساس المجازاة، فيتولاهم برحمته.

قوله (والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) وأما الظالمون فيكلهم الله إلى أنفسهم، ويخلي بينهم وبين شياطينهم، هم أولياؤهم يوم القيامة، وكفى بذلك خسرانا، والإتيان بلفظ الظالمين مشعر بعة المجازاة، وأنها من سوء اختيارهم، لا من جهته تعالى، والكلام كله تحذير لكفار مكة.

قوله تعالى ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٩﴾

قوله (أم اتخذوا من دونه أولياء) تسمى (ام) هنا منقطة وتفيد الإضراب بمعنى (بل)، أي: بل أأخذ المشركون من غير الله أولياء يعبدونهم، والاستفهام المقدر للإنكار.

قوله (فالله هو الولي) الفاء على تقدير شرط مقدر مفهوم من إبطال اتخاذ الولاية من دون الله، بمعنى: إن أردتم الولاية الحقّة فالله هو الولي.

والتصريح بلفظ الجلالة لقصر الولاية فيه، وهي ولاية الربوبية، وضمير الفصل للتأكيد، قصر ثان.

قوله (وهو يحيي الموتى) جملة تقرير، لأن من شؤون الألوهية إحياء الموتى للمعاد الذي ينكره الوثنيون.

قوله (وهو على كل شيء قدير) جملة العطف للتذكير بكمال القدرة الإلهية ومنها إحياء الموتى للبعث، ومقام الجمل في الآية صفات لله، وتعليل لإنكار اتخاذ الولاية من دونه تعالى، لأن الولاية الحقّة له وحده، بدليل إحيائه الموتى وقدرته على كل شيء.

قوله تعالى ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿١٠﴾

قوله (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) الكلام من تنمة الحج السابقة على الولاية الحقّة لله، وهو فصل القضاء إليه وحده فيما يختلف فيه الناس من تشريع وعقيدة أو في مطلق شؤون الحياة.

وقيل في تفسير الخطاب إنه للمؤمنين إذا اختلفوا مع أهل الكتاب والمشرّكين، أو هو للمؤمنين إذا تنازعوا في شيء من الأحكام، وما ذكرنا من تحليل أوفق للسياق.

و(ما) اسم شرط، والاختلاف تفرق الرأي، و(من) مزيدة لتأكيد عموم أي شيء، والحكم الفصل والقضاء، و(إلى) حرف غاية وانتهاء.

قوله (ذلكم الله ربّي) الكلام لحكاية قول الرسول في الإعلان عن ولايته لربه بعد تقديم الدلائل على ولايته، واسم الإشارة وضمير الجمع فيه للتعظيم، والتصريح باسم الله في موضع الإضمار للتأكيد، ولفظ الرب مسندا إلى ياء الرسول ﷺ، بمعنى تأكيد مربوبيته لله تعالى وإظهار الولاية له وحده.

قوله (عليه توكلت وإليه أُنِيبُ) أي: عليه وحده توكلت دائما، وإليه وحده أُنِيبُ مرة بعد أخرى، فإيراد فعل التوكل بالمضي لإفادة الثبات لأنه أمر واحد، ومضارع الإنابة للتجدد لأنها متعددة.

قوله تعالى ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَنْ الْأُنْعَمِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴾ (١١)

قوله (فاطر السماوات والأرض) أي: الله موجد السماوات والأرض،
والفطر الشق، كناية عن إظهارها بعد أن لم تكن، ويمكن أن تكون الجملة
خبرا ثانيا لـ (ذلكم الله ربي)، أو مبتدأ خبره ما بعده.

قوله (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي: جعل لأجلكم من جنسكم نساء
تقترنون بها، واللام في (لكم) للغاية، وتقديم الجار والمجرور (من أنفسكم)
للاهتمام.

قوله (ومن الأنعام أزواجا) أي: وجعل للأنعام من جنسها أزواجا.

قوله (يذروكم فيه) الخطاب للإنسان والأنعام، على سبيل تغليب جانب
العقلاء، والمعنى: يكثركم بهذا التزاوج، والذراء البث، والهاء في (فيه)
راجع إلى التدبير المفهوم من فعل الجعل.

قوله (ليس كمثله شيء) أي: ليس كمثله ذاته تعالى في أي شأن من شؤونه
ومنها تدبيره شيء يشبهه، فهو تعالى أكبر من أن يوصف، وإنما يعرف
بآثاره فيما يخلق.

والكاف في (كمثله) زائدة للتأكيد، وتنكير لفظ (شيء) للعموم.

قوله (وهو السميع البصير) الكلام كناية عن كثرة علمه تعالى بكل ما يسمع وكل ما يبصر.

قوله تعالى ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٢﴾

قوله (له مقاليد السماوات والأرض) أي: هو وحده تعالى من يملك مفاتيح خزائن السماوات والأرض، والكلام استعارة لأمر الحكم والتدبير.

قوله (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فعل البسط للرزق كناية عن السعة والكثرة، وفعل القدر كناية عن التضييق والتقتير، وتعريف الرزق للعموم، والمشينة أجراها الله في البسط والتقدير على أساس الحكمة والمصلحة.

قوله (إنه بكل شيء عليم) القطع لتعليل ما تقدم، وذلك لإحاطته تعالى بكل شيء وكثرة علمه بكل معلوم.

قوله تعالى ﴿* شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾

قوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) الخطاب لعموم المخاطبين، والشرع كما قال الراغب: نهج الطريق الواضح. انتهى.

واتسع في لفظه ف قيل الشريعة للأحكام الإلهية، وهي القوانين الحاكمة في المجتمع، ومنه شريعة الماء لمكان ظهورها من الأنهار، ومعنى الآية إجمالاً: أظهر الله لكم ولمن كان قبلكم شريعته الواحدة في إقامة الدين فلا تتفرقوا فيه.

واللام في (لكم) بمعنى الغاية، أي: لأجلكم، لأن الغاية تحقيق سعادة الإنسان بعبادة التوحيد فالله تعالى غني عن مخلوقاته.

و(من) للتبيين، والتوصية الكلام الملزم المعتنى به، وذكر نوح عليه السلام لأن شريعته أولى الشرائع، وهو أول أنبياء أولي العزم، والرسل الذين جاؤوا من بعده كلهم على شريعته حتى ظهور شريعة إبراهيم عليه السلام، وهكذا الذين من بعد إبراهيم حتى ظهور موسى عليه السلام ثم من بعده ظهور عيسى عليه السلام ثم من بعده ختام الشرائع وهو شريعة النبي محمد ﷺ.

قوله (والذي أوحينا إليك) الخطاب للنبي ﷺ، لبيان أن الشريعة واحدة، واختلافها بسبب بغي الناس، وتقديم النبي ﷺ على غيره للتشريف، وعبر عن شريعة النبي ﷺ بالإيحاء بدلا من التوصية لبيان كمالها وشموليتها لكل ما سبق من الشرائع، فقد كانت الشرائع قبلها محدودة معتنية بما يناسب استعداد الأمم.

والالتفات في التعبير من ضمير الغيبة في (شرع ووصى) إلى ضمير التكلم في (أوحينا) لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه في التشريع إلى النبي

ﷺ .

قوله (وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) أي: وما شرعنا لإبراهيم وموسى وعيسى من الدين، وحرصت الآية على مراعاة تسلسل الشرائع في ذكر أنبياء أولي العزم.

قوله (أن أقيموا الدين) جملة تفسير لفعل الشرع والوحي والتوصية، للإشارة إلى الغرض الواحد من الشرائع وهو إقامة دين التوحيد والإسلام لله، قال تعالى (إن الدين عند الله هو الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم) [آل عمران ١٩].

وفعل الإقامة دال على القيام به على أتم أمر من حفظ تعاليمه والعمل بها وطاعتها، وتعريف الدين للعهد يراد به دين التسليم والتوحيد الموصى به.

قوله (ولا تتفرقوا فيه) نهي بعد أمر، والتفرق الاختلاف والتشتت، بسبب غياب الوحدة في الدين، ومن مظاهره الإيمان ببعض والكفر ببعض، كما صنعت اليهود بأن آمنت بموسى وكفرت بمن بعده، وكما صنعت النصارى فآمنت بموسى وعيسى وكفرت بنبوة محمد ﷺ .

ولا يعني القول بنسخ شريعة محمد ﷺ للشرائع السابقة أنه من جملة التفرق، لأن النسخ إحلال حكم مكان آخر، لمصلحة المجتمع، فهي إنما

نسخت لأنها نزلت بعناية خاصة لقوم معينين ولأمد محدود، وأصبحت لا تناسب شريعة جديدة شاملة للمجتمعات كلها.

قوله (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) الخطاب للنبي ﷺ لبيان أحوال بعض من شرع لهم الدين، أي: عظم على المشركين وشق عليهم ما تدعوهم إلى دين التوحيد، ورفض عبادة الأصنام، فلا يقبلونه، والكلام في معنى قوله تعالى (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) [ص ٥].

قوله (الله يجتبي إليه من يشاء) فصل الكلام لأنه تعليل لكبر المشركين، والتصريح بلفظ الله للقصر ورفع الحرج عن النبي ﷺ من عدم إيمان قومه، بأن الله شأنه الاجتباء والهداية، والرسول شأنهم التبليغ عنه.

والاجتباء أصله الجمع والاجتلاب، ويراد به الاختصاص، والهاء في (إليه) راجعة إلى دين التوحيد بحسب السياق.

قوله (ويهدي إليه من ينيب) أي: ويهدي إلى دينه تعالى من يرجع إليه بالتوبة.

قوله تعالى ﴿وَمَا تَقْرَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُّرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾

قوله (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) الإخبار عن عموم الناس الذين بلغوا بالشرائع السابقة ويدخل فيه أهل الكتاب، أي: ما تفرق صفهم في الدين إلا من بعدما بلغوا بأحكام الشريعة النازلة في كتبهم السماوية التي كني عنها بالعلم.

قوله (بغيا بينهم) النصب على الحال، والبغي الظلم ومنه العداوة والحسد لأجل طلب الدنيا، والقيد في ذكر الظرف (بينهم) للإشعار بأنه متداول بينهم.

قوله (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم) أي ولولا ما قضى الله من التمتع في البقاء مؤقتين لما أمهلهم بسبب تفرقهم عن دينه.

ولفظ الكلمة إشارة إلى قوله تعالى (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) [البقرة ٣٦]، والأجل المسمى هو الوقت المعين لهم عند موتهم وانقضاء حياتهم، واللام في (لقضي) واقعة في جواب (لولا)، والقضاء القول الفصل بينهم بالقضاء عليهم.

قوله (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) أي: وإن أسلاف الذين سنوا الفرقة في الدين وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى لفي شك من القرآن ودعوة الرسول ﷺ.

وفعل الإرث مستعار لعلماء اليهود والنصارى، فهم الذين تلقوا علوم الكتابين التوراة والإنجيل من أسلافهم، وضمير الجمع في (بعدهم) عائد إلى آبائهم في ضمير الواو (تفرقوا)، و(في) مبالغة في التلبس الظرفي،

ولفظ الشك بمعنى اتهام القرآن والنبوة بالافتراء، والهاء في (منه) راجع إلى القرآن أو نبوة الرسول ﷺ وإن لم يذكر، واسم الفاعل (مريب) مجاز عقلي للمبالغة، أي: موقع في الريب، وهو أشد الشك.

قوله تعالى ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۝ ﴾

قوله (فلذلك فادع واستقم كما أمرت) الفاء للتفريع على ما تقدم من شرعة الدين الواحد للأنبياء وللأمة وما أعقبه من تفرق فيه، واللام للتعليل أي لأجل ذلك كله فادع إلى التوحيد ولأجل تفرق الناس استقم كما أمرك الله، والخطاب للرسول ﷺ، وفعل أمر الاستقامة كناية عن الالتزام بأحكام الشريعة الإلهية وعدم الحيد عنها، أو تحريفها.

قوله (ولا تتبع أهواءهم) نهى بعد أمر، والنهي عن الاتباع مجاز في النهي عن الطاعة، والأهواء الرغبات الباطلة للنفس، والضمير فيها راجع إلى مطلق الكافرين.

قوله (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أي: قل يا محمد آمنتم بجميع ما أنزل الله من الكتب السماوية على رسله، وإنما ذكر ذلك لأنه من جملة

الشرعة الواحدة التي وصى الله بها رسله، فلا إيمان لمن يؤمن ببعض
ويكفر ببعض كما يفعل اليهود والنصارى.

وتفيد (من) تأكيد العموم، وتتكير الكتاب لإفادة الجنس، أي مطلق كتبه
تعالى.

قوله (وأمرت لأعدل بينكم) أي: وأمرت أعدل بينكم فيما تختلفون فيه من
أمور اجتماعية ومعيشية، من غير تفرقة بين أحد، واللام في (لأعدل)
زائدة للتأكيد، والخطاب لعموم المخاطبين.

قوله (الله ربنا وربكم) قطع الكلام لأنه تعليل لما سبق، وهو لأن الله مالكننا
جميعاً، فلا يحق لنا إلا الإيمان بجميع ما أنزل من شريعة.

قوله (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي كل عامل مسؤول عن عمله والله وحده
يحاسب عليه ولا يجاوزه إلى غيره.

قوله (لا حجة بيننا وبينكم) أي: لا خصومة بيننا وبينكم، طالما أن ربنا
واحد وأعمالنا هو من يحاسبنا عليها، ونفي الحجة نفي للازمها وهي
الخصومة.

قوله (الله يجمع بيننا) أي: الله يجمع بيننا نحن وإياكم في الربوبية، أو في
يوم الحساب للجزاء، كلا المعنيين يصحان.

قوله (وإليه المصير) وإليه تعالى وحده منتهانا يوم القيامة، مثلما كان به
مبتدأنا.

وفي الكلام عدول من ضمير الخطاب الجمعي في (بينكم، وربكم، وأعمالكم) إلى ضمير نون التكلم الجمعي لإفادة التفريق بين نفس النبي ﷺ والمؤمنين به وبين سائر الناس من المشركين وأهل الكتاب، والآية على وزان قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) [آل عمران: ٦٤]. ذكره صاحب الميزان. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٦﴾

قوله (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له) الحاجة تقديم الحجج لإثبات أمر ما، ويراد به المخاصمة في دين الله من المشركين أو من اليهود والنصارى، لإدخال الشبه على الناس حتى لا يلتحقوا بدعوة الرسول ﷺ، وتسميتها بالحجج مجازاة لهم وتهكم بهم.

والقيد الظرفي في قوله (من بعدما استجيب له) لإفادة بطلان احتجاج المحتجين وتشنيعه، وفعل الاستجابة مبالغة في قبول دين التوحيد بآتم قبول، والهاء في (له) راجعة إلى أقرب عائد وهو الله.

قوله (حجتهم داحضة عند ربهم) ارتفع لفظ الحجة لأنه خبر اسم الموصول، والدحض أصله الزلق والزلل استعير للبطلان بجامع عدم

الثبات، وإسنادها إلى الحجة مجاز عقلي يراد بها مدحضة، والظرف (عند ربهم) لتأكيد بطلانها وتفضييعها.

قوله (وعليهم غضب) تقديم الجار والمجرور للاهتمام، وتأكيد لفظ الغضب للتعظيم، وحذف متعلقه، فلم يقل: من الله، لأنه علم من السياق.

قوله (ولهم عذاب شديد) وكذا تقديم (لهم) للعناية بالمتقدم، ووصف العذاب بالشدة لتهويله، وهو عذاب النار يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾

قوله (الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) لما تقدم ذكر تعريف الوحي بنفسه وبآثاره وبغاياته ومضمونه ذكر هنا ما نزل به من عند الله وهو الكتاب الذي به الحق والميزان.

والتصريح بلفظ الله لتعظيم التنزيل، وهو إنما ينزله الله بوحى منه على نبيه، والكتاب هو القرآن، فال لفظ للعهد الحضورى، والباء المقترن بلفظ الحق للمصاحبة أو للملابسة، ولفظ الميزان استعارة لدين التوحيد مضمون الكتاب، باعتباره آلة إنصاف وتسوية بين الناس يوم القيامة توزن به الحقوق للمجازاة والحساب، وقيل فيه تفسيرات أخرى محتملة.

قوله (وما يدريك لعل الساعة قريب) الكلام مشتمل على التهديد، ومن هنا ارتباطه بما تقدم من ذكر الميزان وما فيه من جزاء يوم القيامة.

وتفيد (ما) الاستفهام، والخطاب لكل سامع، أي: وأي شيء يعلمك، لعل حصول القيامة قريب، ولفظ الساعة كناية عن القيامة، لأنها تكون ببرهة من الزمن، وإنما أخفاها الله تعالى عن جميع عباده لئلا يتكل عليها في التوبة.

والإخبار عن لفظ الساعة بلفظ التذكير (قريب) لأن موصوفها غير حقيقي التأنيث، أو يحتمل تعلقها بلفظ محذوف تقديره (شيء)، أو كما وجه الفراء باعتبار قرب النسب وبعدها فقال: ورأيت العرب تؤنث القرية في النسب لا يختلفون فيها، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منك قريب، في القرب والبعد ذكروا وأنثوا، وذلك أن القريب في المعنى وإن كان مرفوعا فكأنه في تأويل: هي من مكان قريب، فجعل القريب خلفا من المكان، كما قال الله تبارك وتعالى (وما هي من الظالمين ببعيد) [هود ٨٣]، وقال ((وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) [الأحزاب ٦٣]، ولو أنث ذلك فبنى على بعدت منك فهي بعيدة وقربت فهي قريبة كان صوابا حسنا. ذكر في معاني القرآن. انتهى.

ومثلها بتأويل قرب المسافة قوله تعالى (إن رحمة الله قريب) [الأعراف ٥٦].

قوله تعالى ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿١٨﴾

قوله (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) الاستعجال مبالغة في طلب التعجيل والإسراع، ومضارع الفعل لتجدد الطلب وتكراره، والباء في (بها) للتعدية، وضمير الهاء مرتين عائد إلى الساعة، وقد كان المشركون لخفة أحلامهم واستهزائهم يسألون النبي ﷺ تعجيل إحلال يوم القيامة فيهم مستغلين تأخيرهم عنهم، وحكى الله ذلك عنهم ذلك غير مرة نحو قوله تعالى (يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) [الحج ٤٧]، و (يستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب) [العنكبوت ٥٣]، و (يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) [العنكبوت ٥٤] وقوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥].

وتعمدت الآية الإتيان بصيغة الموصول لبيان علة استعجالهم، وهو كونهم كافرين باليوم الآخر.

قوله (والذين آمنوا مشفقون منها) ذكر المؤمنين قبل الكافرين لإتمام الكلام، والإشفاق خوف برقاء، فهم مشفقون من قيام الساعة لئلا يفوتهم ثواب العمل الصالح في حياتهم الدنيا.

قوله (ويعلمون أنها الحق) أي: متيقنون تمام اليقين من وقوع الساعة، فيعلمون أن حصولها الحق الذي لا باطل معه.

قوله (ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) أداة التنبيه (ألا) للعناية بما بعدها من كلام، والكلام تقرير لما قبله، والممارسة المُلَاحَظَة والجدال، ومضارع الفعل للتجدد، و(في) للظرفية المجازية، أي: في قيام الساعة، واللام في (لفي) لتأكيد خبر (إن)، وجعل الكافرين متلبسين في ظرفية الضلال للمبالغة، وتوصيف الضلال بالبعيد مجاز من اليأس في رجوعهم إلى الصواب.

وكونهم (في ضلال بعيد) نتيجة مسببة عن كثرة إلحاحهم في قيام الساعة، ولهذا جيء باسم الموصول وصرح بفعل الممارسة.

قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ



قوله (الله لطيف بعباده) اللطف الخفاء والرقعة، وبحسب ما بعده، فإن الله تعالى لطيف بعباده بمعنى يوصل إليهم منافعهم من طريق يدق إدراكه، فألطافه عصية الفهم لا يدرك غموضها أحد سواه تعالى.

ولفظ العباد هنا عام المعنى يشمل المؤمنين به وغير المؤمنين، وكذا فيما بعده من ذكر الرزق.

قوله (يرزق من يشاء) الرزق عموم ما ينتفع به، ومضارع فعله لتجدده، وتعليقه على المشيئة لأنه كائن بمصلحة لا يعلمها غيره سبحانه سيان في السعة أو التقدير.

قوله (وهو القوي العزيز) أي: وهو الله القوي الذي لا تنقص لا يغيب عنه أحد فيحرم رزقه، وهو العزيز الذي لا يعجزه أحد فيمنع رزق من يرزق.

قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾



قوله (من كان يريد حرث الآخرة نزل له في حرثه) الكلام تفصيل لقوله (يرزق من يشاء)، و(من) اسم شرط، والكلام عام، وفعل الإرادة دال على الرغبة والعزم، و(حرث الآخرة) استعارة من الزرع تشبيها له بالأعمال في الحياة الدنيا بجامع جني الفائدة في الآخر، وجزم الفعل (نزد) لأنه جواب الشرط، والزيادة يراد بها مضاعفة الثواب، واللام في (له) بمعنى العلة أي لأجله.

قوله (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) أي: ومن عمل للدنيا فلم يجاوزها إلى العمل للآخرة، فאלله تعالى يعطيه من عمل الخير في دنياه بقدر المصلحة التي أجزتها مشيئته سعة أو ضيقا، وتفيد (من) في (منها) التبعية، أي بعضها لا كلها بحسب اقتضاء الحكمة.

وفي المجمع: روي عن النبي ﷺ أنه قال: من كانت نيته الدنيا، فرق الله عليه أمره، وجعل الفقر بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت نيته الآخرة، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأنته الدنيا وهي راغمة. انتهى.

وفي نهج البلاغة: فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر فيه فرحا، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا، وليكن همك فيما بعد الموت. انتهى.

قوله (وما له في الآخرة من نصيب) أي: ليس له في الحياة الآخرة يوم القيامة أي قسمة من الثواب، ومن كان كذلك فهو بعيد عن رحمة الله، ظالم لنفسه، والنفي بـ (ما) لمطلق النفي، ولذا أعقبه مطلق نفي النصيب.

قوله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) همزة الاستفهام المقدرة بعد (أم) المنقطعة عما قبلها تفيد إنكار أن يكون لمريدي الدنيا ومنكري الآخرة إله غير الله يشرع لهم ديناً أو يلطف بهم ويرزقهم من رزقه.

قوله (ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم) أفادت الأداة (لولا) معنى وجود كلمة الفصل فامتنع الجزاء، وكلمة الفصل إشارة إلى إرجائه تعالى عذاب الكافرين في الحياة الدنيا إلى حين قضاء أجلهم عند الموت، وقد تقدم المعنى غير مرة.

قوله (وأن الظالمين لهم عذاب أليم) يفيد معنى الظالمين ظلمهم لربهم بالشركة به، وأتى به للإشعار بعلية الحكم يوم القيامة وهو العذاب الأليم، وتقدم الجار والمجرور للاهتمام، ووصف العذاب بالأليم على سبيل المجاز العقلي يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

قوله (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا) الخطاب لكل راء بما أنه سامع، ومضارع فعل الرؤية للمستقبل يوم القيامة، ولفظ الظالمين يراد به التاركون لشرع الله، الجاحدون للأخرة، ونصب (مشفقين) على الحال، أي: خائفين بسبب ما كسبت أيديهم من شرك ومعاص.

قوله (وهو واقع بهم) الجملة تقريرية لتقريع الظالمين تفيد الحال، وضمير الفصل راجع إلى ما يفهم من جملة الرؤية، وهو يوم القيامة، أي: ويوم

القيامة واقع بهم لا محالة، والوقوع أصله السقوط، استعارة لما يلحقهم من وبال ما كسبوا.

قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) ذكر عاقبة المؤمنين قبل وخامة الظالمين للترغيب بالإيمان بالله، فإن الله لطيف بعباده.

وفي اقتران الإيمان بالعمل الصالح إشارة إلى أنهم اعتقدوا فعملوا بما اعتقدوا، وأن الإيمان وحده لا يغني عن العمل، لذلك استحقوا الاستقرار في روضات خضرة الأشجار، وهي جناته تعالى.

و(في) للملابسة الظرفية دالة على الاستقرار، والروضات جمع روضة، صفة أضيفت إلى موصوفها للمبالغة.

قوله (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أي: لكرامة منزلتهم عند الله رفع عنهم الأسباب في الحصول على ما يحبون، فجعل مشيئتهم سببا في تسبب ما رغبوا نفوسهم.

قوله (ذلك هو الفضل الكبير) جملة تقرير، واسم الإشارة لتعظيم تلك العطية، وضمير الفصل للتأكيد والقصر، والفضل الزيادة من الله على الاستحقاق، وتوصيفه بالكبر لكثرتة.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

قوله (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي: ذلك الفضل البعيد المنال العظيم الشأن، والتبشير إسماع الغير ما يدخل السرور على نفسه، وحذف متعلق الفعل وعائده فلم يقل: يبشرهم به، لأنه معلوم من السياق، وإضافة لفظ العباد إلى هاء الجلالة للتشريف، والإتيان بجملة الموصول لإفادة علة التبشير، وهو كونهم مؤمنين عاملين.

قوله (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) الخطاب للرسول ﷺ، أي: لا أطلب منكم عوضا على الرسالة إلا أن تبروني في قرباي فتودوهم.

والهاء في (عليه) عائد إلى التبليغ برسالة التوحيد، والأجر العوض، وتنكيره للعموم، والاستثناء متصل لأن المودة داخلة في الأجر، ولفظ المودة والود واحد وتزيد عليه معنى المراعاة والتفقد للمودود، وهي المحبة ولازمها الطاعة لهم والإحسان إليهم، و(في) للظرفية المجازية، وتعطي معنى الاستقرار والثبات في المودة، ولهذا عدل عن استعمال اللام، فلم يقل: للقربى.

ولفظ القربى مبالغة في القريبين من الرسول ﷺ وهم خاصته وأهل بيته الذين عرّفوا بعلي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسن عليهم السلام بحسب الروايات المتواترة في ذلك، وإنما جعل الرسول ﷺ المودة في قرباه أجرا للرسالة لمكان أن في مودتهم حفظا لجوهر الدين، فكأنه أراد حفظ المرجعية لعامة المؤمنين في مودة أهل بيته.

وفي مجمع الزوائد: قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما. انتهى.

وفي كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحسكاني مرفوعا إلى أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاع عنها هوى، ولو أن عبدا عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام، حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبتنا، كبه الله على منخريه في النار، ثم تلا (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى). انتهى.

وفي المجمع قال: وروى زاذان عن علي عليه السلام قال: فينا، في آل حم، آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية، وإلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب. انتهى.

قوله (ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا) الكلام متصل بما قبله، أي ومن يعمل حسنة في مودة أهل البيت عليهم السلام يضاعف له الله فيها بالأجر الجميل.

والاقتتراف افتعال في الكسب، والحسنة صفة لموصوف محذوف تقديره: طاعة حسنة، وتنكيرها للعموم، أي: أي حسنة، واللام في (له) أي لأجله، والهاء في (فيها) راجعة إلى لفظ الحسنة، والحسن الثواب الطيب الجميل.

وفي الإرشاد للمفيد، خطب الإمام الحسن صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام: المجمع فقال مما قال: أنا من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه فقال عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا)، فالحسنة مودتنا أهل البيت. انتهى.

وفي المناقب لابن شهر آشوب: روى إسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إنها نزلت فينا أهل البيت، أصحاب الكساء. انتهى.

قوله (إن الله غفور شكور) جملة تقرير، والعدول بالتصريح بلفظ الله بعد أن تقدم بضمير نون الجمع لإفادة تعليل كثرة غفرانه وشكره.

ولفظ الغفور مبالغة من اتصاف ذاته تعالى بكثرة الغفران، ولفظ الشكور مبالغة من كثرة الشكر، أنزل نفسه منزلة من يعود عليه نفع المؤمنين فشكرهم عليه لا لاستحقاق منهم عليه بل من تطفه بهم.

وعن سبب النزول في تفسير أبي حمزة لثمالى مرويا عن عبد الله بن عباس: إن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، واستحكم الاسلام، قالت الأنصار فيما بينها: نأتى رسول الله ﷺ فنقول له: إن تعرك أمور فهذه أموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محذور عليك، فأتوه في ذلك فنزلت: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقرأها عليهم وقال: تودون قرابتي من بعدي، فخرجوا من عنده مسلمين لقوله، فقال المنافقون: إن هذا لشيء افتراه في مجلسه، أراد بذلك أن يذلنا لقرابته من بعده، فنزلت: (أم يقولون افتري على الله كذبا) فأرسل إليهم فتلاها عليهم، فبكوا واشتد عليهم، فأنزل الله: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) الآية، فأرسل في أثرهم فبشرهم، وقال: (ويستجيب الذين آمنوا)، وهم الذين سلموا لقوله. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ﴿١٤﴾

قوله (أم يقولون افتري على الله كذبا) والكلام مسوق لتوبيخ المجترئين على الرسول ﷺ، و(أم) منقطعة، بمعنى بل، وهمزة الاستفهام مقدرة تفيد إنكار افتراء الرسول ﷺ الكذب على الله.

قوله (فإن يشأ الله يختم على قلبك) الفاء للتفريع، ومضمون جملة الشرط تنزيه ساحة النبي ﷺ عن الافتراء، وفعل الختم معناه المنع استعارة لقطع نزول الوحي عن الرسول ﷺ.

قوله (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته) الجمل متقابلة مع سابقتها، والأفعال المضارعة دالة على الاستمرار، وفعل المحو استعارة للإزالة والمحق، وحذف واوه للتخفيف وليس من العطف على (يختم)، كما حذفت في قوله (سندع الزبانيه) [العلق ١٨]، وإحقاق الحق تثبيته، والباء المقترن بلفظ الكلمات للملابسة، وكلمات الله آياته النازلة بالوحي على قلوب أنبيائه.

قوله (إنه عليم بذات الصدور) فصل ولم يصل لأنه علة لما قبله، وهو كثرة علمه بما انطوت عليه النفوس من هدى أو ضلال.

و(ذات الصدور) كناية عن مضمرات النفس، على عادة تسمية الإدراكات الباطنية بالقلوب والصدور.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

قوله (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) الأفعال المضارعة في الآية دالة على التجدد، والاستمرار، وتعدية فعل القبول بحرف التجاوز لتضمن الفعل معنى الإبانة والفصل مبالغة في شدة القبول، وفعل العفو بمعنى التجاوز والصفح.

قوله (ويعلم ما تفعلون) في مضمون الجملة حض على التوبة وتحذير من اقتراف السيئات.

وفي معنى التوبة والاستغفار، قال علي عليه السلام لقائل قال بحضرته أستغفر الله بسرعة لسان: تكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع: أن تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها، والخامس: أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتى تلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعة، كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول أستغفر الله. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٦﴾

قوله (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي: وهو الله الذي يستجيب، والاستجابة مبالغة في قبول الدعاء والعمل، وحذفت صلته من اسم الموصول لنزع الخافض، وأصله: للذين آمنوا.

قوله (ويزيدهم من فضله) أي: ويزيد المؤمنين من ثوابه تعالى من غير استحقاق.

قوله (والكافرون لهم عذاب شديد) الجملة تقابل التي قبلها من استجابة المؤمنين، وتقديم الجار والمجرور (لهم) للعناية والاهتمام، وتوصيف العذاب بالشدة لعظم ألمه.

قوله تعالى ﴿ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢٧)

قوله (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) أي: ولو أوسع الله في الرزق لعباده لظلم بعضهم بعضا في الأرض، ومن هنا كان الرزق من شؤونه تعالى يعطيه على وفق ما تقتضي المصالح لعباده.

و(لو) أداة امتناع لامتناع، وفعل البسط كناية عن سعة العطاء والثراء، والرزق عموم المنافع، والبغي الظلم والاعتداء، والكلام في معنى قوله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) [العلق ٧].

قوله (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) الاستدراك لتأكيد تنزيل الرزق بقدر وكمية محددة على وفق مشيئته سبحانه وعلمه بما ينفع المرزوق.

والكلام في تقدير الرزق وإنزاله بقدر معلوم لا ينافي إثراء بعض العباد لأن الدنيا محل ابتلاء، ومن ابتلاءاتها الاستدراج في السعة ليكفر بها أم يشكر، وفعل التنزيل مجاز من مقام العلو، باعتبار صدور المنافع عن الله تعالى، وبأمر منه.

ونقل في مجمع البيان: روى أنس عن النبي ﷺ عن جبرئيل عن الله جل ذكره: إن من عبادي من لا يصلحه إلا السقم، ولو صححته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده، وذلك أني أدبر عبادي لعلمي بقلوبهم. انتهى.

قوله (إنه بعباده خبير بصير) القطع لتعليل بسط الله للرزق وتقديره، وهو لعلمه تعالى بأحوال عباده وما يصلح شأنهم.

قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ

الْحَمِيدُ ﴿٣٨﴾﴾

قوله (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) الآيات آية بعد آية دالة على إثبات تفرد بصفات الألوهية والتدبير، فإن الرزق وما يتفرع عنه من جملة تدابير الله تعالى لما يخلق، وإذا أخذ معنى الرزق بمعناه الواسع فإن المعارف والشرائع من الرزق المقسوم كما أن إيتاء المال والبنين وسائر النعم الصورية من الرزق المقسوم كما ذكره السيد في الميزان. انتهى بتصرف.

والغيث المطر النازل من السماء يحيي به الله الأرض بعد جفافها، والقنوط شدة اليأس.

قوله (وينشر رحمته) النشر التفريق، والمضارع للتجدد، ونشر رحمة الله مجاز في تفريق نعمته على الناس بإحياء الأرض وخراج النبات والثمر منها.

قوله (وهو الولي الحميد) جملة ثناء من الله على نفسه، والولي لأن من شؤون الوالي إطعام عبده وتدبير أمرهم، وصيغة الحميد بمعنى المحمود على أفعاله.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾

قوله (ومن آياته خلق السماوات والأرض) أي: ومن بعض دلائله التوحيدية إيجاد السماوات والأرض.

قوله (وما بث فيهما من دابة) العطف لدخول المعنى في جملة آيات الله في الخلق، والبث النشر والتفريق، والتنثية راجعة إلى السماوات والأرض، و(من) زائدة لتأكيد عموم ما يدب من الخلق ويتحرك، ويدخل فيه الإنسان.

قوله (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) أي: وهو تعالى على جمع ما بث من دواب قدير لا يعجزه شيء من كثرتها.

وضمير الجمع في لفظ (جمعهم) باعتبار العموم في بث الدواب، والإشارة فيه إلى جمع العقلاء لأن المقصود فيه أهل التكليف وهم الإنس.

قوله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

كَثِيرٍ ۝ ٣٠ ﴾

قوله (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم) الكلام دال على أن اختلال النظام يكون بسبب الإنسان، لأنه تعالى بنى كل شيء بقدر وإتقان، فما يصيب الإنسان من مصائب الحياة المختلفة كالوباء والقحط والفقر ونحوها بسبب معاصيه وانعكاس أثرها على طبيعة نظامه الاجتماعي، وهي نظير قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) [الروم ٤١]، وخصت الأيدي في الكسب على سبيل المجاز، لأنها السبب في ذلك.

قوله (ويعفوا عن كثير) أي: ويعفو الله عن كثير من السيئات، وفي المجمع: روي عن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: خير آية في كتاب الله هذه الآية. يا علي ما من خدش عود ولا نكبة قدم إلا بذنب، وما عفا الله عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثني على عبده. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ

وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ ٣١ ﴾

قوله (وما أنتم بمعجزين في الأرض) النفي بمعنى: أنتم لا تعجزون الله في الأرض حتى لا تصيبكم المصائب بذنوبكم.

قوله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) وليس لكم من غير الله من يدفع عنكم المصائب ولا نصير يعينكم على ردها، والكلام تذكير للإنسان بضعفه وأنه لا حيلة له من دون خالقه ومدبر أمره.

قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٢)

أي: ومن بعض آيات الله الدالة على تفرده بالألوهية والتدبير إلهامه الإنسان في صنع السفن الجارية في البحر، كأنها جبال شامخة لضخامتها.

وتسمية السفن بالجواري، لأنها تجري بسرعة على ظهر البحر، وهي آيات باعتبار ما أودع الله في الماء من خاصية تحمل الأوزان الثقيلة كالسفن الكبيرة.

قوله تعالى ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رَوَاكِدٌ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣)

قوله (إن يشأ يسكن الريح) تفصيل للجواري، لأنها إنما تجري في البحر بفعل دفع الرياح لأشرعتها، فلو أسكن الله الريح لبقيت راكدة مستقرة على ظهر البحر، والإسكان الثبات والاستقرار، والريح اندفاع الهواء بفعل ما فيه من انضغاط.

قوله (فيظللن رواكد على ظهره) الفاء للتفريع، ونون التأنيث راجعة إلى الجواري، أي: يبقين مستقرات على ظهر البحر.

ولفظ الظهر استعارة من الأنعام تشبيها للبحر بها باعتبار حمل الأحمال على ظهورها.

قوله (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) الجملة نتيجة لما تقرر، والكلام مؤكد بأكثر من مؤكد باعتبار إنزال السامعين منزلة المنكرين، واسم الإشارة للتعظيم، وتذكير لفظ الآيات تعظيم بعد تعظيم، وخص بها كل صبار شكور لأنه الأجدر بتدبرها وتفهمها.

قوله تعالى ﴿أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٤)

قوله (أو يوبقهن بما كسبوا) تفيد (أو) العطف والترديد، وفعل الإيباق مغناه الإهلاك، وجزم على العطف على (يسكن)، والفاعل عائد إلى الله لبيان القدرة، وضمير جمع التأنيث راجع إلى الجواري، والمراد إيباق أهلها المحمولين عليها، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية، وفعل الكسب يقال لما ينتفع به من عمل، وضمير التذكير راجع إلى الناس.

قوله (ويعف عن كثير) جزم فعل العفو، لأنه معطوف على (يوبقهن) لأن المعنى: أو يرسل الريح فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم.

قوله تعالى ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِصٍّ﴾ (٣٥)

قوله (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) نصب (يعلم) بلام التعليل المحذوفة أي: ليعلم، لاحتمال كونها علة معطوفة على أخرى محذوفة مقدرة بمعنى: ليظهر قدرته تعالى، ويعلم الذين يجادلون.

والإتيان بجملة الموصول ومتعلقها لبيان تشنيع مجادلة الكافرين في صحة أدلة التوحيد.

قوله (ما لهم من محيص) الفصل لأنه تبين لجملة العلم، أي: لا ملجأ لهم ينجون به من عذاب النار يوم القيامة.

ونفي اللام في (لهم) لنفي الملك، و(من) مزيدة لتقوية عموم النفي، والمحيص المهرب والملجأ.

قوله تعالى ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

قوله (فما أوتيتم من شيء فمتع الحياة الدنيا) الفاء لتفريع نوعي الرزق رزق الدنيا وهو متاعها المؤقت، ورزق الآخرة، وهو الباقي الدائم.

و(ما) اسم شرط، والإتيان بالإعطاء، و(من) مزيدة لتأكيد عموم الأشياء، والفاء المقترن بلفظ المتاع واقعة في جواب الشرط، وإضافته إلى الحياة الدنيا من إضافة المشبه إلى المشبه به، للمبالغة في قلة زادها وزواله.

قوله (وما عند الله خير وأبقى) الظرف بمعنى: ما أعد الله للمؤمنين من ثواب خير وأبقى، وهو خير لأنه نعيم لا يكدره شيء من الشعور بالفقد، وهو أبقى لأنه دائم غير منقطع.

قوله (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) اللام المقترن باسم الموصول للملك متعلق بـ (أبقى)، والجملة المعطوفة قيد ثان للمؤمنين أي من صفتهم التسليم لله وتفويض أمورهم إليه فلا يتكلمون على سواه، وتقديم الجار والمجرور (على ربهم) للاختصاص، وفعل مضارع التوكّل للاستمرار.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾

قوله (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش) الجملة صفة ثالثة للمؤمنين، وهي ابتعادهم عن ارتكاب المعاصي الموصوفة بالكبائر والفواحش.

ولفظ الكبائر جمع كبيرة، وهي صفة للمعاصي، وصفت بذلك باعتبار آثارها السيئة على العبد والمجتمع، ولا منافاة بتسميتها بذلك والسورة مكية لأنها تمهيد لما سيشرع من تفاصيل في تحريم الكبائر.

وعد القرآن منها شرب الخمر والميسر قال تعالى (قل فيهما إثم كبير) [البقرة ٢١٩]،

وأما الفواحش فهي أقبح المعاصي وتطلق على الزنا واللواط، نحو قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة) [الإسراء ٣٢]، وقوله (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) [النمل ٥٤].

قوله (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) والجملة صفة رابعة للمؤمنين، وهي عفوهم عند الغضب، والتقديم للعناية كونهم الأولى بالمغفرة في حال الغضب.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

قوله (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) جملة ثناء على المؤمنين، لاستجابتهم في تكليف ما أمرهم ربهم من طاعات، وخص الصلاة بالذكر مع أنها من جملة الاستجابات لربهم لشرفها عند الله.

قوله (وأمرهم شورى بينهم) أي شأنهم التشاور فيما بينهم فلا يقطعون أمرا من دون تقليب للأمر ليتفقوا بشأنه على كلمة واحدة، وليكون أحجى وأحكم، وأثر عن النبي أنه قال: وقد روي عن النبي ﷺ، أنه قال: ما من رجل يشاور أحدا إلا هدي إلى الرشd. ذكر في ميزان الحكمة. انتهى.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: من شاور الرجال شاركها في عقولها. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (ومما رزقناهم ينفقون) أي: مستمرون في البذل والعطاء على غيرهم من المحتاجين طلباً لمرضاة ربهم.

والآية امتدحت المؤمنين بصفاتهم العبادية من استجابة مختلف التكليف، ثم أعقبتها بذكر محاسن شؤونهم الاجتماعية وهي تعقلهم في إصدار الرأي، وإنفاقهم على الغير.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾

صفة أخرى للمؤمنين هي شجاعتهم وإبائتهم، واتفاقهم على الحق، والكلام لا ينافي كونهم غفورين إذا غضبوا، فإن رد الظلم عن النفس من شيمها الفاضلة، وكلاهما من الفضائل المحموده، والكلام في معنى قوله تعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم بالنصر) [الأنفال ٧٢].

والإصابة في ضمنها القصد، والبغي الظلم والاعتداء، والانتصار طلب النصر.

قوله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾

قوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) جملة بيان لانتصار المؤمنين، برد الاعتداء بمثله من دون ظلم وبغي، ولذلك احتسب بالقيد في قوله (مثلها)، والإشارة

إلى تسميتها بالسيئة لأنها تسوء من نزلت به كونه البادئ بها، ولفظ السيئة صفة لموصوف محذوف تقديره: فعلة سيئة.

قوله (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) الفاء للتفريع، والعفو الصفح عن المسيء مع القدرة على رد الإساءة، والعطف (وأصلح) شرط ثان، أي: أصلح بينه وبين من يعاديه، فإن ثواب ذلك موكول إلى الله لا يعلم كثرتة غيره سبحانه، والإبهام في عدم تحديده تعظيم له، روي عن الرسول ﷺ أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان أجره على الله، فليدخل الجنة، فيقال: من ذا الذي أجره على الله؟ فيقال: العافون عن الناس، فيدخلون الجنة بغير حساب. نقل في مجمع البيان، وقريب منه في كنز العمال. انتهى.

وحرف الجر (على) في قوله (على الله) مستعار للاستحقاق كأنه - للطفه تعالى - أوجبه على نفسه، فجعله أجرا واجبا للعافي المصلح.

قوله (إنه لا يحب الظالمين) جملة تعليل للأمر في رد السيئة بمثلها، وذلك لأنه تعالى لا يحب المتصفين بصفة الظلم. ونفي الحب مجاز في غضبه تعالى وعقابه.

قوله تعالى ﴿وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ (٤١)

قوله (ولمن انتصر بعد ظلمه) جملة تبين لقوله (فمن عفا)، واللام في (لمن) للقسم، والانتصار النصر للنفوس، وإضافة الظلم إلى الضمير من

باب إضافة المصدر إلى مفعوله، والمعنى: من انتصر لنفسه، وانتصف من ظالمه بعد ظلمه، فالمنتصرون ما عليهم من ذنب.

قوله (فأولئك ما عليهم من سبيل) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، والجمع في اسم الإشارة والضمير في (عليهم) باعتبار المعنى الجمعي في ضمير (من)، كما إن الأفراد في (انتصر، ظلمه) باعتبار اللفظ.

وحرف الجر في (عليهم) للاستعلاء المجازي، و(من) مزيد لتقوية عموم النفي، وتنكير السبيل للعموم. والمعنى: نفي المؤاخذة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٤٢﴾

قوله (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي: حصر المؤاخذة والمعاقبة في الذين يبتدئون ظلم الناس ويعتدون عليهم، أما الذين يردون الظلم عنهم فلا سبيل عليهم.

قوله (ويبغون في الأرض بغير الحق) أي: ويتجبرون في الأرض ظلماً واعتداء بغير الحق، والقيد لتشنيع بغيهم.

قوله (أولئك لهم عذاب أليم) جملة نتيجة لما تقدم، بوعيدهم بثبوت العذاب عليهم ودوامهم فيه.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٤٣﴾

قوله (ولمن صبر وغفر) الكلام ترغيب في الإغضاء عن الإساءة، واللام المقترن باسم الموصول مشعر بالقسم لتأكيد المعنى وأهميته، والصبر هنا منع النفس عما ترغب إليه من انتقام أو رد مساءة، والغفران الصفح والتجاوز.

قوله (إن ذلك لمن عزم الأمور) الجملة جواب القسم خبر لاسم الموصول، واسم الإشارة لتعظيم فعل الصبر والمغفرة على الإساءة، ومن هنا أخبر عنه أنه من عزم الأمور لأنه يضاد رغبات النفس في الانتقام.

واللام المقترن بحرف الجر واقعة في خبر (إن)، و(من) للتبويض، و(عزم الأمور) أصلها: الأمور العزم، فهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، والإفراد مع أن الموصوف جمع لأنه مصدر، والعزم والعزيمة الإرادة الثابتة، ومنها أنبياء أولي العزم، ولفظ الأمور جمع أمر، وهو هنا بمعنى الخلال والصفات.

قوله تعالى ﴿ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ

لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ﴿٤٤﴾

قوله (ومن يضل الله فما له من ولي من بعده) ذكر الظالمين بعد المؤمنين لبيان الترغيب والترهيب على عادة الأسلوب القرآني.

ونسبة الإضلال إلى الله على سبيل المجازاة لا الابتداء، ويكون بتخليّة العبد لشيّاطينه ونفسه، وعندها ليس له من غير الله أي ولي يدفع عنه العذاب.

قوله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) الخطاب للرسول ﷺ، إخبار عن أحوال الظالمين حين يرون العذاب يوم القيامة.

قوله (يقولون هل إلى مرد من سبيل) جملة (يقولون) محلها الحال، أي: قائلين، والحرف (هل) استفهام يفيد التمني، والتقديم للاعتناء به، والمرد والرد واحد، وهو الرجوع إلى الدنيا، و(من) حرف مزيد لتأكيد العموم، والسبيل الطريق وتنكيره للعموم، وأصل الجملة: هل من سبيل إلى مرد، أي: لا يهتمهم لهول العذاب كيفية الرجوع إلى الدنيا، بل يتمنون الرجوع بأي وسيلة كانت، لينجو من العذاب.

قوله تعالى ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۖ﴾

قوله (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل) أي: وترى الظالمين يا محمد يحضرون إلى النار خائفين أذلاء.

وفعل العرض معناه الإحضار والإظهار، والخشوع الخضوع والانكسار، ونصب على الحال، والقيد الاحتراسي (من الذل) لإفادة ذلتهم، لأن من الخشوع ما يكون محموداً، فـ (من) تفيد السبب، أي: بسبب الذل.

قوله (ينظرون من طرف خفي) الجملة موقعها حال ثانية، كناية عن شدة هلعهم وخزيهم لا يتمكنون من رفع أبصارهم، فهم مطرقون يسترقون النظر خلسة.

قوله (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة) أي: وقال المتصفون بكمال الإيمان يوم القيامة في ذلك الموقف إن الخاسرين كل الخسران هم الذين لم يعملوا في حياتهم الدنيا لمثل هذا اليوم فخسروا أنفسهم وزوجاتهم.

قوله (ألا إن الظالمين في عذاب مقيم) من تنمة كلام المؤمنين، والتصريح بلفظ الظالمين لبيان علة الحكم في إقامة العذاب فيهم. ووصف العذاب بأنه مقيم من باب المجاز العقلي للمبالغة.

والقول في ذلك الموقف من ذلك اليوم ليس لمطلق المؤمنين، بل لمن أذن له الرحمن وقال صواباً وجاء تفصيله في سورة الأعراف، ومنه قوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) [الأعراف ٤٤].

قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿٤٦﴾

قوله (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) نفي مؤكد لبطلان ولاية معبوداتهم كلها من غير الله، لأنها ولاية موهومة مزعومة لا أصل لها ولا استناد.

واللام في (لهم) لام الجحود سبقت بنفي الكون، و(من) الأولى زائدة لتأكيد نفي العموم، والأولياء يراد بها آلهتهم التي زعموها من غير الله، و(من) الثانية مزيدة للتأكيد.

قوله (ومن يضل الله فما له من سبيل) أي: ومن قدر الله له الإضلال فما له من سبيل نجاة، والكلام نتيجة عامة لما سبق.

قوله تعالى ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ﴾ ﴿٤٧﴾

قوله (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي: أقبلوا على طاعة الله ما دمتم أحياء في عالم التكليف، قبل أن يأتي عليكم يوم محتوم لا رد من قبل الله البتة.

ولفظ اليوم بحسب القيود هو يوم القيامة، وجملة النفي المؤكدة (لا مرد له) محلها الصفة للفظ (يوم)، والظرف (من الله) محلها الحال.

قوله (ما لكم من ملجأ يومئذ) جملة موقعها التعليل لـ (استجيبوا)، أي: لا تملكون أي مهرب يومئذ.

قوله (وما لكم من نكير) أي: وليس لكم أي إنكار لما عملتم لأن في ذلك اليوم انكشاف الحقائق، وظهور الأعمال.

قوله تعالى ﴿ فَإِن أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا
الْبَلَاءُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّ بِهَا وَإِن تَصْبَهُمْ سَيِّئَةٌ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ ﴿٤٨﴾

قوله (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) الفاء للتفريع، بمعنى فإن لم يستجيبوا لك وأعرضوا عن دعوتك أيها النبي ﷺ فما أرسلناك إليهم رقيباً عليهم مسؤولاً عن إيمانهم، فلا تكثر لإعراضهم.

قوله (إن عليك إلا البلاغ) جملة تقرير، أي: شأنك - أيها النبي ﷺ - مقصور في البلاغ. ولفظ البلاغ الرسالة المطلوب إيصال معانيها إلى الناس.

وفي الكلام التفات من خطاب الظالمين إلى خطاب النبي ﷺ للاعتناء بنبيه المبلغ.

قوله (وإنّا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها) الكلام لبيان أصل أسباب الغفلة عن الاستجابة إلى ذكر الله، وهو أن الإنسان بطبعه النكران للمنعم في حال أنعم عليه بنعمة فبدلاً من شكرها يبطر بها ويفرح.

والإذاقة استعارة لشدة الملازمة، ولفظ الإنسان لإفادة العموم، ولفظ الرحمة كناية عن النعمة، وتنكيرها للتعظيم، و(فرح بها) أي بطر بالنعمة وتجبر.

قوله (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) وفي حال إصابته بسوء من مرض أو شدة بسبب أعمالهم فالإنسان منقطع الرجاء كفور بربه لا يحسن الظن به.

والإصابة القصد والتعيين، والباء في (بما) للسبب، وتقديم الأيدي كناية عن الأعمال التي عملوها، والفاء في (فإن) واقعة في جواب (إن) الشرطية، والجملة الإسمية محلها جواب الشرط، تفيد ثبات المعنى لجحود الإنسان.

ولأن في لفظ الإنسان معنى العموم سوغ أن يكون الجزاء مناسباً لضمائر الجمع في الشرط، وفي إظهار لفظ الإنسان في موضع إضماره فائدة تأكيد توبيخه وتقريعه.

وفي الكلام احتراس، ففي حال إذاقة الإنسان رحمة أسندها إلى نفسه تعالى بنون العظمة فقال (منا)، وفي حال إصابته بسيئة عللها بسوء ما قدمت أيديهم.

قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَرَ﴾ ﴿٤٩﴾

قوله (لله ملك السماوات والأرض) التقديم لاختصاصه تعالى بالملك، لأنه من أوجدها وأنشأها، له التصرف فيها وتقسيم النعمة والبلية بين أهلها.

قوله (يخلق ما يشاء) فعل مضارع الخلق دال على الاستمرار والتجدد في الإيجاد، والمشئنة بمعنى ليس لأحد سؤاله عما يخلق ولا يوجب أحد على مشيئته شيئاً.

قوله (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور) الجملتان متقابلتان، أي: يهب لمن يشاء من خلقه إناثاً فقط، ويهب لمن يشاء الذكور فقط، وتعريف الذكور من دون الإناث للعهد بمعنى: الذكور المطلوبون في الأذهان، ولا سيما عند العرب، أو التعريف لرعاية الوقوف على الفاصلة.

وعن الإمام علي عليه السلام قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله إن أبي عمد إلى مملوك لي فأعتقه كهيئة المضرة لي، فقال رسول الله ﷺ: أنت ومالك من هبة الله لأبيك، أنت سهم من كنانته (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً)، جازت عتاقة أبيك، يتناول والدك من مالك وبدنك، وليس لك أن تتناول من ماله ولا من بدنه شيئاً إلا بإذنه. نقل في التهذيب. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ

عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

قوله (أو يزوجهم ذكرا وإناثا) العطف بـ (أو) بمعنى: أو يهبهم مجموعين من الذكور والإناث، ولذلك ألحقه بالمشيئة السابقة، والتزويج في اللغة الجمع، و(ذكران) جمع ذكر، ونصبه على الحال، وكذا الإناث معطوف على الحال.

قوله (ويجعل من يشاء عقيما) العقيم هو الذي لا يلد ولا يولد له، ويطلق على الرجال والنساء، وكرر المشيئة لأن الجملة قسم برأسها يقابل ما تقدم. قوله (إنه عليم قدير) الفصل لتعليل ما تقدم، وهو لعلمه تعالى وعظم قدرته.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

﴿٥١﴾

قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) خاتمة السورة في تقسيم الوحي، فتكليم الله لرسله لا يصح أن يكون إلا بثلاثة أقسام: واحد منها من دون وسائط: بطريق الإلهام في النفس، والآخران بوسائط: بحجاب، أو برسول.

ونفي مضي الكون ولام الجحود دال على أشد النفي، والاستثناء متصل لأن المستثنيات من نوع تكليمه تعالى، والتكليم لا يراد به ظاهره، وهو الكلمات الصوتية التي ينقلها الهواء من المتكلم إلى السامع، لأن ذلك لا ينطبق عليه تعالى البتة، وإنما المقصود نوع تبليغ المعاني بكيفية لا تسعف تفصيلاتها اللغة بغير ما عبر عنه القرآن.

واستعمال فعل الوحي من الابتكارات القرآنية، وهو الإيحاء ومنه الهمس الخفي، ويسميه الراغب الإشارة السريعة ويراد به إلقاء الكلام في النفس بطريق الإلهام، وقال فيه الطبرسي: وسماه وحيا لأن الوحي في اللغة، ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به. انتهى.

وهو أول أقسام الوحي التي عدتها الآية، نوع تكليم إلهي للنبي من غير واسطة، كما في الإيحاء إلى أم موسى، وكما أوحى إلى داود الزبور.

والقسم الثاني تكليم بوحي مبدؤه من وراء حجاب، كتكليم الله لموسى في شاطي البحر، لذلك قصدت الآية استعمال (من) الابتدائية، وأما الحجاب فيقصد به نوع حاجز مجازي يفصل بين ساحة القدس الإلهي وبين نبيه، ولذلك جيء باللفظ منكرا، وكذا لفظ وراء لا يقصد به الخلف المكاني بل بمعنى التمكن والإحاطة كقوله تعالى (والله من ورائهم محيط) [البروج ٢٠].

وأما القسم الثالث من الوحي الإلهي فهو بإرسال الرسول ويعني به ملائكته ورئيسهم جبرئيل الأمين، فهم وسائطه إلى أنبيائه ينقلون عنه رسائله وآياته سبحانه.

فهذه أقسام الوحي الصادرة عن الله كلها مسندة إليه تعالى، غالبا ما يعبر عنها بنون العظمة فيقال: أوحينا، نوحى.

قوله (فيوحي بإذنه ما يشاء) الفاء للتفريع على الإرسال، وفاعل الوحي الرسول، والفعل (يُوحى) هنا بمعنى: يبلغ عن الله، وهي غير الوحي في قوله (إلا وحيا)، وشبه الجملة (بإذنه) بمعنى: بعلمه، وجملة المشيئة مبهمة، لأنها من شؤونه تعالى.

قوله (إنه علي حكيم) الفصل لأنها جملة تعليل لتكليمه تعالى وأقسامه، فهو متعال عن صفات المخلوقين، أجل من أن يكلمهم كما يكلم بعضهم بعضا إلا بأحد الوجوه المذكورة، ولحكمته تعالى يختار ما يشاء من الاتصال في وحيه لأنبيائه.

قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾

قوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الخطاب للرسول ﷺ، أي وكذلك الوحي مما تقدم أوحى الله لنبيه ﷺ بأقسامه كلها، فقد أوحى إليه بتوسط ومن دون توسط، واختلف في تفسير لفظ الروح فقيل يعني به جبرئيل لأنه مخلوق من روح الله، وتكثير اللفظ لتعظيم شأنه، قال تعالى (نزل به الروح الأمين) [الشعراء ١٩٣]، وقال (قل نزله روح القدس من ربك) [النحل ١٠٢].

وقيل إن لفظ الروح يعني به القرآن، لأنه يهتدى به، فيه حياة من موت الكفر. قاله صاحب المجمع. انتهى.

وقيل إنه ملك أعظم من جبرئيل، ففي الكافي بإسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) قال: خلق من خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده. انتهى.

وربما أيد هذا التفسير قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: ولقد قرن الله به ﷺ من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره. انتهى.

و(من) في قوله (من أمرنا) ابتدائية، وأمر الله شأنه تعالى الذي يختص به وحده، يصدر منه أوامره ونواهيه، والإتيان بالقيد أعني (من أمرنا) لإفادة تنزيه نبيه مما رموه من افتراء، فأكد الكلام بأن ما عند النبي ﷺ من

أحكام ربانية ومعارف إلهية يدعو إليها الناس بوحى من عند الله وليس من تلقاء نفسه.

قوله (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) جملة تقرير لما قبلها، و(ما) الأولى نافية، والثانية استفهامية معلقة لورودها وسط الجملة، وتعريف لفظ الكتاب للعهد الحضوري أريد به القرآن، ولفظ الإيمان مجاز يراد به العمل، ومعنى جملة النفي: أن تفاصيل العلم النازل في القرآن والعمل به ما كان يعلمه النبي ﷺ قبل الوحي، وإنما جرى العلم بتفصيله بتعليم من ربه، لأن درايته ﷺ إجمالية، قال السيد في الميزان: وهذا لا ينافي كونه ﷺ مؤمنا بالله موحدًا قبل البعثة صالحًا في عمله، فإن الذي تنفيه الآية هو العلم بتفاصيل ما في الكتاب والالتزام بها اعتقادًا وعملاً، ونفي العلم والالتزام التفصيليين لا يلزم نفي العلم والالتزام الاجماليين بالإيمان بالله والخضوع للحق، وبذلك يندفع ما استدل بعضهم بالآية على أنه ﷺ وسلم كان غير متلبس بالإيمان قبل بعثته. انتهى.

وعلم الرسول ﷺ بيقين الوحي توفيق من الله، جاء في التوحيد بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، الغشبية التي كانت تصيب رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال: ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد ذاك إذا تجلى الله له. قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة، وأقبل يتخشع. انتهى.

ومثل ذلك ما روي في أمالي الشيخ المفيد، بإسناده عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال بعض أصحابنا: أصلحك الله كان رسول الله ﷺ يقول: قال جبرئيل، وهذا جبرئيل يأمرني ثم يكون في حال أخرى يغمى عليه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل أصابه ذلك، لتقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك فقال: قال لي جبرئيل، وهذا جبرئيل. انتهى.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان جبرئيل إذا أتى النبي ﷺ قد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه. نقل في العلل. انتهى.

وفي الدر المنثور، أخرج البخاري ومسلم والبيهقي عن عائشة، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحيانا يأتيني الملك في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وهو أشده علي، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم، وإن جبينه ليتفصد عرقا. انتهى.

قوله (ولكن جعلناه نورا) الاستدراك على النفي لتأكيد ما بعد الأداة، وقيل في عود ضمير النصب في (جعلناه) إنه إلى الروح الذي هو بمعنى القرآن، ولفظ النور استعارة بجامع وضوح السبيل. وتكرار لفظ النور للتعظيم.

قوله (نهدي به من نشاء من عبادنا) جملة تفسير للجعل، وفعل الهداية بمعنى الإرشاد إلى سبيل توحيده تعالى الذي به النجاة والسعادة، و(من) للتبعية، وإضافة العباد إلى نون الله لتشيريفهم.

قوله (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) جملة ثناء وتأكيد، تصدق دعوة الرسول ﷺ، وأن كتابه من عند الله، والصراط المستقيم استعارة مكنية عن سبيل التوحيد الذي يفضي إلى النجاة والأمان.

قوله تعالى ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

قوله (صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) جملة بدل للصراط المستقيم، وعرفه بانه صراط الله فعظمه بهذه الإضافة التشريفية، وجيء بجملة الموصول زيادة في تعظيم الصراط، ووجوب سلوكه.

وجملة الموصول مضمونها اختصاص الله في ملكه لما في السماوات والأرض، وتكرار (ما) للتأكيد.

قوله (إلا إلى الله تصير الأمور) أداة التنبيه للالتفات إلى معنى ما بعدها، والجملة نتيجة لملكه تعالى، وهي رجوع الخلائق إليه يوم البعث والنشور، لتحقيق العدل، وإنفاذ الوعد في المهتدين والوعيد في الضالين.

والتقديم أعني قوله (إلى الله) للقصر والاختصاص، والفعل (تصير) دال
على الاستقبال، أي: ترجع الأمور كلها إليه تعالى، فلا يملك غيره ذلك،
والنظم من البديع الذي يحسن الانتهاء به.

سورة الزخرف

مكية، وهي تسع وثمانون آية

حفلت السورة بموضوعات التحذير من عاقبة التكذيب بآيات الله، فأنذرت قريشا إنذارا بعد إنذار من الاستمرار بالكفر بالقرآن وبالرسول ﷺ، وذكرتهم بأن من سنة الله الجارية إرسال الرسل بالمعجزات لا يمنعه من ذلك صد الناس عن الحق ومبالغتهم في الكفر به تعالى، وذكرت على سبيل الإجمال ثلاثة من الأنبياء للعظة والاعتبار وهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وعرضت السورة كفریات المشركين وفندتها بالحجج البينة، وتوعدتهم بعذاب جهنم، والسورة مكية، يؤيد ذلك اتصال آياتها.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ حَمْدٌ ۝١ وَأَلَكْتَ ٱلْمِیْنِ ۝٢ ﴾

الواو للقسم بالقرآن، لأن أَل الكتاب للعهد الحضورى، والكتاب بمعنى المكتوب المحفوظ من التغيير والتبديل، وتوصيفه بالإبانة لأن معانيه وألفاظه بينة الدلائل ظاهرة الحجج، ومن خصوصیات سور الحواميم تعقيب لفظ التنزيل أو الكتاب بعدها أكثر من مفتحات السور بالمقطعات الصوتية.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾

قوله (إنا جعلناه قرآنا عربيا) أي: جعلنا الكتاب مقروا باللغة العربية.

واختار الله تعالى اللسان العربي مادة إعجاز كتابه، لأن اللغة العربية أثري اللغات معاني وألفاظا.

قوله (لعلكم تعقلون) جملة غائية لفعل الجعل، والرجاء بالنسبة للمخاطبين وهم قوم النبي ﷺ، والعقل الفهم، أي: تتدبروا ما في القرآن، فتقبلوا عليه، وتؤمنوا به، وبحامله.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝﴾

قوله (وإنه في أم الكتاب لدينا) الكلام لتعظيم القرآن، والهاء المقترن بحرف النسخ راجع إلى الكتاب، و(أم الكتاب) اللوح المحفوظ بدلالة قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) [البروج ٢٢]، والأم أصل كل شيء، والتعبير عن اللوح المحفوظ بأم الكتاب لأنه منه تصدر الكتب السماوية، وفيه أحوال الخلق إلى يوم القيامة، والظرف (لدينا) دال على التشريف.

قوله (لعلي حكيم) اللام لتأكيد خبر (إن)، والعلي مجاز لعلو شأن القرآن ورفعة منزلته من أن تتاله العقول، ولفظ الحكيم بمعنى المحكم غير مجزء ولا مقسم، ذكر السيد في الميزان في مجمل معنى الآيتين: أن الكتاب عندنا في اللوح المحفوظ ذو مقام رفيع وإحكام، لا تتاله العقول لذينك الوصفين، وإنما أنزلناه بجعله مقروا عربيا رجاء أن يعقله الناس. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا

مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾

قوله (أفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) الفاء للتفريع، وهمزة الاستفهام للإنكار، والمعنى: أفلا نرسل إليكم رسولاً، ألا ننزل عليكم القرآن، وتعريف الذكر للعهد يراد به القرآن، ويقال: ضرب عنه صفحا، بمعنى الكناية عن إهماله وتركه، وتجاهله، وأصل المثل كما ذكر في المجمع: أن الراكب إذا ركب دابة، فأراد أن يصرفه عن جهة، ضربه بعصا أو سوط، ليعدل به إلى جهة أخرى، ثم وضع الضرب موضع الصرف والعدل. انتهى.

قوله (أن كنتم قوما مسرفين) جملة تعليل بلام مقدرة بمعنى: لأن كنتم، والإسراف تجاوز الحد، وهنا يفيد مبالغتهم في الإعراض عن القرآن، وجملة مضي الكون والإتيان بلفظ القوم منكرا وتوصيفه بالإسراف، لإفادة رسوخ الصفة في نفوسهم.

قوله تعالى ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾

معنى (كم) هنا الإخبار عن الكثرة، والإرسال البعث بالنبوة، و(من) زائدة لتأكيد عموم الأنبياء، وتعدية فعل الإرسال بـ (في) دون (إلى) لإفادة الملازمة، وأن المرسلين من أقوامهم، ولفظ الأولين كناية عن الأمم السابقة

على العرب، فهي أولى باعتبار القدم، والكلام تمهيد لما بعده في ذكر الإفناء بعد إلقاء الحجج.

قوله تعالى ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿٧﴾

الجملة محلها الحال من (أرسلنا)، والاستثناء مفرغ من معناه لإفادة الحصر، بأن الاستخفاف بالأنبياء شأن الأمم المكذبة، فليس لهم عمل غيره، والإتيان مجاز للتبليغ، وفي المضارع دلالة التعريض بكفار مكة، لأنه دال على الاستمرار، و(من) مزيدة لتأكيد العموم، وجملة (كانوا) دالة على أن الاستهزاء بالأنبياء دأبهم، والمعنى: إن استهزاء الأمم السالفة بالمرسلين لم يمنع لطفه تعالى بهم من تحذيرهم وإرسال الرسل إليهم، وأنتم أيها المشركون على سنتهم، فالكلام ينطبق عليه: اياك أعني واسمعي يا جارة.

قوله تعالى ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٨﴾

قوله (فأهلكنا أشد منهم بطشاً) الفاء للتفريع، أي: فأفنى الله من تلك الأمم الكافرة من كان أشد قوة من قومك، فليحذروا، لأن سنة الله جارية في إهلاك الكافرين.

وإهلاك الله لهم كان بعذاب الاستئصال، والجار والمجرور (منهم) متوسط بين اسم التفضيل ومميزه، وضمير جمع الغائبين فيه راجع إلى كفار قريش، والبطش القوة.

قوله (ومضى مثل الأولين) أي: أصبحوا خبرا من الأخبار، لا أثر لهم، كأن لم يغنوا فيها، أو تحتل معنى: أن ذكر إفناء الأولين سرى مسير المثل، لأنه مضى ذكر قصتهم في القرآن كثيرا.

قوله تعالى ﴿ وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾

قوله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض) الكلام لتثبيت جهل مشركي قريش على أنفسهم، والخطاب للنبي ﷺ، صيغ بالشرط والقسم لأهميته، وخلق السماوات والأرض اختراعهما لا على مثال سابق.

قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) جملة جواب القسم، مؤكدة باللام ونون الفعل، الواقعة في الجواب، لإقرار المشركين على أنفسهم بأن الله الخالق ثم عبدوا غيره وأنكروا البعث، وقد كان ذلك شأن الوثنيين.

وضمير التأنيث الجمعي في (خلقهن) راجع إلى السماوات والأرض، لأنها غير عاقلة، والقسم المحكي على السنة المشركين بإسناد خلق السماوات والأرض إلى (العزيز العليم) لعجزهم عن أن يسندوا ذلك إلى حجارة صماء، قال في التبيان: وليس في ذلك ما يدل على أنهم كانوا عالمين بالله ضرورة، لأنه لا يمتنع أن يكونوا عالمين بذلك استدلالا، وإن دخلت عليهم شبهة في أنه يستحق العبادة. انتهى.

قوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠﴾

قوله (الذي جعل لكم الأرض مهذا) موقع جملة الموصول الصفة أو البدل
للـ (العزیز العليم)، والكلام مضمونه إثبات تفرد الله بالجمع بين الخلق
والتدبير، فالآية وما بعدها تثبت ذلك في مصنوعاته تعالى.

والجعل هنا بمعنى الخلق، واللام في (لكم) لام الغاية، أي: لأجل انتفاعكم،
والخطاب لعموم السامعين، وتعريف الأرض للعموم، والمهد الوطاء،
وتشبيه الأرض بالمهد من التشبيه البليغ، إشارة إلى بسطها وصلاحيتها
للاستقرار والسكن والراحة، ونصب اللفظ على الحال.

قوله (وجعل لكم فيها سبلا) أي: وجعل لأجلكم في الأرض سبلا كثيرة
سالكة بين الجبال والأودية والبراري لغرض الانتقال من مكان إلى مكان
في الأسفار، وتكرار الصلة (لكم) لتعظيم الانفراد بالجعل.

قوله (لعلكم تهتدون) جملة تعليل، أي: لعلكم تهتدون بها إلى مقاصدكم في
أسفاركم، والالتفات في الآية من الغيبة إلى الخطاب لإفادة إظهار المنة
والإنعام.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُكَ ﴿١١﴾﴾

قوله (والذي نزل من السماء ماء بقدر) الكلام من دلائل وحدانيته تعالى في ربوبيته وتدبيره، لأن إنزال المطر من السحاب يكون بفعل عوامل معقدة تبدأ بتحريك الرياح السحب المكثفة وسوقها إلى بعض في طبقات الجو العليا، لإحداث تماس ناري بينها يترتب عليه نزول الماء إلى التربة، وإحيائها بإنبات النبات وسقي الأحياء.

وتقييد التنزيل بقوله (بقدر) للإشارة إلى إتقان تدبيره تعالى، أي: بكمية معينة، لضمان الفائدة لأهل تلك البقعة من الأرض، لأن إنزاله بغير قدر يعني الإغراق والإتلاف كما في حال قوم نوح.

قوله (فأنشرنا به بلدة ميتا) الفاء للتفريع، والإنشار الإحياء، والهاء في (به) أي بالماء، والبلدة مجمع الأرض المأهولة من السكان، وتنكيرها للعهد، ووصفها بالميت استعارة لجذبها وخلوها من النبات.

قوله (كذلك تخرجون) جملة الغرض، أي: كذلك الإنشار للأرض بعد أن كانت ميتة يبعثكم الله، ويخرجكم من قبوركم إلى الحشر والحساب.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾

قوله (والذي خلق الأزواج كلها) الصفة آية أخرى من دلائل تفردته تعالى بالالوهية، والأزواج الأنواع والضروب، والله تعالى خلق كل شيء مقرونا إلى ما يكمله محتاجا إلى نوعه، مثل الأحياء كالذكر والأنثى، وكالجهات

مثل فوق وتحت، وكالأزمنة نحو ماض وحاضر، وكالصفات مثل أسود وأبيض، فأما هو سبحانه فهو الفرد المنزه عن كل قرين، قائم بذاته مستغن عن غيره، وفي هذا المعنى قوله ﷺ في نهج البلاغة: كل مسمى بالوحدة غيره قليل. انتهى. وذلك لأن الواحد أقل العدد، وكل واحد من الممكنات مفتقر إلى شريكه، ضعيف محتقر لقلة أعوانه، إلا الفردانية في جانب الله فإنها مشعرة بالعظمة ودالة على علو الذات عن التركيب، ووصفه بها تقديس وتنزيه.

قوله (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) ألهم الله الإنسان صنع السفينة لينتقل بها في سفر البحر، وسخر له الإبل للتنقل في سفر البر، فلذا تسمى سفينة البر.

وفعل الركوب أخص بالأنعام، لذا غلب جانبها على الفلك، فعدي بنفسه، وإذا استعمل مجازاً للفلك تعدى بـ (في) نحو قوله تعالى (وقال اركبوا فيها) [هود ٤١]، وقال (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) [العنكبوت ٦٥].

قوله تعالى ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(١٣)
قوله (لتستووا على ظهوره) جملة تعليل للجعل، أي: لتستقروا على ظهور الأنعام، وذلك من إنعام الله على عبده في أن يريحه في التنقل والأسفار.

والاستواء الاستقرار والاعتدال، و(على) مجاز للاستعلاء والثبوت، والظهور جمع ظهر، قال الراغب: وظهر الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض، فلا يخفى، وبطن إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى، ثم صار مستعملا في كل بارز مبصر بالبصر والبصيرة. انتهى.

وضمير التذكير في (ظهوره) عائد إلى الضمير المضمرة في (ما) وليس إلى الأنعام، وفيه وجوه آخر لمن شاء الرجوع إلى التفاسير.

قوله (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) تفيد (ثم) العطف المترخي في ترتيب الكلام، ونصب الفعل لعطفه على (لتستووا)، وذكر نعمة الله بإحضار معناها في النفس لتكون سببا إلى الانقياد إلى طاعة المنعم، وفي إضافة الرب إلى كاف خطابهم إشارة إلى مربوبيتهم له تعالى، واحتياجهم إلى مولاهم. والهاء في (عليه) عائد إلى (ما) أيضا.

قوله (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) حذف نون فعل القول لأنه معطوف على منصوب، والقول من جملة تذكر النعمة، وصيغة التسبيح صيغة تعجيب من أمر التسخير، وجملة الموصول علة له، والتسخير التطويع والتذليل، واللام في (لنا) للغاية، أي: لأجل نفعنا. واسم الإشارة للفلک والأنعام.

قوله (وما كنا له مقرنين) جملة حالية، أي: في حال ما كنا له مقرنين، أي مطيقين قرنه وركوبه، لأن الصعب بطبيعته لا يكون قرينة للضعيف.

ونفي الكون أشد النفي، والهاء في (له) عائد إلى اسم الإشارة، والإقران الإطاقة.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾

الكلام من تنمة القول، أي: وإنا إلى ربنا لراجعون، وفيه تأديب للنفس بأن عليها وهي تتركب المركوب للسفر أن تتذكر سفرها إلى ربها في رحلة الموت، وأن يكون ذلك داعيا إلى عبادته والعمل بطاعته، فـ (من تذكر بعد السفر استعد) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي كتب التفسير وبعض الصحاح، روي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا سافر وركب راحلته، كبر ثلاثا، ثم يقول: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، والعمل بما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال. وإذا رجع قال: (أئبون تائبون لرَبنا حامدون). انتهى.

وتعلمه الإمام علي عليه السلام، وأضاف عليه، ففي نهج البلاغة: اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال، اللهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، ولا يجمعهما غيرك، لأن المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً. انتهى.

ونبه الإمام الحسن عليه السلام رجلاً أغفل التحميد لما سمعه يقول وهو يركب دابته: (سبحان الذي سخر لنا هذا) فقال: أبهذا أمرتم؟ فقال: وبم أمرنا؟ قال: أن تذكروا نعمة ربكم. رواه الزمخشري في الكشاف. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾



قوله (وجعلوا له من عباده جزءاً) العطف على قوله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض)، لأن الكلام في بيان أحوال المشركين ومزاعمهم الكاذبة، ومنها قولهم إن الملائكة بنات الله من سراوات الجن.

وفعل الجعل هنا بمعنى: حكموا، وأثبتوا، والهاء في (له) أي: لله، و(من) للتبعيض، وذكر لفظ العباد مضافاً إلى هاء الجلالة لبيان إبطال الادعاء، وجيء بلفظ الجزء لإفادة استحالة الجعل، والجزء أريد به الولد، لأن ولد الرجل جزء منه، منفصل عنه، وصورة له، ولهذا يقال للولد بضعة، أي قطعة، ومنه قوله عليه السلام: فاطمة بضعة مني، وقول أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام: ووجدتك بعضي. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (إن الإنسان لكفور مبين) جملة تذييل وتأکید، وأراد بلفظ الإنسان أنفسهم، والكفور الشديد الجود، ووصفه بالمبين لإفادة أن كفره بنعم الله ظاهر في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى ﴿ أَمْ أُتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ ﴿١٦﴾

قوله (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم: منقطعة بمعنى: بل، والاستفهام المحذوف بعدها يفيد الإنكار بتقدير: بل أأخذ، أي: إنكار أن يتخذ من بعض خلقه بنات ويعني بهم الملائكة، لأن ذلك من زعم المشركين.

قوله (وأصفاكم بالبنين) الواو تفيد الحال، أي: في حال أترككم بالبنين، وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، لأنه في مقام التوبيخ.

ولا ريب في أن التوبيخ والإنكار لأصل جرأتهم على الله بزعم اتخاذ الولدية، لأن ذلك يتنافى ومقام الألوهية، وعلى هذا فلا يعني إنكار اتخاذ البنات الرضى باتخاذ البنين، فنذهب إلى التفاضل بين البنين والبنات، فنقول إن هذا أفضل النوعين أو ذاك أخس الصنفين، فليس مقام الآية ذلك، وإنما هو خطاب تقرّيع لجهلهم في إثبات أنفسهم على الله حتى وهم يزعمون البنوة على ربهم، ومن هنا فإن تنكير لفظ البنات وتعريف لفظ البنين بالنسبة إليهم لأنهم من يحتقرون البنات ويعظمون البنين.

ونظير الآية قوله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا) [الإسراء ٤٠].

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ﴿١٧﴾

قوله (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً) لما ذكر زعم المشركين اتخاذ الملائكة بنات، استخفافاً بربهم ذكر ما يؤيد ذلك، وهو احتقارهم للبنات، ساعة يخبرون بما وصفوا الله.

والعدول في الكلام من خطاب الحضور إلى الغيبة، للإخبار عن سوء سيرة المشركين، والتعجيب من فساد أخلاقهم.

وفعل التبشير أصله الإخبار عما يسر، واستعمل على سبيل التهكم بالمشركين، والإتيان بجملة الموصول لتشنيع ما افترخوا على ربهم، وضرب المثل لله تشبيهاً بما يماثله في الألوهية، فلفظ المثل معناه الشبه.

وخصت صفة الرحمن بالذكر للإشعار بإمهال الله لهم على جرأتهم، فمن رحمته تعالى عدم معاجلتهم بالعذاب مع استحقاقهم.

ومعنى (ظل) صار، واسوداد الوجه كناية عن شدة غضبه وغمه لما سمع من ولادة بنت له، وكان الجاهليون لمقتهم البنات وشعورهم بعارها وصل بهم الحال أن يدوهم بدفنهن في التراب أحياء، وقد حكى القرآن ذلك في قوله تعالى (وإذا المؤودة سُئلت) [التكوير ٨].

قوله (وهو كظيم) جملة حالية مبينة لاسوداد الوجه، والكظم حبس غضب النفس بعد أن بلغ غايته فيمنعها من الكلام.

والكلام في الآية نظير قوله تعالى (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) [النحل ٥٩].

قوله تعالى ﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ ﴿١٨﴾

قوله (أو من ينشئوا في الحلية) الكلام إنكار بعد إنكار لفساد اعتقاد المشركين، وجهالتهم بمقام الألوهية، وسياق الكلام يؤكد ذلك وليس همه الانتقاص من البنت وإنما الآية في معرض تسفيه عقولهم وتوبيخهم.

وهمزة الاستفهام للإنكار، والذي ينشأ في الزينة والحلية ويتربى هي البنت لأنها بفطرتها تميل إلى ذلك.

قوله (وهو في الخصام غير مبين) ضمير الفصل عائد إلى الضمير في اسم الموصول (من)، والخصام المجادلة في الكلام، ونفي الإبانة بمعنى قلة الحجة في المخاصمة، والكلام كناية عن أن حياء المرأة وعفتها - إجمالاً - يجعلها غير مبينة لحجتها في حال المخاصمة، لذلك لا فائدة من اتخاذها بنات بدلاً من البنين.

والكلام كما ترى سياقه ومضمونه التهمك بعقول المشركين، وليس من وكده أن يضع من المرأة ويرفع من منزلة الرجل.

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ ﴿١٩﴾

قوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثا) الكلام لتبيان مفسدة أخرى لمشركي مكة تضاف إلى مفاسدهم الاعتقادية، أي: جعل المشركون

الملائكة بنات الله، وجملة الموصول محلها الصفة جيء بها لتحقيق غرضين: الأول منهما لبيان تناقض زعم المشركين في نسبة الولدية إلى الخالق مع أنهم مقصورون في عبادة الله، لذلك جيء بضمير الفصل (هم)، والغرض الثاني للرد على المشركين بنفي أن تكون الملائكة إناثا فقيل: هم، وليس هن، للدلالة على معنى تذكيرهم تذكيرا لا يلزم منه الذكورة الحيوانية التي بها التناسل، فالملائكة مخلوقات غير متصفة بذلك.

قوله (أشهدوا خلقهم) استنكار وتوبيخ للمشركين، لأنهم لم يحضروا خلق الملائكة فيعرفوا نوع جنسهم، فهو زعم بلا دليل، وضمير الجمع في (شهدوا) راجع إلى المشركين، وفي (خلقهم) إلى الملائكة.

قوله (ستكتب شهادتهم) إخبار مستقبلي مضمونه التهديد، والكتابة التسجيل والتوثيق في صحائف أعمالهم، والشهادة قولهم وافترائهم على ربهم في ادعاء الملائكة بنات له تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

قوله (ويسئلون) أي: ويحاسبون يوم القيامة على افتراءهم، ويجزون على أعمالهم.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

قوله (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الآية تعرض مفسدة أخرى من مفاصلهم الاعتقادية كان المشركون يحتجون بها لتسويغ شركهم بالله،

ومثلها قوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء) [النحل ٣٥].

والمشركون بنوا منطقهم الباطل على مقدمتين إحداهما إن عبادتهم بمشيئة الله، والثانية لازمة استنتجوا منها رضى الله عنها، فظهر جهلهم في الثانية، لأن مشيئته تعالى لا تعني إلغاء الاختيار للمكلف.

وبعبارة ثانية هم يرون أن عبادتهم الشركية لمعبوداتهم برضى الله، لأنه قادر على منعهم منها، فكونه لم يشأ يعني أنه راض عنها، وهذه شبهة داحضة، فهم من جهة يؤمنون بقدرة الله تعالى، ولكنهم يموهون على أنفسهم في الخلط بين التكوين والتشريع، فالله تعالى أجرى مشيئته في خلق كل شيء بنظام العلية، ومنه منح حق العبد في اختيار العمل من دون أن يلجئه على فعل ثم يعاقبه.

وضمير النصب في (عبدناهم) راجع إلى معبوداتهم وأكثرها من الأصنام، لأن قلة من العرب كان يعبد الملائكة.

قوله (ما لهم بذلك من علم) أي: ليس لهم بذلك القول أي علم، فهي مغالطة وجعل.

قوله (إن هم إلا يخرصون) جملة تقرير، مؤكدة بأسلوب القصر، أي: شأنهم الخرص والكذب.

قوله تعالى ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمُ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهَم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ ﴿١١﴾

قوله (أم آتيناهم كتابا من قبله) بعد أن ثبت باطل قول المشركين من جهة العقل أضرب عنه إلى إثبات باطله من جهة النقل.

ف (أم) منقطعة بمعنى (بل)، يعقبها همزة استفهام مقدر لإنكار زعمهم بمشيئة الارتضاء بعبادتهم الشركية، والإتيان الإعطاء، والكتاب المكتوب السماوي الذي يثبت زعمهم، و(من) مزيدة للتأكيد، والهاء في (قبله) راجعة إلى القرآن.

قوله (فهم به مستمسكون) الفاء للتعقيب، وتقديم (به) للعناية، والهاء راجعة إلى الكتاب، والاستمساك مبالغة في الأخذ والالتزام بما فيه.

ومحصل المعنى: أنهم لما لم يستندوا فيما قالوا إلى دليل عقلي ولا نقلي وجب أن يكون قولهم باطلا وضربا من الجهل والكذب.

قوله تعالى ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾

قوله (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) بل: للإضراب الانتقالي عما سبق من الكلام، لتأكيد حقيقة المشركين، وهي تعصبهم لطريقة آبائهم في عبادة غير الله، فالقول منهم لما لم يثبتوا بطريق الحس لا عقلا ولا نقلا صحة عبادتهم، أقرروا فيه بأنها تقليد أعمى لا علاقة له بعلم.

وفعل الوجدان دال على العلم بالشيء مصادفة، ولفظ الآباء تطلق على الأجداد والأعمام والآباء الصليبيين، ويراد به أسلافهم، و(على) حرف للمجاز الاستعلائي، و(أمة) من الأم وهو القصد، ويراد بها الطريقة التي تأم أي تقصد.

قوله (وإنا على آثارهم مهتدون) جملة تأكيد للإصرار على السير بطريقة الشرك، عبادة أسلافهم، وتقديم الظرف للاهتمام استعارة لتقليد الاتباع، و(مهتدون) خبر (إن)، أي: مهتدون بهداهم.

قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

قوله (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها الخطاب للرسول ﷺ، والتشبيه في (وكذلك) بمعنى: وكذلك التمسك بالتقليد المتعصب لعبادة الآباء سارت الأمم بهذه السيرة، فما يبعث الله رسولا نذيرا إلا كذبه المترفون.

و(من) الأولى مزيدة للتأكيد، والثانية مزيدة لتقوية العموم، والنذير الرسول المخوف من عاقبة الشرك بالله، وذكر من دون لفظ البشير لمناسبته لمقام أهل الكفر، والظرف (من قبلك) أي: من الرسل الذين سبقوا النبي ﷺ، وتعدية فعل الإرسال بـ (في) بدلا من (إلى) لإفادة الملازمة، والقرية الحاضرة ضد البادية وتنكيرها للعموم وخصت بالذكر لأنها مجتمع أكثر

الناس، وفيها أهل الرأي والحل والعقد وهم المترفون ممن حملهم بطر العيش وحب لذائذ الدنيا على الكسل في طلب الحق، بل ومناهضته ومحاربة أهله، ومن هنا أثر عن الرسول ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

قوله (إنا وجدنا آباءنا على أمة) مقول قول مترفي القرية، يؤكدون إصرارهم على اتباع آثار أسلافهم وتقليدهم من دون عقل أو دليل.

قوله (وإنا على آثارهم مقتدون) جملة تقرير لما سبقها، وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفاصلة، والاقتداء بالاتباع، والمعنى ظاهر.

قوله تعالى ﴿ * قُلْ أُولُوْ جِبْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾

قوله (قال أو لو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) الكلام من الرسول النذير مخاطبا قومه: أتقولون ذلك حتى لو جئتم بدين أكثر هديا مما وجدتم عليه أسلافكم، أو: لا تهتدون حتى لو جئتم بدين هو أهدى لكم.

والاستفهام للتقرير، وتعدية فعل المجيء بالباء لتضمنه معنى الإحضار، وإنما قال (أهدى) مع أن اعتقاد الكافرين باطل من آداب المخاصمة في استنزال الخصم من علياء تكبره وعناده.

قوله (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) الرد دال على شدة إصرارهم على الكفر، فقد أجابوا بأنهم كافرون أصلاً بدعوة التوحيد التي جاء بها النذير، والجمع في (أرسلتم) لأن الكلام على نحو الإجمال في الحكاية عن سنة الأمم الدارجة الكافرة، فطريقتهم في الكفر واحدة.

قوله تعالى ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

قوله (فانتقمنا منهم) الفاء للتفريع، والانتقام مجاز في إنزال أشد العذاب في الأمم الجاحدة السابقة.

قوله (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) الفاء للترتيب الكلامي، والخطاب للنبي ﷺ ولكل ناظر سامع، والسؤال لتمثيل الحال، والعاقبة الختام، والتصريح بلفظ المكذبين للإشعار بعلّة سوء عاقبتهم والانتقام منهم، وقد كانت سنة الله تعالى جارية في إفنائهم.

والكلام في الآيات واضح الدلالة على تهديد مشركي مكة، والتحذير من الاستمرار في تكذيب النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

قوله (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه) الآيات شروع في ذكر المصاديق على التنظير، فذكرت ثلاثة أنبياء بحسب تسلسلهم التاريخي وهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

و(إذ) للظرفية الزمانية متعلقة بعامل تقديره: وأخبر قومك يا محمد ﷺ إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه المنكبين على عبادة غير الله المقلدين لأسلافهم.

وتقدم فيما سبق من سورة الأنعام والأنبياء والشعراء أن ذكر الأب في قصة إبراهيم أطلق على عمه آزر، وأما قوم إبراهيم فهم الصابئة كلدان أور في بابل، كانوا يعبدون الكواكب.

وفي البدء بذكر النبي إبراهيم ﷺ للعرب دلالات ضمنية، عقيب إثبات بطلان عبادتهم التي احتجوا لها بالتقليد واتباع الآباء، فإنه ﷺ رفض إلغاء العقل واتباع السنة الضالة لقومه في عبادة غير الله، وأما بالتعصب للآباء فإن كان للعرب أن يتعصبوا لآبائهم فليقتدوا بأشرف آبائهم وهو إبراهيم ﷺ.

قوله (إنني براء مما تعبدون) الفصل لأنه مقول قول إبراهيم، والبراء التفصي وهو مصدر استعمل للمبالغة، لا يثنى ولا يجمع، ولا يذكر ولا يؤنث، وفعل مضارع العبادة للاستمرار، وأورد الكلام بصيغة الجملة الاسمية للدلالة على شدة إيمان إبراهيم بربه، ورسوخ براءته من عبادة قومه في نفسه.

قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ ﴿٧٩﴾

قوله (إلا الذي فطرني) الاستثناء منقطع لأن عبادة الله ليست من جنس ما يعبد المشركون، والإتيان بالموصول وصلته لبيان الوجه في الاستثناء،

وهو أنه الخالق الموجد المستحق للعبادة. وفعل الفطر معناه الشق، استعارة للإظهار من العدم بالخلق.

وتحاذي جملة الاستثناء معنى جملة التوحيد، فقوله (إنني براء مما تعبدون) بمعنى: لا إله أعبد، وقوله (إلا الذي فطرني) تحاذي قوله: إلا الله.

قوله (فإنه سيهدين) الفاء للتفريع، والسين حرف استقبال، ومضارع الفعل للاستمرار، أي أنه تعالى سيهديني إلى كمال الهداية إليه وما وراءها، وقد أراه الله ملكوته.

قوله تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

قوله (وجعلها كلمة باقية في عقبه) أي: وجعل الله تعالى كلمة البراءة من عبادة غير الله التي أطلقها إبراهيم عليه السلام باقية في ذريته ونسله، بمعنى آخر: جعل الله ذرية إبراهيم غير خالية من موحد، والكلام يشير إلى حكاية قوله تعالى لدعاء إبراهيم (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم ٣٥].

وقيل في فاعل الجعل ومنصوبه تفسيرات أخرى، وما ذكر هو الأوفق بإذن الله.

وقيل فيما روي عن الصادق عليه السلام: إن الكلمة الباقية هي الإمامة في عقب الحسين عليه السلام. ذكر في المجمع. انتهى.

وقال السيد في الميزان مؤيدا وموضحا: والتأمل في الروايات يعطي أن بناءها على إرجاع الضمير في (جعلها) إلى الهداية المفهومة من قوله: (سيهدين) وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: (إني جاعلك للناس إماما) أن الإمام وظيفته هداية الناس في ملكوت أعمالهم بمعنى سوقهم إلى الله سبحانه بإرشادهم وإيرادهم درجات القرب من الله سبحانه. انتهى.

قوله (لعلمهم يرجعون) أي: لعل الموحدين من ذرية إبراهيم عليه السلام يرجعون غير الموحدين إلى عبادة التوحيد.

قوله تعالى ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾



قوله (بل متعت هؤلاء وآباءهم) بل: للإضراب الانتقالي عما يفهم من الآية السابقة بتقدير كلام محذوف كأنه قيل: وجعلها كلمة باقية في ذريته حتى يرجع غير الموحد إلى التوحيد فلم يوفقوا لذلك بل متع الله هؤلاء وآباءهم في مكة بلذائذ الدنيا حتى جاءهم الرسول ﷺ.

والتمتع الاستلذاذ باللذات المؤقتة كمد العمر وموفر الصحة وكثرة الأموال والأولاد، وفوق ذلك إمهال الله تعالى لهم بالعذاب، فكلها متع الدنيا التي بدلا من أن يشكروا الله عليها ويتقربوا بها إليه، جعلوها غايتهم فشغلتهن عن الإيمان بالتوحيد، واسم الإشارة لتحقير شأن مشركي مكة، وآباؤهم أسلافهم من أهل الشرك.

قوله (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) أي: إلى أن جاءهم الحق ورسول منه تعالى مبين. ولفظ الحق كناية عن القرآن فإنه الصدق الثابت الذي لا يتغير ولا يعتريه بطلان، ولفظ الرسول يراد به النبي ﷺ، وتكثيره لتعظيم شأنه، ووصفه بالمبين لأنه المبلغ لآيات الله في أتم بيان وأبلغ سبيل إلى الأفهام.

قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) أي: ولما بلغ القرآن قريشا بواسطة النبي ﷺ، أنكروه واتهموه بالسحر. وفعل المجيء كناية عن التبليغ، وإسناد المجيء إلى الحق مجاز عقلي للمبالغة، لأنه إنما جاءهم بواسطة النبي ﷺ، ولفظ الحق إشارة إلى القرآن كما تقدم في الآية السابقة.

وصيغ القول من كفار قريش بالجملة الإسمية لإفادة شدة انطواء نفوسهم على إنكار القرآن، واتهامه بالسحر، لأنه رأوه يحول سامعيه من الكفر إلى الإيمان.

قوله (وإننا به كافرون) الجملة مترتبة على اتهام القرآن بالسحر، وهي إنكارهم أن يكون من الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ



قوله (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الكلام منزلته التعليل لكفرهم بالقرآن، ودال على ضيق نفوس مشركي مكة وحسداهم للنبي ﷺ بأن حباه منزلة النبوة، فطعنوا بمكانته مع علمهم بجلالة قدره بينهم، وعظم شأنه فيهم، فقد كانوا قبل النبوة يدعونه الصادق الأمين، ولا ريب في أن القول صادر من مترفي مكة وأئمة الضلالة فيها، لأنهم يصنفون مراتب الناس على أساس كثرة المال والجاه، فحاسوا عليه مرتبة نزول الرسالة، وعظمة الرجال، فكان تقدير كلامهم: على فرض صحة القرآن وعدم افترائه ينبغي أن ينزل على رجل شريف كثير المال والجاه مطاع في قومه، وهذه شنشنة عرف بها طغاة الأمم السابقة، ولم تكن بدعا في قريش، وستعرض الآية في السورة احتجاج فرعون على رسالة موسى بالمنطق نفسه، وهو قوله تعالى (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب).

وقد حكى القرآن كثيرا من كفریات مشركي مكة واقتراحاتهم على الله، ومنها: قوله تعالى: (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) [الأنعام ٨]، وقوله (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) [الأنعام ٣٧]، و(لولا أنزل عليه كنز) [هود ١٢]، و(لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) [الفرقان ٢١]، و (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) [الفرقان ٣٢]، و (لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) [القصص ٤٨].

و(لولا) أداة تحضيض بمعنى: هلا، واسم الإشارة للتمييز ولا يراد به هنا التقليل من شأن المشار إليه، و(على) للمجاز للتمكن والاستعلاء، وتنكير (رجل) للتعظيم، والمراد بقوله (من القريتين): من إحدى القريتين، وهما مكة أو الطائف، والآية لم تعين اسم الرجل، فأجد من التحكم تحديده بما وجه به المفسرون أن الذي بمكة الوليد بن المغيرة، والذي بالطائف عروة بن مسعود الثقفي.

وشبه الجملة أعني (من القريتين) معترضة بين الموصوف (رجل) وصفته (عظيم)، وهم يعنون بالعظمة كما تقدم كثرة المال وامتلاك أسباب زخارف الدنيا، من غير اعتبار للخصائص النفسية الرفيعة، وقيم الكمال والفضيلة.

قوله تعالى ﴿أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُحْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢)

قوله (أهم يقسمون رحمة ربك) الاستفهام إنكاري دال على التعجيب والتجهيل من تحكم المشركين فيما لا يملكون. والمقصود بالرحمة النبوة، لأنها الرحمة الكبرى، يختص بها من يشاء من عباده، والخطاب في (ربك) لمزيد العناية بالنبي ﷺ لأن المشركين طعنوا في نبوته وشخصه.

قوله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) إثبات بعد نفي، يفيد القصر بضمير الفصل، والكلام من باب ضرب المثل بمعنى: أن الله تعالى

جعل الناس في مراتب مختلفة من معاش الحياة في الرزق والفقر والغنى والفتنة والبلاهة والصحة والسقم فلا قدرة لهم على تغيير ما قسم الله لهم، فكيف يدعون التحكم فيما هو أرفع منزلة من معاش زائلة وأبعد منالاً وهو النبوة.

قوله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) عطف تفسير على ما قبلها، وفعل الرفع، ولفظ الدرجات مجاز في علو المقام لمختلف التقدمة لبعض على بعض، فإن ذلك من تدبيره تعالى في حفظ نظام الناس من الإخلال، فجعل بعضهم يخدم بعضاً من موقعه وبعضهم يكمل نقص بعض من مكانه.

قوله (ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) جملة تعليل، ولفظ السخري مصدر مثل التسخير، أي يؤهل بعضاً بصفات يسخر بها من دونه، كأهل الفتنة والشجاعة والمال والعلم فإن هؤلاء وأضرابهم سخر لهم من دونهم، وما ذلك التأهيل والتسخير إلا لحكمة التدبير في منع نظام المجتمع من الإخلال.

قوله (ورحمة ربك خير مما يجمعون) أي: والنبوة خير من المال الذي يجمعونه، فكيف يقسمون قسمها إذا كانوا لا يملكون قسم المال بينهم.

قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾

قوله (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) جملة امتناع الشرط لامتناع الجواب لبيان ضالة الدنيا عند الله، وأنها ليست المعيار لعظم المنزلة كما يرى المشركون، فلولا رحمة الله بالناس لجعلهم على طريقة واحدة في الكفر، فممكنهم من أسباب الترف في الدنيا، حتى يلحق بهم الضالون والجاهلون، ولجعل المؤمنين في حرمان يزهد الناس في اللحاق بهم، وذلك لعلمه تعالى بأثر زخارف الدنيا في الناس، ولما لها من أثر في اتباع الأتباع، والله لم يفعل ذلك لأنه لا يحب انقراض الإيمان من نفوس الناس، بل قدر لهم التفاوت كل بحسب إيمانه وعمله.

قوله (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) جملة جواب (لولا)، أي لمكنا الكافرين من أسباب الدنيا وترفها.

وذكر الفضة والمعارج لسقف البيوت من باب المثال، والمعارج جمع معرج وهي المصاعد والسلالم التي يعلون عليها المساكن والسطوح.

واللام المفتوحة الأولى في (لجعلنا) واقعة في جواب (لولا)، أما اللامان المكسورتان فهما للملك، ويمكن أن تكون اللام الثالثة بمعنى (على بيوتهم)، وجملة (لبيوتهم سقفا) بدل من (لمن) والجمع المقترن بلفظ البيوت باعتبار المعنى المستكن في ضمير (من). وفعل الظهور بمعنى الصعود.

قوله تعالى ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

تكرار البيوت زيادة في تقرير الترف للكافرين، والمعنى: ولجعلنا لبيوت الكافرين أبوابا كثيرة وسررا عريضة يستندون إليها في جلستهم كالمملوك.

قوله تعالى ﴿ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

قوله (وزخرفا) العطف على (سقفا)، لذلك نصب، والزخرف الزينة والنقوش الجميلة التي تزين السقوف والجدران.

قوله (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أي: إن كل ذلك الذي ذكر من الزينة والزخارف لما متاع الحياة الدنيا.

و(إن) حرف نفي بمعنى (ما)، و(لما) بمعنى: إلا، والجملة تفيد قصر ما ذكر من البيوت المزخرفة المفصلة في متاع الحياة الدنيا الزائل القصير.

قوله (والآخرة عند ربك للمتقين) أي: والحياة الآخرة بقرينة ما تقدم من ذكر الحياة الدنيا، هذه الحياة هي السعيدة عند الله لأنها مخصوصة لجزاء المتقين الذين خافوا ربهم في الحياة الدنيا وعملوا لمرضاته.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ



قوله (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) الآية في معرض التنبيه من الغفلة، فإن المال والجاه في الدنيا يلهي عن طاعة الله، ويقرب إلى الشيطان، ومن هنا اتصال الكلام بما قبله.

والمعنى: أن من يتعمى عن القرآن الذي هو رحمة يهيي الله له شيطانه يلزمه، فلا ينفك عنه.

والفعل عشا من به ضعف في البصر، وهو إن كانت ألفه منقلبة عن واو أي: من الفعل عشي يعشوا، فهو الأعشى الذي يتشبه بالعشي الضعيف البصر، وإن كان بالألف المقصورة أي: عشى يعشى فهو الذي به آفة في بصره.

وتعدية الفعل بحرف التجاوز (عن) لتضمنه معنى التعامي، ولو تعدى بحرف الانتهاء (إلى) لتضمن معنى الاستدلال ببصر ضعيف، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: فو الله ما دفعت الحرب يوما إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة، فتهتدي بي، وتعشوا إلى ضوئي. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

والفعل (يعشوا) استعارة للإعراض عن القرآن وتجاهل آياته، ولفظ الذكر هو القرآن وأضيف إلى الرحمن لأنه الرحمة من الله للعالمين.

والتقييض الضم والإتاحة، وتنكير لفظ الشيطان أي شيطانا خاصا به يلزمه ولا يفارقه، وجواب الشرط كما هو واضح نتيجة للشرط ويكون بتخلية الله بين العاشي ونفسه، ورفع أطفاه عنه.

قوله (فهو له قرين) الفاء للتفريع، أي: فالشيطان لمن يعرض عن القرآن مصاحب له قرين يزيده إضلالاً.

قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٧)

قوله (وإنهم ليصدونهم عن السبيل) الواو تفيد الحال، وضمير جمع الغائبين في (وإنهم) راجع إلى الشياطين، وفي فعل الصد عائد إلى المعنى الجمعي المضمر في (من) الشرطية، وهم العاشون، وفاعل الصد الشياطين، والصد المنع بقوة، وتعريف السبيل للعهد الحضورى، أي يبعدونهم عن سبيل التوحيد الذي يدعو إليه القرآن.

قوله (ويحسبون أنهم مهتدون) ضمائر الجمع الثلاثة راجعة إلى العاشين عن ذكر الرحمن، فبسبب اقتران الشيطان بهم يزين لهم باطلهم فيظنون أنهم على الحق والهداية. والأفعال المضارعة في الآيتين دالة على التجدد والاستمرار.

قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ

فَيَسْأَلُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾

قوله (حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) تفيد (حتى) ابتداء غاية استمرار فعل الصد والحسبان في الآية السابقة، وفي الكلام عود إلى الضمير الإفرادى في (جاءنا وقال) باعتبار لفظ (من)، لتحويل

أمر كل عاش يوم القيامة، كأنه يحكى عن كل فرد منهم، فالمراد بالمجيء بعث العاشي للحساب، يقول لقرينه الشيطان متمنيا بعده عنه بعد ما بين المشرق والمغرب لاستيقانه بالعذاب، وروي: أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره شفع بيده شيطان ولم يفارقه، حتى يصيرهما الله إلى النار. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

والعرب تغلب المشرق على المغرب وتضيف إليهما لفظ البعد، فيقولون للمبالغة في التباعد: بعد المشرقين.

قوله (فبئس القرين) جملة ذم متفرعة على ما تقدم، من تنمة قول العاشي، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: فبئس القرين أنت، أي الشيطان.

قوله تعالى ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾

الخطاب في (ولن ينفعكم) من الله تعالى للكفار العاشين وشياطينهم في ذلك اليوم على سبيل تقريعهم، أي: إن اشتراك الكافرين وشياطينهم في العذاب لن يخفف عنهم العذاب يوم القيامة، لأن لكل أحد منهما نصيبه الأوفر من العذاب، ولشدته يشتغل كل واحد بنفسه فيذهل عن الآخر، والنفي التأييدي بـ (لن)، زيادة تقرير لألم العذاب، لأن المصيبة إذا عمت ربما خف مصابها، لكن السلوة بينهم يومئذ لا تنفع بشيء.

وجملة الظرف (إذ ظلمتم) محلها السبب، أي بسبب ظلمكم لأنفسكم في الحياة الدنيا بأن عرضتموها للعذاب.

وجملة (أنكم في العذاب مشتركون) محلها الرفع فاعل (ينفع)، وتقديم الجار والمجرور للاهتمام بالمتقدم.

وضمائر جمع المخاطبين الأربعة في الآية كلها مشار بها إلى المعرضين العاشين عن ذكر الرحمن وقرنائهم.

قوله تعالى ﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٤٠﴾

قوله (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي) الفاء للتفريع، والاستفهام للإنكار والتعجيب، تقدم على الفاء لأن له الصدارة في الكلام، والخطاب الإنكاري للرسول ﷺ، لأنه كثير المجاهدة لدعاء قومه إلى التوحيد وهم يزدادون صدودا عنه، وفعل الإسماع مجاز في تقبل الكافرين لدعوة التوحيد، وكنى عنهم بالصم والعمي على سبيل التدرج في ترتيب المعاني، لأن أول أمر المشركين أنهم وصفوا بالعشي، وهو كمن به رمد، فلا يستبين الأمر كما ينبغي، ثم لما أشغلوا أنفسهم بطلب الدنيا وزخارفها ازدادوا بعدا عن دعوة الهدى فكان كمن صم وعمي، فلم يعد ينفع معه نصح أو هداية.

ولفظ الصم جمع أصم وهو الذي فيه وقر في السمع، ولفظ العمي جمع أعمى وهو الفاقد البصر، وكلاهما من الاستعارة للكافرين، لأن بهما يهتدى إلى الحق.

قوله (ومن كان في ضلال مبين) العطف لدخول المعطوف في جملة الإنكار، أي: لا تسمع من ترسخت نفسه في الضلال الواضح.

قوله تعالى ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ ﴿٤١﴾

قوله (فإما نذهب بك) الفاء للتفريع، و(إما) مكونة من (إن) الشرطية و(ما) الزائدة للتأكيد، والإذهاب يحتمل معنى التوفي من الدنيا، ويحتمل الانتقال بإخراجه ﷺ من مكة إلى المدينة.

قوله (فإننا منهم منتقمون) الفاء واقعة في جواب الشرط، والجملة مشددة في إنزال أشد العقاب في المشركين، سواء بعد وفاة النبي ﷺ، أو في حياته، وقد كان ذلك فعلاً، فقد أرى الله نبيه ﷺ إهلاك عتاة قريش وأخذهم بالذل لمن بقي منهم.

وللآية وجه آخر من التفسير، فقد روى أهل التفسير أن للكلام صلة بأهل القبلة أكثر من كفار قريش، فقد نقل صاحب الدر المنثور وغيره فقال: أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن قتادة في قوله: (فإما نذهب بك فإننا منهم منتقمون) قال: قال أنس ذهب رسول الله ﷺ وبقيت النعمة، ولم ير الله نبيه في أمته شيئاً

يكرهه حتى قبض، ولم يكن نبي قط إلا وقد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم، رأى ما يصيب أمته بعده، فما رُئي ضاحكا منبسطا حتى قبض. انتهى.

وفي مناقب الأصفهاني، وكذلك في الدر المنثور: أخرج ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في قوله تعالى: (فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون) نزلت في علي بن أبي طالب انه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾

قوله (أو نرينك الذي وعدناهم) التردد الثاني للشرط بمعنى إراءة الله لنبيه ﷺ في حياته ما يحل في مشركي مكة من قتل أو أسر أو أخذ، فإن ذلك هو وعد الله الذي وعدهم به وحذرهم منه، وجزم (نرينك) على العطف، لأنه داخل في الشرط.

قوله (فإننا عليهم مقتدرون) جملة جواب الشرط، والاعتذار الغلبة والظهور، وإيراد الجملتين أعني (فإننا منهم منتقمون) و(فإننا عليهم مقتدرون) بصيغة الجملة الاسمية المشددة لإفادة الثبوت والدوام، وفيهما كمال التسلية من الله لنبيه ﷺ.

قوله تعالى ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٤٣﴾

قوله (فاستمسك بالذي أوحى إليك) الفاء للتفريع على معاني ما سبق في أحقية الذكر والنبوة، وأن منكريه الصم العمي قرناء الشياطين، والخطاب للرسول ﷺ.

وفعل الاستمسك مبالغة في جدية الأخذ، والذي أوحى إلى النبي ﷺ هو القرآن وما فيه من آيات وشريعة، وإنما جيء بصيغة الموصول لفائدة تعليل الأمر.

قوله (إنك على صراط مستقيم) فصل الكلام لأنه علة لما قبله، أي: لأنك على صراط مستقيم، وحرف الجر (على) مجاز للتمكن والاستعلاء، والصراط سبيل الهداية التامة، ووصفه بالاستقامة لأنه موصل إلى الغاية المطلوبة ببسر وأمان.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

قوله (وإنه لذكر لك ولقومك) أي: وإن هذا الذكر وهو الكتاب أو ذكر الله عامة لشرف لك أيها النبي ﷺ ولقومك العرب تذكرون به بين الأمم.

وتتكير لفظ الذكر للتعظيم، ولا ريب في أنه مطلب عظيم أن يعيش الإنسان حياة الذكر الجميل بعد وفاته، ولذا سأل إبراهيم عليه السلام ربه ذلك، فقال عز وجل في الحكاية عن دعائه (واجعل لسان صدق في الآخرين) [الشعراء

[٨٤

قوله (وسوف تسئلون) أي: وسوف تحاسبون يوم القيامة على أمر قيامكم بحقوقه ومدى الالتزام بمضامينه، وهل أدبتم حق شكر هذا الشرف.

قوله تعالى ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾

قوله (وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته، لبيان أن دعوة الرسل إلى التوحيد واحدة، وأن ما جاء به النبي ﷺ ليس بدعا من دون الرسل حتى يكذب ويفترى عليه.

قوله (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) السؤال سؤال إنكار، أي: لم يجعل الله من دونه آلهة يعبدون، وتقديم شبه الجملة للاهتمام، و(من) مزيدة للتأكيد.

وقيل إن الآية مما خوطب به الرسول ﷺ ليلة المعراج أن يسأل أرواح الأنبياء عليهم السلام وأنه اجتمع بهم فسألهم هل دعوا إلى دين وراء دين التوحيد، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه: وأما قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) فهذا من براهين نبينا ﷺ التي آتاه الله إياها وأوجب به الحجة على سائر خلقه، لأنه لما ختم به الأنبياء وجعله الله رسولا إلى جميع الأمم وسائر الملل خصه بالارتقاء إلى السماء عند المعراج، وجمع له يومئذ الأنبياء، فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه. ذكر في الاحتجاج. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ
إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾

قوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه) ذكر دخول موسى ﷺ على فرعون في مقام التمثيل للرد على قريش بترجيحها الرجل على النبي بكثرة ماله، فقد قاس فرعون من قبل بقياس المال والسلطة، فحكم بأنه خير من موسى في الإرسال لو صح ذلك عن الله على حد زعمه.

والتأكيد بحرف التحقيق ولام القسم لمقام إنكار السامعين من مشركي مكة، والباء المقترن بلفظ الآيات للمصاحبة، وسمى المعجزات التي أيد الله بها نبيه آيات لأنها ظاهرة لا شبهة في خرقها للعادة، وجمعها لأنها أكثر من آية مأخوذ فيها أول لقاء موسى بفرعون وما بعده، لأن إيراد القصة على سبيل الإجمال.

ودل عطف لفظ الملاء على فرعون أنهم غاية الإرسال لأنهم أعوانه في الظلم وكان لا يقطع رأيا من دونهم، والملاء في اللغة هم الأشراف الذين يملؤون المكان هيبة.

قوله (فقال إني رسول رب العالمين) الفاء لتفريع الإخبار على الإرسال، والقول دال على ثقة موسى ﷺ بنفسه، لأنه حكى عنه بثبات راسخ بصيغة الجملة الإسمية المؤكدة. واختيار الصفة (رب العالمين) للرد على زعم فرعون لقومه أنه ربهم الأعلى.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾

قوله (فلما جاءهم بآياتنا) الفاء للتفريع، و(لما) حرف شرط يفيد التوقيت، ومجيء موسى بالآيات بمعنى إحضارها محسنة مشاهدة، وإضافة لفظ الآيات إلى نون الجلالة لتعظيمها.

قوله (إذا هم منها يضحكون) تفيد (إذا) معنى الفجاءة، أي: سارع فرعون وقومه إلى الاستهزاء بآيات الله بدلا من الإيمان بها.

قوله تعالى ﴿ وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾

قوله (وما نزيهم من آية إلا هي أكبر من أختها) الواو للحال، والكلام مصوغ بالقصر لشدة تأكيد معناه، والإراءة للعيان والبصر، لأن معجزات موسى كلها مرئية مشاهدة، و(من) مزيدة لتأكيد العموم، وتتكير لفظ (آية) للعموم، والإخبار بأنها أكبر من التي قبلها باعتبار الرائي يحسب من كمال إعجازها أنها أكبر من كل ما رآه من غير نقصان أو قصور في شيء منها، والمراد المبالغة في تصوير كبر المعجزات.

والتعبير عن الآية بلفظ الأخت مجاز للمماثلة بين الآيات، وأنها من سنخ واحد.

قوله (وأخذناهم بالعذاب) فعل الأخذ من جميل التعبيرات الكنائية في القرآن الكريم، التي يراد بها الإهلاك، فهي دالة على أنهم أثبتوا فلم يقدرُوا على الإفلات من عقاب الله في الدنيا، وكان الله تعالى قد سلط عليهم عذاب السنين والطوفان والقمل والجراد والضفادع والدم.

قوله (لعلهم يرجعون) جملة تعليل، أي: لعل ذلك العذاب يحملهم على الرجوع عما هم فيه من الكفر والطغيان.

قوله تعالى ﴿وَقَالُوا يَأَيُّهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ 

قوله (وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك) الجمع في (قالوا) راجع إلى قوم فرعون في تلك الحالة من العذاب، وخطاب موسى بالتعظيم في ندائه وبصفة السحر لأنهم يعدون الحاذق في السحر عظيما مهابا، فقد كانوا يستعظمون علم السحر.

والأمر في فعل الدعوة ولام الغاية في (لنا) بمعنى: اسأل ربك لأجلنا يكشف عنا العذاب، وإنما أضافوا لفظ الرب إلى كاف موسى لأنهم يجهلون مقام الألوهية، فعرفوه بمعرف عندهم، والباء في (بما) بمعنى السبب، أي بسبب ما عهد إليك من النبوة والرسالة.

قوله (إننا لمهتدون) الجملة محلها الجواب للأمر (ادع)، أي إننا لمؤمنون بالذي جئت به موسى.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾

قوله (فلما كشفنا عنهم العذاب) الفاء للتفريع على سؤالهم موسى، وفعل الكشف متضمن معنى الإزالة بدليل تعديته بحرف التجاوز، وتعريف العذاب للعهد فقد سلط الله عليهم كما تقدم أنواع العذاب لزجرهم فلم ينزجروا.

قوله (إذا هم ينكثون) جملة جواب لـ (لما) دالة على سرعة نكثهم ونقضهم ما وعدوا من الاهتداء بالله.

قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْتَظِرُ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾

قوله (ونادى فرعون في قومه) الواو للعطف على قوله (ولقد أرسلنا موسى) لأنه رجوع بالكلام إلى قص تمامه، ونداء فرعون دال على رفع صوته لقومه بنفسه أو بمناديه بعدما سمع من موسى بأنه (رسول رب العالمين) مستكثرا عليه النبوة والرسالة، و(في) للملابسة الظرفية، وقومه هم ملؤه من آل فرعون.

قوله (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) القطع لأن (قال) جواب (نادى)، وسؤال فرعون لقومه على سبيل تقرير ملكه لمصر، وجملة (وهذه الأنهار) معطوفة على مصر، وجملة (تجري من

تحتي) محلها الحال، وأنهار مصر التي تجري من تحت قصره، كناية عن علوه، وقيل هي أربعة أنهار: النيل وفروعه الثلاثة.

وقياس قريش الذي حكاه الله تعالى في قوله (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) هو عين قياس فرعون في أن المخدوم هو الأولى بالرسالة، لأن سنة الكافرين واحدة، ومن هنا وجه ذكر قصة موسى.

قوله (أفلا تبصرون) ثم فرع عليه نفي معاينتهم للقياس على الخيرية بينه وبين موسى، والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، لأنه جعل ما بعده جواب لـ (تبصرون).

قوله تعالى ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾

قوله (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) جملة (أم أنا خير) بدل من (تبصرون) لأنهم إذا قالوا: نعم أنت خير منه، كانوا بصراء، هذا إذا كانت (أم) متصلة، أما إذا كانت منقطعة بمعنى (بل) فإن الاستفهام حينئذ (أفلا تبصرون) يفيد التقرير.

واسم الإشارة لتحقير شأن موسى، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة التحقير، والتعبير بالإثبات (هو مهين) مبالغة في الطعن بموسى، ولفظ المهين من المهانة، أي: الدليل الضعيف.

قوله (ولا يكاد يبين) أي: ولا يكاد يظهر معنى ما يريد في كلامه، فكيف يبعثه الله رسولا عنه، والكلام من فرعون افتراء على موسى للانتقاص منه

في أعين الناس، باعتبار ما كان في لسانه نوع رتبة، لأن موسى تربى في قصر فرعون، وهو لا يعلم أن الله أذهبها عنه لقوله تعالى (قد أوتيت سؤللك يا موسى) [طه: ٣٦]، جوابا لسؤال موسى (واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي) [طه: ٢٧-٢٨].

قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾

قوله (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) الفاء لتفريع الاحتجاج على ما تقدم، فقال: هلا ألقى عليه مقاليد الملك فتسور بالذهب، كأنه جعل من ذلك دليلا على صحة الرسالة، لما رأى من فقر مظهر موسى.

و(لولا) بمعنى: هلا، والإلقاء الطرح، وفاعله مسكوت عنه لأنه أراد به المرسل وهو الله، وحرف الجر في (عليه) للتمكن والثبات، والأسورة جمع سوار وهو ما يحيط بمعصم اليد من حلي الذهب.

قوله (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أو للترديد، بمعنى: أو صحبه الملائكة يعينونه على ما يزعم من أنه رسول رب العالمين.

وفي نهج البلاغة قوله ﷺ في تفصيل دخول موسى على فرعون: فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي فشرطا له إن أسلم بقاء

ملكه ودوام عزه فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا ألقى عليهما أساورة من ذهب، إعظاما للذهب وجمعه، واحتقارا للصوف ولبسه، ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ



قوله (فاستخف قومه فأطاعوه) الفاء للتفريع على ما تقدم من كلام فرعون، أي: فاستخف فرعون عقول قومه، لأنهم لو كانوا عقلاء لقالوا له بنفي حقيقة الملك عنه، وما ينبغي أن يأتي الملك مع الرسول ليثبت نبوته، بل يكفي تأييده بالمعجزة، والاستخفاف مبالغة في الخفة، وإنقاص العقل.

والفاء في (فأطاعوه) للتعقيب، لأن قوم فرعون تابعوه فيما دعاهم إليه من تكذيب موسى والانتقاص من شأنه.

قوله (إنهم كانوا قوما فاسقين) القطع للتعليل، أي: لأنهم متصفون بصفة الفسق، والخروج عن زي العبودية لله.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اُنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

قوله (فلما آسفونا انتقمنا منهم) الفاء لتفريع انتقام الله على تكذيب فرعون لنبيه. و(آسفونا) بهمزة التعدية، مجاز بمعنى: أغضبونا، والانتقام مجاز في إنزال أشد العقاب، لأن الأسف والانتقام معان إنسانية لا تجوز على الله تعالى، أو إن المقصود بالأسف أسف أنبيائه، وعن الصادق عليه السلام قال: إن الله لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مدبرون، فجعل رضاهم لنفسه رضى، وسخطهم لنفسه سخطا، وذلك لأنه جعلهم الدعاة إليه، والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه ولكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال أيضا: من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها ، وقال أيضا: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال أيضا: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) وكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك. ذكر في توحيد الصدوق. انتهى.

ومن كلام الإمام علي عليه السلام في التوحيد: يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة، يقول لمن أراد كونه كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (فأغرقناهم أجمعين) الفاء عاطفة مبينة لأن الإغراق عين الانتقام، ولفظ (أجمعين) منصوب على الحال المؤكدة.

قوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾

قوله (فجعلناهم سلفاً) الفاء للتفريع، أي: جعلناهم قدوة تجب عليها العذاب لمن يتبعهم من الكفار.

قوله (ومثلاً للآخرين) العطف بمعنى: وجعلناهم عبرة يضرب بها المثل لمن جاء بعدهم.

قوله تعالى ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ



قوله (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) الكلام انتقال لعرض مفسدة أخرى من مفاصد المشركين ومجادلتهم في الحق، والآية تشير إلى ما وصف به عيسى من سور سابقة ذكرت إعجاز ولادته من دون أب، وأن النصارى اتخذوه إلهاً من دون الله، فلما سمع المشركون ذلك أخذوا يضجون فرحين بأن عبادتهم الوثنية أفضل من عبادة النصارى لعيسى، وقيل فيها تفسيرات آخر قريبة مما ذكر.

قوله (إذا قومك منه يصدون) معنى (إذا) الفجائية أن المشركين سارعوا في السخرية من المثل فرحين بعبادتهم الشركية، وهذا الوجه من التفسير على أساس قراءة فعل الصد بالكسر، وأما إذا قرئ بالضم فهو بمعنى الإعراض.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾

قوله (وقالوا أأللهتنا خير أم هو) القول من مشركي مكة للرسول ﷺ منكرين خيرية ابن مريم على أللهتهم، لأنهم لم يأخذوا من صفة عيسى في القرآن وكرامته عند الله إلا بما له الصفة عند النصارى وهو أنه ابن إله، فجادلوا في ذلك جدالاً ليس ثمة نفع وراءه، معرضين عما ذكر القرآن في كرامة عيسى وآخذين بما يحلو لهم من وصف النصارى لعيسى، فهم يأخذون من القرآن ما يتفق وأهواؤهم.

قوله (ما ضربوه لك إلا جدلاً) أي: ما قالوا هذا الكلام وهو قولهم المحكي الأنف (أللهتنا خير أم هو) إلا كي يبطلوا مثل عيسى وإن كان حقاً. والجدل هنا بمعنى المغالبة في الكلام على حساب الحق وليس لطلبه.

قوله (بل هم قوم خصمون) أي: بل هم قوم موصوفون بالمبالغة في الخصومة، لأنهم لا يريدون بالمجادلة غير اللجاجة في الحق.

وللآية أقوال متعددة في سبب النزول كثير منها مضطرب لا يتناسب وسياق الآيات، وأقربها ما ذكره الشيخ الطوسي في التبيان وهو يذكر وجوه التنزيل: وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال يوماً لعلي عليه السلام: لولا أنني أخاف أن يقال فيك ما قالت النصارى في عيسى، لقلت فيك قولاً لا تمر بملاً إلا أخذوا

التراب من تحت قدميك، أنكر ذلك جماعة من المنافقين، وقالوا: لم يرض أن يضرب له مثلاً إلا بالمسيح، فأنزل الله الآية. انتهى.

وعلى هذا السبب يكون توجيه الآية في قوله تعالى (ألهتنا خير أم هو) بعود ضمير الفصل إلى النبي ﷺ أو علي عليه السلام، والمعنى كما قال في الميزان: لئن نتبع ألهتنا ونطيع كبراءنا خير من أن نتولى عليا فيتحكم علينا، أو خير من أن نتبع محمدا فيحكم علينا ابن عمه. انتهى. أو توجيه الكلام أصلا بالاستئناف.

قوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

قوله (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) الكلام رد على استنكارهم في قوله تعالى (ألهتنا خير أم هو) أي: ما عيسى إلا عبد من عبادنا أنعمنا عليه بالنبوة، فهو ليس بآله حتى تفاضلوا بينه وبين آلهتكم، فالخيرية باطلة أصلا.

قوله (وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل) أي: وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل يتعظون به، لأن آية خلق عيسى عجيبة خارقة للعادة.

قوله تعالى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾

الكلام في بيان القدرة الإلهية، ورفع استبعاد أن يكون البشر كملا كعيسى لأن الوثنيين لا يرون الكمال إلا في الملائكة لذلك يفضلونه على البشر،

وينكرون إرسالهم أنبياء، فأخبر الله بأنه قادر على جعل بعض البشر في الأرض نقاءهم نقاء الملائكة وظاهرهم ظاهر البشر، يتناسلون ويعقبون غيرهم.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾

قوله (وإنه لعلم للساعة) أي: وإن عيسى لأمرة علم لقيام الساعة، لأنه من أشراتها ينزل في آخر الزمان مع القائم المهدي (عج).

ويحتمل وجها آخر، أي: علما يعلم به لتحقيق الساعة، كونه مخلوقا بمعجزة.

قوله (فلا تمترن بها) الفاء لتفريع النهي عن الشك بقيام الساعة.

قوله (واتبعون هذا صراط مستقيم) الأمر من قوله تعالى، أي وأطيعون، وطاعة الله بامتثال أوامره ونواهيه.

ويحتمل أن يكون الكلام من النبي ﷺ، ولفظ الإشارة إلى القرآن، أو إلى دعوة التوحيد فكلاهما مؤد إلى سبيل سعادة الدارين.

قوله تعالى ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٢﴾

قوله (ولا يصدنكم الشيطان) أي: ولا يمنعنكم الشيطان من اتباع سبيل الهدى.

قوله (إنه لكم عدو مبين) القطع لتعليل النهي، أي: لأنه ظاهر العداة لكم، إذ أخرج أباكم من الجنة.

قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾

قوله (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) فعل مجيء عيسى مجاز من إرساله بالنبوة، وشبه الجملة (بالبينات) معناها بالمعجزات ومحلها الحال، والباء للملابسة، أي: متلبسا بالمعجزات.

وجملة (قال) جواب الشرط، وإعادة فعل المجيء للتأكيد بأن مجيئه بالحكمة من جملة بينات عيسى، وهي معارفه الإلهية وتجديد شريعة موسى، فالخطاب في (جئتكم) لبني إسرائيل.

قوله (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) اللام في (لأبين) للتعليل، أي: لأوضح لأجلكم بعض الذي تختلفون فيه في أمور الدين وأمور الدنيا، وتأکید خطاب عيسى لبني إسرائيل في (لكم) دال على أن بعثته خاصة بقومه.

قوله (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء للتفريع، أي: فاتقوا الله في الإعراض عنه والكفر به، وأطيعوني فيما أبلغكم عنه.

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦٤﴾

قوله (إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه) الكلام من قول عيسى لقومه، تأكيد لعموم ربوبية الله تعالى، وفرع عليه أمر عبادته وحده خالصا من دون تشريك به.

قوله (هذا صراط مستقيم) أي: هذا الذي أدعوكم إليه هو الصراط المستقيم الموصل إلى سبيل النجاة.

قوله تعالى ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ

عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾ ﴿٦٥﴾

قوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) الفاء للتفريع، والاختلاف تفرق الرأي ووحدة الكلمة بشأن عيسى، والأحزاب الفرق المتعددة التي تتعصب لرأي معين، وإنما اختلافهم لميلهم إلى أهوائهم، فمنهم الغالي فيه، ومنهم القالي له، ولذلك توعدهم الله تعالى، ومنهم المعتدل، وشبه الجملة (من بينهم) أي: من بين قومه بني إسرائيل.

قوله (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) الفاء للتفريع، ولفظ الويل دعاء بالإهلاك، وتسميتهم بالظالمين إظهار في موضع الإضمار لفائدة تعليل الحكم، ويراد بهم الغالي والقالى فكلاهما ظالم لنفسه ولعيسى عليه السلام.

وإضافة لفظ العذاب إلى يوم للمبالغة، من إضافة الصفة إلى موصوفها، والأليم صفة بمعنى المؤلم.

قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾

قوله (هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) الكلام عود لإنذار الكافرين المكذبين بآيات الله، أي: ما ينتظرون إلا حلول يوم القيامة، فيجازيهم الله بالعذاب.

وجملة (أن تأتيهم) بدل من لفظ الساعة، ولفظ البغتة حال، أي فجأة سريعة. قوله (وهم لا يشعرون) الجملة حال ثانية، تأكيد لبغتة العذاب، أي: في حال من الانشغال بالدنيا لا يحسون فيه بالعذاب.

قوله تعالى ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾

لفظ الأخلاء جمع مفردة خليل، وهو صاحب القريب، الذي يرفع خلة صديقه وحاجته، ومنه سمي إبراهيم خليل الله، لأن حاجاته مرفوعة إلى ربه ملبأة، وهؤلاء الأخلاء المتحابون الذين جمعتهم صفات الشقوة في عالم

الدنيا ما إن تنقطع علائقها في يوم القيامة حتى تتحول إلى عداوة لظهور كونها أسبابا إلى العذاب، ومن هنا قوله تعالى في الحكاية عن الظالمين (يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) [الفرقان: ٢٩].

أما المتقون في الدنيا فمخاللتهم حقيقة قائمة على حب الله لذلك استثنوا من العداوة، لأن خلقتهم نافعة يومئذ يشفع بعضهم لبعض، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام في علامة المتقي: أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة. انتهى.

قوله تعالى ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾

قوله (يا عباد لا خوف عليكم اليوم) الخطاب من كلام الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة لطمأننتهم وتسكين نفوسهم من أهويل يوم القيامة.

وإضافة لفظ العباد إلى ياء الجلالة إضافة تشريف وعناية، والأداة (لا) لمطلق نفي الخوف المحتمل عنهم، وتعريف اليوم للعهد وهو يوم القيامة، وأما نفي الحزن فلا فائدة نفي كل مكروه مقطوع به.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾

قوله (الذين آمنوا بآياتنا) جملة بدل، أو صفة للعباد، ثناء من الله على عباده بأنهم اتصفوا بالإيمان بمطلق آيات الله العظيمة.

قوله (وكانوا مسلمين) أي: وكان أمرهم التسليم لله تعالى والخضوع له.

قوله تعالى ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ (٧٠)

قوله (ادخلوا الجنة) الأمر من الله تعالى لعباده المؤمنين يوم القيامة، يثيبهم بجنته العظيمة، وأل لفظ الجنة لأنها معهودة وعدهم الله بها على السنة رسله.

قوله (أنتم وأزواجكم تحبرون) عطف أزواج المؤمنين - وهم زوجاتهم المؤمنات في الدنيا - في أمر الدخول إلى الجنة زيادة في إدخال السرور عليهم وحبورهم.

وجملة (تحبرون) موقعها الحال، والحبور السرور الظاهر أثره في الوجه، وأصله الحبرة وهو الزينة وجمال الهيئة.

قوله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا

تَشْتَهُ ۚ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٧١)

قوله (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) الكلام تفصيل للتنعم المؤمنين في الجنة لذلك عدل من صيغة الخطاب إلى الإخبار عنه تفخيما لإكرامهم.

ومعنى (يطاف عليهم) أي تقوم الحور العين على خدمتهم، وهم مجتمعون، تنقل لهم أصناف الطعام بقصع مادتها الذهب فيها يأكلون، وفي أكواب خاصة بها يشربون.

ولفظ الصحاف جمع صفحة وهي القصعة الصغير وتنكيرها للنوعية، و(من) للجنس، والذهب معدن براق يبهج النفس لونه. ولفظ الأكواب إناء يشرب به من دون عروة. والآية اكتفت بذكر الصحاف والأكواب عن ذكر الطعام والشراب.

قوله (وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين) الجملة معطوفة على ما قبلها، والهاء في (فيها) أي في الجنة، والإبهام بـ (ما) لأنه فوق أن يتصور، وحصر الاشتهااء في الأنفس للإشعار بالذائد الطبيعية التي يحتاجها الإنسان عامة، وأما تلذذ الأعين فهي لعامة المباهج المرئية من جمال وزينة ورياش ولباس، وإسناد اللذة إلى الأعين من باب المجاز العقلي بعلاقة السببية.

وقال صاحب المجمع: وقد جمع الله سبحانه بقوله (ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين) ما لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما في الجنة من أنواع النعيم، لم يزدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان. انتهى.

وفي نهج البلاغة في صفة نعيم الجنة: فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقا إليها، ولتحملت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالا بها. انتهى.

قوله (وأنتم فيها خالدون) جملة حالية، مضمونها الإشارة إلى أكبر لذائذ الروح في الجنة ألا وهو الشعور بالخلود في النعيم فليس ثمة ما ينغصه من شعور بالفوات والموت.

قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله (وتلك الجنة التي أورثتموها) لفظ الإشارة لتعظيم الجنة، وجملة الموصول محلها الصفة للجنة، ويراد بالإيراث قصور التصرف فيها على المؤمنين من دون أن يشاركهم فيها كافر كما في حال الدنيا.

قوله (بما كنتم تعملون) أي: بسبب ما مضى من صالح أعمالكم في عالم التكليف، ويمكن أن تكون الباء بمعنى العوض.

قوله تعالى ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

أي: لكم أيها المؤمنون المثابون في الجنة فاكهة كثيرة لا تحصى ولا تنفذ، والفاكهة ما يتفكه به من الأثمار المختلفة، وتفيد (من) في (منها) التبعية، وفعل الأكل إشارة إلى أنها من جملة الطعام.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾

الفصل للاستئناف، والابتداء بحرف النسخ لأهمية الإخبار، ولفظ المجرمين بمعنى المتلبسين بالإجرام، وهو أعم من الكافرين، كما إن لفظ المتقين أخص من المؤمنين.

و(في) مجاز للملابسة الظرفية، و(عذاب جهنم) أشد عذاب النار، وتقديم شبه الجملة للاهتمام، وتعجيل مساءة المجرمين، والخلود الدوام.

قوله تعالى ﴿ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ ٧٥

قوله (لا يفتر عنهم) أي: لا يخفف عنهم عذاب جهنم، ولا يضعف.

قوله (وهم فيه مبلسون) جملة حالية، أي: وهم في حال من الإبلاس في العذاب، والإبلاس اليأس بانكسار وحزن من تخفيف العذاب أو الخروج منه.

قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ ٧٦

أي: إن ذلك العذاب للمجرمين جزاء على أعمالهم، التي عرضوا بها أنفسهم إلى عذاب النار، وفي ذكر لفظ الظلم في أول الكلام وآخره محسن بديعي يسمى رد العجز على الصدر.

قوله تعالى ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴾ ٧٧

قوله (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) النداء من المجرمين وهم في عذاب جهنم، وهو دال على رفع الصوت من مكان بعيد، يسألون مالكا لأنه خازن النار أن يطلب من الله أن يميتهم حتى ينجوا من العذاب.

وهم إنما سألوا مالكا ذلك لأنهم محبوبون عن ربهم قال تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [المطففين: ١٥].

وإن من إظهار سفاهة المجرمين أن عدوا في سؤالهم إمامتهم إبطالا لوجودهم، فقد كانوا يرون في عالم الدنيا الموت عدما وليس انتقالا من عالم التكليف إلى عالم الانتظار، مع أنهم انكشفت لهم العوالم كلها، ولكن الله تعالى أظهر ما رسخ في ملكاتهم الدنيوية لإخزائهم.

قوله (قال إنكم ماكثون) القول من مالك مجيبا لهم على سبيل تقريرهم وتئيسهم، بأنهم باقون دائمون في النار.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرهُونَ﴾ ﴿٧٨﴾

قوله (لقد جئناكم بالحق) الكلام من تنمة قول مالك، وضم نفسه في فعل المجيء إلى جملة الملائكة لأنه منهم، والخطاب للمجرمين المعذبين باعتبار أنهم من البشر، ولفظ الحق يراد به التبليغ بالقول الصادق الثابت وهو التوحيد وعاقبة الكفر به.

قوله (ولكن أكثركم للحق كارهون) تفيد (لكن) الاستدراك، والأكثرية للمجرمين، وتقديم (للحق) للاهتمام ورعاية الفاصلة، ويحتمل في تعريف الحق كرههم لمطلق الحق، والكره العدا والاشمئزاز.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار، فارحموا نفوسكم، فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا، أفرأيتم

جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه؟ فكيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجر وقرين شيطان، أعلمتم أن مالكا إذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه، وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعا من زجرته. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَمْ أَرْمَوْا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ (٧٦)

قوله (أم أبرموا أمرا) أم: منقطعة عما قبلها بمعنى (بل)، ويعقبها استفهام مقدر أي: بل أبرموا أمرا، والإبرام أصله الإحكام في القتل، واستعير لكل أمر مدبر محكم، والأمر تقال للأمر العظيم، وتنكيره دل على ذلك، وقد قيل في مناسبة الكلام أن قريشا بمشورة من أبي جهل دبرت لقتل النبي ﷺ غيلة في فراشه، وحتى يتفرق دمه بين القبائل فلا يقدر بنو هاشم من الثأر انتدبوا شقيا من كل عشيرة للغدر به.

قوله (فإننا مبرمون) الفاء للتفريع، وإبرام الله تعالى يختلف عن إبرام المشركين، لأنه مجاز في إبطال كيدهم، ونقض تدبيرهم، فقد أوحى الله لنبيه ﷺ بأن يغادر بيته ويبيت عليا عليه السلام مكانه على الفراش، وحذف متعلق اسم الفاعل لدلالة ما قبله عليه، والكلام في الآية نظير قوله تعالى (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون) [الطور: ٤٢].

قوله تعالى ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ

يَكْتُبُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾

قوله (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أي: بل أيحسب قريش، والاستفهام المقدر يراد به التقرير والتهديد، وفعل السمع كناية عن علم الله تعالى لما دبروا ولما تناجوا بينهم من أمر الغدر بالنبي ﷺ، والمناجاة الحديث بخفية وهمس.

قوله (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) الأداة (بلى) جواب للنفي (لا نسمع)، ورسل الله ملائكته الكتبة الذين يسجلون عليهم ما يلفظون ويعملون لجزائهم عليه، والظرف (لديهم) للتأكيد، ومضارع (يكتبون) للتجدد والاستمرار.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ ﴿٨١﴾

التلقين بـ (قل) من الله تعالى لنبيه ﷺ عناية وتعليم، فالمشركون لما زعموا أن الملائكة بنات الله، أخبر الله نبيه على سبيل محاجة قومه بعد ما سبق من تهديدهم بأن لو كان لله ولد فالنبي أولى بعبادته، لأنه سيعلم أنه إله مثله، فلما لم يكن الشرط أبطل جوابه، واستعمال (إن) بدلا من (لو) نوع تنزل في المخاصمة.

والرحمن من أسماء الله تعالى، وتعني كثير الرحمة لعامة عباده، ومن رحمته بهم لطفه بهم مقابل ادعائهم عليه بما لا يليق بساحة قدسه.

وذكرت وجوه كثيرة في تفسير الآية لمن يرغب بالرجوع إليها في مطولات التفسير، وما تقدم أيسرها وأقربها إلى السياق.

قوله تعالى ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

قوله (سبحان رب السماوات والأرض) صيغة (سبحان) صيغة تنزيه عما تقدم من ادعاء الولدية على الله تعالى، وذكر ملكه للسماوات والأرض وتدبيره لها بلفظ الرب، لأنها من مظاهر عظمته التي لا يناسبها الشرك به.

قوله (رب العرش عما يصفون) جملة بدل، واستقصاء لعظمة ملكه تعالى فهو مالك السلطنة في مقام العلو، وهو المالك لموجوداته، وحرف التجاوز في (عما) متعلق بـ (سبحان) و(ما) مصدرية أو موصولة، وجملة (يصفون) بمعنى يخبرون، لأن من يصف في العادة يخبر.

قوله تعالى ﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾



قوله (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) الفاء لتفريع الأمر للنبي ﷺ على ما تقدم من افتراء المشركين على سبيل تهديدهم، أي: فاتركهم يخوضوا في باطل الكلام ويلعبوا عابثين في ملذاتهم.

واستعمل فعل الخوض في القرآن الكريم في الكلام الباطل، وجزمه هنا لأنه جواب الأمر.

قوله (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي: اتركهم لغاية يومهم الذي توعدهم الله به، وهو يوم قتلهم أو يوم بعثهم للحساب كلاهما محتملان.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

قوله (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الكلام تأكيد لأحدية الله، وتفردة بالألوهية، ردا على زعم المشركين بأن الله أوكل شركاءه في الأرض للعبادة والتدبير، والجملة قصرت الألوهية في الله بأسلوب تعريف المسند والمسند إليه، أي: في السماء إله تجب عبادته، وفي الأرض إله تجب عبادته. وتكرار لفظ (إله) لتأكيد تمكّن المعنى في النفس.

ودلالة الملابس الظرفية (في) دلالة تعلق ألوهيته بما ذكر من الموجودات وليس بمعنى الاستقرار المكاني الذي يستحيل عليه تعالى.

ووضحه الصادق عليه السلام فيما نقل في الكافي للكليني بإسناده عن هشام بن الحكم قال: قال أبو شاهر الديصاني: إن في القرآن آية هي قولنا، قلت: وما هي؟ قال: (هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) فلم أدر بما أجيبه، فحجبت فخبرت أبا عبد الله عليه السلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث إذا رجعت إليه فقل: ما اسمك بالكوفة؟ فإنه يقول: فلان، فقل: ما اسمك بالبصرة؟ فإنه يقول: فلان، فقل: كذلك الله ربنا في السماء إله، وفي الأرض إله، وفي

البحار إله، وفي القفار إله، وفي كل مكان إله، قال: فقدمت فأنتيت أبا شاكر فأخبرته فقال: هذه نقلت من الحجاز. انتهى.

قوله (وهو الحكيم العليم) أي: وهو الله الحكيم الذي يتقن تدبير شؤون خلقه فلا يعوزه شريك مفترى أو ولد مدعى، وهو العليم بكل ما خفي غني عن كل أحد، فالفاصلة مضمونها ينافي ادعاء الولدية.

قوله تعالى ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

قوله (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) الجملة لتمجيد الله تعالى والثناء عليه، والفعل (تبارك) بمعنى المتصف بكثير الخير، والإتيان بجملة الموصول حجة لتفرده تعالى في الملك والتدبير، وهما من صفات ألوهيته سبحانه.

قوله (وعنده علم الساعة) أي: عنده العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة، وهي من مختصاته تعالى وحده، لم يطلع أحدا من خلقه عليها لاقتضاء المصلحة، وهو من شؤون ألوهيته تعالى، ودليل تفرده بها.

قوله (وإليه ترجعون) وهو وحده تعالى الذي ترجع إليه الخلائق فيجزئها على أعمالها، وهذه المختصات التي ذكرتها الآية أعني ملكه للسموات والأرض وما بينهما وعلم الساعة، ومعاد الخلق إليه أدلة تدبيره لما خلق وحججه على وحدانيته، والالتفات في الكلام إلى الخطاب للتهديد.

قوله تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾

قوله (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) الكلام لإبطال ادعاء ألوهية غيره، أي: لا يملك معبوداتهم المزعومة من غير الله الشفاعة عنده في الدنيا لجلب خير لهم ودفع ضر عنهم.

وجملة الاستثناء بمعنى: إلا الذي أقر بالتوحيد، فإنه مأذون له بتشفيع أهله، وهو كقوله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) [الأنبياء ٢٨].

وذكر في المجمع مناسبة الكلام: وذلك أن النضر بن الحارث، ونفرا من قريش قالوا: إن كان ما يقوله محمد حقا، فنحن نتولى الملائكة، وهم أحق بالشفاعة لنا منه. فنزلت الآية. انتهى.

قوله (وهم يعلمون) أي: وهم أي الشفعاء يعلمون عن علم وبصيرة بما يشهدون، وواو الجمع في الفعل باعتبار معنى اسم الموصول (من)، كما إن الإفراد في (شهد) باعتبار لفظه.

قوله تعالى ﴿وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٨٧﴾

قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) قسم وتحقيق لأهمية الكلام وتحقيقه، والخطاب للرسول ﷺ، والمسؤولون هم المشركون، فالوثنيون

يعترفون بأن الله هو الخالق ومع ذلك يعبدون غيره، وهذا من تمام جهالتهم واضطراب عقولهم.

قوله (فأنى يؤفكون) تفریع السؤال على إقرار المشركين لإفادة توبيخهم، أي: كيف يصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره، بعد إقرارهم على خلقه تعالى لهم.

وإتيان الفعل بصيغة المجهول للإشارة إلى ذلك الإفك من أنفسهم لم يكن بفعل فاعل، ومثله في نهج البلاغة قوله عليه السلام: فأين يُتاه بكم، ومن أين أُتيتم. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾

العطف على لفظ الساعة بمعنى: وعنده علم قوله: (يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون)، والقليل القول، وضمير الهاء فيه عائد إلى الرسول ﷺ، وضمير الإشارة إلى قريش، والإخبار عنهم بلفظ القوم ثم توصيفهم بعدم الإيمان لأن ذلك أثبت من القول: لا يؤمنون، وفي مضمون الإخبار تحسر من النبي ﷺ، وشكوى لربه من إصرار قريش على الكفر، ونحوه ما حكي عن نوح ﷺ (رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً) [نوح: ٢١].

قوله تعالى ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

قوله (فاصفح عنهم) الكلام متفرع على ما سبقه، والأمر من الله تعالى لنبيه بتركهم وتجاوزهم، ليأسه من إيمانهم.

قوله (وقل سلام) التلقين أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بمتاركة قومه من دون اكتراث لعنادهم، ونظيره قول إبراهيم لأبيه (سلام عليك سأستغفر لك ربي) [مريم: ٤٧]، وارتفع لفظ السلام لأنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا سلام.

قوله (فسوف يعلمون) الفاء لتفريع التهديد على المتاركة، وحرف الاستقبال (سوف) دال على سوء عاقبة عتاة مشركي مكة، وانتهاء السورة بالإنذار مناسب لمضمونها تمام المناسبة.

سورة الدخان

مكية، وهي تسع وخمسون آية

السورة مكية النزول بشهادة اتصال آياتها، وغرضها كما يتبين من مفتتحها إنذار المشككين في نزول الكتاب بعذاب أليم في الدنيا والآخرة، ولهذا أقامت الحجج على إثبات صحة الكتاب، وأنه نازل من عند الله، رحمة لعباده، وأنذرت الكفار من عاقبة الاستمرار بإنكاره، فضربت لهم المصداق برسالة موسى عليه السلام وكيف أنه تعالى نصر المؤمنين وأغرق المستكبرين.

وفي السورة إثبات ليوم البعث الذي أنكره المشركون، فذكرت طرفا من أخبار يوم الفصل، وفصلت الكلام في وعيد الكافرين فذكرت النار وأهوالها، وأعقبته بوعد المؤمنين فذكرت الجنة ونعيمها، وختمت السورة بأمر النبي ﷺ في ارتقاب مصير المشركين في دلالة على تأييد غرضها.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ حَمَّ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ ﴾

تقدم الكلام في الحروف المقطعة، والواو للقسم للتنويه بالمقسم به، وهو الكتاب، وتعريفه للعهد يراد به القرآن كما تقدم غير مرة، ووصفه بالمبين لوضوح آياته وأحكامه.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ ﴿٣﴾

قوله (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) الإنزال مجاز من مقام العلو الغيبي، والهاء في الفعل راجع إلى الكتاب، و(في) للتلبس الظرفي، واللييلة المباركة هي ليلة القدر، وتكثيرها للتعظيم، ووصفها بالبركة لما في نزول القرآن فيها من خير عميم في أمور الدنيا والدين، قال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر) [القدر: ١-٢-٣]، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن نزولا دفعيا من اللوح المحفوظ، وفرقه الله منجما على نبيه مدة بعثته ثلاثا وعشرين عاما بحسب المناسبة والنزول.

قوله (إنا كنا منذرين) جملة تعليل للإنزال، أي إن شأننا إنذار الناس من عاقبة الشرك وعصيان الله رحمة بهم.

قوله تعالى ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾

أي في تلك الليلة المباركة ليلة القدر يفصل الله كل أمر فيه أرزاق العباد وآجالهم وجميع الحوادث وما يتصل بهم من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة. ووصف الأمر بالحكيم لأنه محكم لا تتفصل أجزاءه، قال السيد في الميزان: فلأمر بحسب القضاء الإلهي مرحلتان: مرحلة الإجمال والإبهام ومرحلة التفصيل، وليلة القدر - على ما يدل عليه قوله: (فيها يفرق كل أمر حكيم) - ليلة يخرج فيها الأمور من مرحلة الإحكام إلى

مرحلة الفرق والتفصيل، وقد نزل فيها القرآن، وهو أمر من الأمور المحكمة فرق في ليلة القدر. انتهى.

وعن الباقر عليه السلام، أنه سئل عن الآية فقال: نعم ليلة القدر، وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر، قال الله تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم) قال: يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل ورزق، فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم، والله تعالى فيه المشية. ذكر في الكافي. انتهى.

قوله تعالى ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾

قوله (أمرًا من عندنا) النصب على الحال المؤكدة، فالأمر هنا بمعنى الشأن، و(من) للتبيين، والإضافة في الظرف (عندنا) إضافة تفخيم للأمر. قوله (إنا كنا مرسلين) جملة تعليل، أي: لأن سنتنا الجارية إرسال الرسل.

قوله تعالى ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قوله (رحمة من ربك) نصب (رحمة) لأنه مفعول لأجله، أي: إنزال القرآن لأجل رحمة ربك بعباده، أو على الحال بمعنى: إنزاله رحمة من ربك.

و(من) ابتدائية، وإظهار لفظ الرب في موضع الإضمار لتأكيد ربوبية الله تعالى وإتقان تدبيره، وإضافته إلى كاف النبي ﷺ للعناية، ولهذا عدل بالكلام إليه.

قوله (إنه هو السميع العليم) الجملة بمنزلة التعليل والتقرير، فهو تعالى لكمال علمه بما يحتاج الناس لإصلاح شؤونهم والاهتداء إليه سبحانه أنزل إليهم الكتاب.

والكلام لثبوت معناه تأكيد بقوة بأسلوب القصر بضمير الفصل وأل السميع، والسميع العليم من أسمائه تعالى العلى، وهما صيغتان للمبالغة والتكثير مجازيتان لشدة علمه تعالى وإحاطته بكل ما خفي ودق، من المسموعات والمعلومات.

قوله تعالى ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ



قوله (رب السماوات والأرض وما بينهما) بدل من (ربك)، لرد توهم المشركين في تعدد الربوبية، فهو تعالى رب كل شيء رب محمد ﷺ ورب السموات والأرض.

قوله (إن كنتم موقنين) الشرط بمعنى: إن كنتم موقنين بإقراركم بأن الله خلقكم وخلق السموات والأرض، أو بمعنى: إن كنتم مبتغين اليقين.

قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ
الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

قوله (لا إله إلا هو) كلمة الوحيد، جملة تقرير لمعنى الربوبية، جمع إليها
الالوهية لأنهما من شؤونه تعالى وحده غير مفصولتين كما يزعم
المشركون.

قوله (يحيي ويميت) ذكر الإحياء والإماتة لأنهما من مختصاته تعالى
وحده، وهما من شؤون تدبيره، وفيها رد على إنكار المشركين للمعاد.

قوله (ربكم ورب آبائكم الأولين) الوحدة في الإخبار بأن الله تعالى ربهم
ورب آبائهم للإشارة إلى أنه تعالى واحد لا يتعدد، كما يزعم آباؤهم وتبعهم
أسلافهم.

قوله تعالى ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾

الإضراب في (بل) عن كلام مقدر يفهم من كفر مشركي مكة بالكتاب
الموصوف بالمبين وأنه أنزل في ليلة مباركة، لتأكيد كونهم متلبسين في
شك عظيم من الكتاب، وجملة (يلعبون) موقعها الحال من ضمير (هم)، أي
في حال من الانشغال بأمور الدنيا لاهين عابثين.

قوله تعالى ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾

الفاء لتفريع وعد النبي ﷺ بالنصر، ووعد المشركين على الشك في الكتاب. والارتقاب الانتظار وأكثر ما يكون في المكروه، والأمر فيه موجه إلى النبي ﷺ، على سبيل تنبيته، وتوعد قريش بعذاب يوم معلوم، صفته أن تأتي السماء بدخان واضح.

ونصب (يوم) على المفعولية لا على الظرفية، وهو مضاف إلى الجملة بعده، ولفظ الدخان هو الهواء المكثف الأسود الذي لا تبين فيه الرؤية.

واختلفت الأقوال التفسيرية في معنى هذا اليوم، فقليل إنه المجاعة التي أصابت قريشا بدعوة النبي ﷺ، حتى أن الجائع لفرط جوعه يرى السماء كأنها دخان، ففي الخبر المشهور أن قريشا لما استعصت الرسول ﷺ دعا عليهم فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعل سنيهم كسني يوسف، فذكر أن الرجل منهم كان يلحق صاحبه فلا يمكنه الدنو، فإذا دنا منه لا يبصره، من شدة دخان الجوع.

وقيل: إن اليوم من أشراط الساعة، وقيل غير ذلك، وعلى أي قول فهو إنذار بيوم يسوء فيه قريشا.

قوله تعالى ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾

قوله (يغشى الناس) الجملة موقعها الصفة لـ (دخان)، والغشيان الإحاطة والشمول، والناس كفار قريش، يغشاهم الدخان فلا يرى بعضهم بعضا.

قوله (هذا عذاب أليم) القطع على تقدير الحال المحذوف، أي: قائلين هذا عذاب أليم، ولفظ الإشارة لتحويل العذاب، ووصفه بالأليم مبالغة يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله (ربنا اكشف عنا العذاب) الكلام من تنمة قول قريش عند غشيان الدخان لهم سائلين ربهم أن يزيل عنهم العذاب، معترفين بمربوبيتهم له على عادة الإنسان إن داهمه خطر يرجع إلى فطرته فيترك معبوداته ويلجأ إلى خالقه في كشف الضر عنه.

قوله (إنا مؤمنون) جملة تعليل لطلب قريش كشف العذاب عنهم أي: لأننا متلبسون بالإيمان، وهو اعتراف منهم بمعبوديتهم لربهم.

قوله تعالى ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

الاستفهام للإنكار بمعنى: من أين لهم أن يتذكروا ما وعدوا به من الإيمان ويميلوا للحق والحال أنهم قد جاءهم رسول مبين بالآيات الظاهرة ما يوجب استجابتها.

ومعنى (أنى لهم) ليس لهم، والذكرى التذكير، وهو حضور معنى ما يتعظ به، وجملة (وقد جاءهم رسول مبين) محلها الحال، والرسول هو النبي

محمد ﷺ، وتنكير اللفظ للتعظيم، ووصفه بالمبين لأنه خير مبلغ عن آيات الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ﴿١٤﴾

قوله (ثم تولوا عنه) تفيد (ثم) العطف التراخي الترتيبي في الكلام، والتولي الإعراض وفاعل فعله راجع إلى قريش، والهاء في (عنه) أي: عن الرسول ﷺ.

قوله (وقالوا معلم مجنون) جملة حالية بمعنى: قائلين معلم مجنون. وهو من افتراءهم على الرسول والطعن في رسالته، فقد اتهموه بأن عبدا أعجميا لبعض ثقيف يعلمه أخبار الأمم، قال تعالى (إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي) [النحل: ١٠٣]، وقال سبحانه: (وأعانه عليه قوم آخرون) [الفرقان: ٤]، واتهموه بالسحر، وبالمجنون.

قوله تعالى ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾

قوله (إننا كاشفوا العذاب قليلا) إخبار منه تعالى بحتمية كشف العذاب عنهم جوابا لمسألتهم (ربنا اكشف عنا العذاب)، وتأکید عودتهم إلى الكفر والإنكار، لذلك أورده بصيغة اسم الفاعل (كاشف، عائد).

ونصب لفظ (قليلا) لأنه صفة لموصوف محذوف تقديره: زمانا قليلا.

قوله (إنكم عائدون) القطع للاستئناف، دال على تطلع السامعين لحظة سماعهم كشف العذاب، للإخبار عما بعده، وهو عودتهم إلى سيرتهم الكفرية، أو على المعنى الأبعد عودتهم إلى الله تعالى لمجازاتهم.

قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (١٦)

قوله (يوم نبطش البطشة الكبرى) يؤيد توصيف لفظ اليوم بأن يكون يوم القيامة أكثر من كونه يوم بدر كما جاء في التفسير، لأن فيه تحقيق البطشة الكبرى التي فيها العذاب الدائم للكافرين.

والبطش الضرب بقوة، ولفظ البطشة الضربة الشديدة الوقع، وهي مفرد البطش، وتعريفها ووصفها بالكبرى للمبالغة، أي الشديدة التي لا يقوم لها قائم.

قوله (إنا منتقمون) جملة تحقيق وتقرير لما تقدمها، وانتقام الله من المشركين، إنزال أشد العقاب فيهم، وهي بطشته فيهم، ولا داعي لتقدير ترتيب الجملة بتقديم (إنا منتقمون) على (يوم نبطش) فالمعنى واضح.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (١٧)

قوله (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) انتقال بضرب المثل لكفار قريش بعاقبة تكذيب قوم فرعون لموسى عليه السلام لأخذ العبرة والموعظة، وفي القصة تطيب لفساد النفس النبي ﷺ بأن الله منجيه من فراعنة مكة، وناصره وسيختار أمته

ويمكنهم من الأرض فينظر كيف يعملون، كما نجى موسى وقومه واختارهم على العالمين ومكنهم من الأرض.

والقسم والتحقيق لتأكيد ما أنكره قريش، والفتنة الاختبار والابتلاء، وضمير الغائب في (قبلهم) راجع إلى كفار قريش، وذكر قوم فرعون يراد به فرعون خاصة وملئه.

قوله (وجاءهم رسول كريم) عطف تفسير للفتنة، والرسول الكريم موسى عليه السلام، وتنكير اللفظ لتعظيم شأنه، وتوصيفه بالكرم لخلاله المحمود.

قوله تعالى ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٌ ﴾ ﴿١٨﴾

قوله (أن أدوا إلي عباد الله) جملة (أن) تفسيرية لمجيء الرسول موسى لهم، وفعل أمر التأدية بمعنى: أرجعوا إلي، وأرسلوهم، والخطاب إلى فرعون وقومه، و(عباد الله) هم بنو إسرائيل، أضافهم إلى لفظ الجلالة إشارة إلى أن استكبار قوم فرعون عليهم استكبار على الله.

وقد كان من أغراض رسالة موسى عليه السلام تحرير بني إسرائيل من ذل فرعون وقومه لهم، نظير قوله تعالى (فأرسل معي بني إسرائيل) [الأعراف: ١٠٥].

قوله (إني لكم رسول أمين) جملة تعليل للأمر، والخطاب في (لكم) لقوم فرعون، ووصف نفسه بالأمانة دفعا لتوهم أن يخونهم في الرسالة وإنجاء بني إسرائيل في أن يخرجهم من أرضهم كما زعم فرعون في التآليب على

موسى، قال تعالى (إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) [الشعراء ٢٥]. أشار إليه السيد الطباطبائي في الميزان. انتهى بتصرف.

والجمع بين التأدية والأمانة من جمال النظم البديعي.

قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾

قوله (وأن لا تعلوا على الله) نهى موسى قوم فرعون عن التجبر على الله بتكذيب رسوله وإنكار آياته، فإن ذلك من التعالي عليه سبحانه.

قوله (إني آتيكم بسلطان مبين) جملة تعليل للنهي، أي: لأنه آتيهم من الله بما يؤيد صحة كلامه، وهي معجزاته التي لا تقهر، ولفظ السلطان كناية عن الحجة البينة، والجمع بين العلو والسلطان زاد النظم جمالا.

قوله تعالى ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾

أي: وإنني لجأت إلى ربي وتوكلت عليه من أن تؤذوني ضربا أو شتما، ويبدو من سياق الكلام أن قوم فرعون توعدوه بالقتل لما قال لهم (لا تعلو على الله).

والخطاب في (ربكم) إلى قوم فرعون رد ضمنني على ادعاء فرعون أنه ربهم الأعلى.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُنِي﴾ (٢١)

دعوة من موسى لقوم فرعون بألا يمسوه بأذى، ويبقون كفافا في معزل عنه لا له ولا عليه في حال خالفوا عقولهم ولم يؤمنوا به.

قوله تعالى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ (٢٢)

الكلام متفرع على تكذيب قوم فرعون لموسى المفهوم مما تقدم، وفصل جملة (أن) لأنها مقول قول الدعاء، ولفظ الإشارة لتعيينهم بأن الاتصاف بالإجرام صفة راسخة في نفوسهم، والإتيان بها لتعليل الدعاء عليهم بالإهلاك.

وكلام موسى ظاهره إخبار ومضمونه سؤال لربه بإنزال العقاب فيهم، على سبيل الأدب النبوي في أدعيتهم، نظير دعاء الرسول ﷺ في قومه (يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) [الزخرف: ٨٨].

قوله تعالى ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ﴾ (٢٣)

قوله (فأسر بعبادي ليلًا) الفاء للتفريع، على تقدير: فدعا فقلنا أسر بعبادي ليلًا، أو على تقدير مضمّر محذوف بمعنى: إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي ليلًا.

والباء في (بعبادي) للمصاحبة، والجار والمجرور محله الحال أي: مصطحبا عبادي، تقدم للعناية، وهم بنو إسرائيل، أضيفوا إلى ياء الجلالة للتشريف، فقد كانوا مرضيين في تلك المرحلة من علاقتهم بنبيهم.

قوله (إنكم متبعون) قطع ولم يصل لأنها تعليل لأمر الإسراء، إذ لما علم فرعون بخروجهم لحقهم بجنوده.

قوله تعالى ﴿وَأُتْرِكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ (٢٤)

قوله (واترك البحر رهوا) وأمر الله موسى بأن يترك البحر مفتوحا ذا فجوة واسعة، أو اتركه ساكنا لا تغير حاله، بأن تضربه بعصاك لينطبق، حتى يدخله فرعون وجنوده فيطبق عليهم.

وتعريف البحر للعهد الحضورى يراد به البحر الأحمر وتسميته القديمة بحر القلزم، والرهو الفرجة الواسعة، وانتصب اللفظ على الحال.

قوله (إنهم جند مغرقون) استئناف الجملة دالة على إضمار سؤال ناشئ من موسى لربه عن الوجه في ترك البحر رهوا، فأجيب: إنهم جند مغرقون. وضمير الجمع راجع إلى فرعون وجنوده.

ولفظ الجند والجنود واحد، والإتيان بالجملة الإسمية المؤكدة دال على ثبوت حكم الله فيهم وهو إفناؤهم بالإغراق في البحر.

قوله تعالى ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٢٥)

الإخبار عن القبط دال على أنه بعد إغراقهم، للعظة والاعتبار، و(كم) الإخبارية مستعملة في كثرة الترك لما ملك القبط في مصر وعدت الآية منها سبعا.

وفعل الترك مجاز في هلاكهم، ومنه يقال: تركة الميت، لذلك جاء الاستقصاء في معنى تركة القبط من أجل موارد العظة والاعتبار.

و(من) زائدة لتقوية العموم، والجنات جمع جنة وهي البستان الكثيف الأشجار، كأنه يجن ما تحته لكثرة الشجر وتكاثفه، ولفظ العيون يراد بها المياه الجارية، وتنكير اللفظين دال على الكثرة والنوعية.

قوله تعالى ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (٣٦)

العطف بمعنى: وكم تركوا من زروع ومقام كريم، أي: كم خلفوا وراءهم من أراض خصبة مزروعة في مصر، ومجالس مزينة نفيسة.

ولفظ الزروع جمع زرع، وهو مصدر واقع صفة لموصوف محذوف يراد بها الأرض المزروعة، والمقام المحفل أو المجلس، ويراد بها منازلهم المونقة، ومحالهم المزينة، وتوصيفها بالكريم لنفاستها.

قوله تعالى ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ (٣٧)

لفظ النعمة بالنون على ما قيل يراد به التمتع، وبالكسر يراد به الإنعام، وتنكيرها للتعظيم، والنعمة مطلق ما ينتفع به، وحرف الجر في (فيها)

للتلبس الظرفي دال على شدة انغماسهم في التنعم بلذات الدنيا، والفكه
المسرور بأحاديث الأنس، ومنه الفكاهة وهي المزح واللعب.

قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿٢٨﴾

التشبيه واسم الإشارة في (كذلك) مفهوم من الفعل (تركوا) بمعنى: كذلك
السلب سلبنا آل فرعون.

وفعل الإيراث مجاز في خلف بني إسرائيل للقبط والتصرف فيما تركوا،
وكونهم قوما آخرين لأن بني إسرائيل لا يتصلون بالقبط لا بنسب ولا بولاء
ولا بدين، وإنما هي الحكمة الربانية في أن يورث قوما أذلاء مستعبدين من
قوم ساموهم الخسف والهوان.

قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾

قوله (فما بكت عليهم السماء والأرض) الفاء للتفريع، ونفي بكاء السموات
والأرض على القبط المغرقين كناية عن هوانهم على الله وضالة تأثيرهم
في شيء.

وهو مستعمل كثيرا، ومنه قول جرير:

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

ومثله قول الشاعر يرثي الإمام الحسين عليه السلام:

أي المدامع لا تبكي عليك دما أبكيت والله حتى مقلة الحجر

وفي المجمع وروى زرارة بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: بكت السماء على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليه السلام أربعين صباحا، قلت: فما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء. انتهى.

وفي هذا المعنى إشارة إلغاء للقول بالمجاز في بكاء السماوات والأرض، والله أعلم.

قوله (وما كانوا منظرين) جملة النفي كناية عن معاجلة الله للقبض بعذاب الإغراق، والإنظار معناه الإمهال والتأخير.

واستشهد الإمام علي عليه السلام بالآيات المذكورة وهو في جيشه في طريقه إلى صفين فيما ذكره المدائني في شرح نهج البلاغة قال: قال نصر بن مزاحم: ثم سار عليه السلام حتى انتهى إلى مدينة بهرسير [إحدى المدائن على غربي الفرات]، وإذا رجل من أصحابه يقال له حر بن سهم بن طريف، من بني ربيعة بن مالك، ينظر إلى آثار كسرى، ويتمثل بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال له عليه السلام: ألا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ

كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، إن هؤلاء

كانوا وارثين فأصبحوا مورثين، ولم يشكروا النعمة، فسلبوا دنياهم بالمعصية، إياكم وكفر النعم، لا تحل بكم النقم، انزلوا بهذه الفجوة. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ﴿٣٠﴾

لام القسم المتصلة بـ (قد) لتحقيق الإخبار في الإحسان إلى موسى وقومه، فذكر ما من به عليهم أولا بدفع المكروه عنهم، ثم سيعقبه بذكر ما أوصل إليهم من خيرات.

وتنجية الله لبني إسرائيل تخلصهم من عذاب فرعون لهم، إذ كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم للخدمة، ولذلك وصف بالمهين المذل.

قوله تعالى ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣١﴾

قوله (من فرعون) شبه الجملة بدل تفسير من (العذاب المهين)، لأنه كان في نفسه عذاب مهين لبني إسرائيل يسومهم الخسف كما تقدم.

قوله (إنه كان عليا من المسرفين) جملة استئنافية لبيان تهويل طغيان فرعون لما أنه نفسه العذاب المهين.

ومضي الكون دال على رسوخ اتصافه بالعلو والتجبر، قال تعالى (إن فرعون علا في الأرض) [القصص: ٤٠]، وكونه من المسرفين بمعنى: أنه من المبالغين المتجاوزين للحد، ومن إسرافه ادعاؤه الألوهية لنفسه على حقارة شأنها.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾

أي: وأقسم لقد فضلنا بني إسرائيل على علم منا على العالمين.

وفعل الاختيار بمعنى الاصطفاء والتفضيل لذلك تعدى بحرف الاستعلاء (على العالمين) لأنهم كانوا على الإجمال أمة موحدة، من ذرية يعقوب، وتفضيلهم خاص على عالمي زمانهم وليس كل الأزمان، أو على الأزمان من جهة كثرة الأنبياء منهم، وكثرة ما انتفعوا من المعجز عليهم.

وشبه الجملة (على علم) موقعها الحال معترضة، أي: عالمين باستحقاقهم للاختيار.

قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣٣﴾

الجملة معطوفة على ما قبلها لأنها من جملة إنعام الله على بني إسرائيل. والإيتاء الإعطاء، و(من) للتبيين، والآيات المعجزات وجمعها لكثرتها مثل فلق البحر لهم، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، وغيرها من الآيات التي أظهرها الله لهم.

و(ما) موصولة مبهمة للتعظيم، والظرف (فيه) دال على نوعية هذا البلاء الذي وصل حد المعجزة، والبلاء المبين الاختبار الظاهر، لأن النعم كما النقم اختبار يتميز به الشكور من الكفور.

قوله تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾

استئناف الكلام بالرجوع إلى الإخبار عن كفار قريش في أول السورة من قوله تعالى (بل هم في شك يلعبون)، و(إن) حرف نسخ وتأکید، ولفظ الإشارة (هؤلاء) للتقليل من شأنهم، واللام المفتوحة في (ليقولون) لتأكيد الخبر.

قوله تعالى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله (إن هي إلا موتتنا الأولى) أورد الكلام بصيغة القصر بالنفي والاستثناء للدلالة على رسوخ إنكار المعاد في نفوس المشركين، وضمير التأنيث (هي) راجع إلى الموتة، وأرادوا بالكلام تأكيد باطل اعتقادهم في أن الموت عدم، ليس من ورائه إحياء وما يلزم من بعث وحساب.

قوله (وما نحن بمنشرين) جملة تقرير وتأکید، أي: وما نحن بمبعثين من القبور.

قوله تعالى ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله (فأتوا بآبائنا) الفاء لتفريع الاحتجاج على إنكارهم الإحياء بعد الممات بالمطالبة بإحضار أسلافهم، أي إحيائهم من القبور، وقيل: إن قائل هذا أبو جهل بن هشام قاله للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فابعث جدك قصي بن

كلاب، فإنه كان رجلا صادقا، لنسأله عما يكون بعد الموت. نقل في المجمع والدر. انتهى.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط مبالغة منهم في تعجيز الإتيان بما تقدم، دال على شدة إنكارهم للمعاد.

قوله تعالى ﴿أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾

قوله (أهم خير أم قوم تبع) الكلام رد على قول قريش وتهديد لهم، والاستفهام على سبيل الإنكار، وضمير الفصل (هم) راجع إلى مشركي مكة، والخيرية في القوة والمنعة التي بها تدفع أسباب الهلاك، وتبع أحد ملوك حمير لقب له، سمي بذلك لأن أهل الدنيا كانوا يتبعونه، واسمه أسعد أبو كرب، وقيل إنه كان مؤمنا وقومه من الكافرين، ولذلك ذمهم الله تعالى دونه، وأنه أول من كسا الكعبة، وقيل: إنه لم يمت تبع حتى صدق بالنبى ﷺ لما كان يهود يثرب يخبرونه. ذكر في الدر وغيره. انتهى بتصرف.

قوله (والذين من قبلهم) العطف على قوم تبع، وضمير الجمع في (قبلهم) راجع إلى كفار قريش، والذين من قبلهم قوم عاد وثمود وكل جبار عنيد.

قوله (أهلكناهم) أي: مع قوة قوم تبع والذين من قبل قريش أهلكهم الله، والكلام لبيان سوء العاقبة.

قوله (إنهم كانوا مجرمين) جملة تعليل لـ (أهلكناهم)، وذلك لأنهم متصفون بالإجرام.

قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ﴿٢٨﴾

الكلام حجة على إثبات البعث والحساب، أي: لم يخلق الله كونه الواسع من السموات والأرض وما بينهما من عالم لهوا وعبثا من غير غرض يتحقق، وهو إقامة العدل والحساب في يوم القيامة. ومن هنا بان أن المعاد هو غرض الخلق ومن دونه يكون عملا بلا هدف وحاشا لله أن يظهر موجودا من دون حكمة.

وانتصب (لاعبين) على الحال، واللعب أي فعل ليس من ورائه قصد صحيح.

قوله تعالى ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾

قوله (ما خلقناهما إلا بالحق) إثبات بعد نفي، والاستثناء مفرغ بمعنى: ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما ملتبسا بشيء من الأشياء إلا ملتبسا بالحق.

وضمير التثنية في (بينهما) راجع إلى السموات والأرض على أساس جنسيتهما، والباء المقترن بلفظ الحق للملابسة، وتحتل أن تكون للسبب، أي بسبب الحق الذي هو الإيمان والطاعة والجزاء.

قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) الاستدراك لوسم مشركي مكة بالجهل، أي: ولكن أكثرهم يجهلون غرض الخلق فينكرون البعث والجزاء.

قوله تعالى ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

لما تقرر إثبات معاد الخلائق إليه تعالى في قوله (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعبين) ذكر عقبيه ذلك يوم القيامة، وسماه يوم الفصل لأنه يفصل بين الحق والباطل والمؤمنين والكافرين، أو هو يوم قضاء الله وحكمه الذي لا يرد.

والميقات الموعد الذي يجتمع فيه في وقت واحد، وضمير جمع الغائبين راجع إلى جميع من تقدم ذكره من قوم تبع والأمم الهالكة وكفار قريش، ولفظ (أجمعين) حال مؤكدة.

قوله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

قوله (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً) جملة بدل من (يوم الفصل)، وفعل الإغناء متضمن معنى الدفع لذلك تعدى بـ (عن)، والمولى لفظ مشترك يطلق على السيد والعبد، وعلى القائم على تدبير أمر مولاه. والتكثير للعموم أي: أي مولى.

قوله (ولا هم ينصرون) النفي راجع إلى المولى الأول، أي: لا ينصرون بدفع العذاب عنهم.

قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٢﴾

قوله (إلا من رحم الله) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلاً فيكون المستثنى محله الرفع على البذل من (ينصرون)، أو يكون منقطعاً فيكون المستثنى منصوباً.

والمعنى: إلا من رحم الله بأن يعفو عنه أو يقبل فيه شفاعته مشفع، فإنهم في أمان ونصرة.

وذكر الصادق عليه السلام الاستثناء في الآية، فعن زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ونحن في الطريق في ليلة الجمعة: اقرأ فإنها ليلة الجمعة قرأنا، فقرأت (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً، ولا هم ينصرون إلا من رحم الله) فقال أبو عبد الله عليه السلام: نحن والله الذي استثنى الله فكنا نغني عنهم. ذكر في الكافي. انتهى.

قوله (إنه هو العزيز الرحيم) إنه هو الله الغالب الذي لا يُنصر من أراد تعذيبه، وهو الرحيم لمن أراد أن يرحمه.

قوله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾

الكلام جاء بعد الإخبار عن صفة أحوال القيامة، فانتهى إلى ذكر وعيد الكفار ثم بيان وعد الأبرار.

وشجرة الزقوم على ما ذكر من أخبث الشجر، كريحه الرائحة ذات أوراق صغيرة مسمومة إذا أصاب لبنها جلد الإنسان أهلكته، وأكثر وجودها في تهامة والبلاد المجاورة للصحراء، وتقدم ذكر الشجرة المرعبة في سورة الصافات، قال تعالى (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رءوس الشياطين) [الصافات: ٦٤-٦٥].

و(طعام الأثيم) الأثيم مبالغة في كثير الآثام، والصورة زيادة في تهويل عذاب المجرمين، فقد يجعلهم الله تعالى يشعرون بالظماً والجوع فيطلبون ما يسد عطشهم وجوعتهم فيسقون المهل ويطعمون من شجرة الزقوم، وقد جاء في القرآن أنهم يسألون أهل الجنة الماء قال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) [الأعراف: ٥٠].

وفي المجمع وغيره أن الأثيم أبو جهل فقد: روي أن أبا جهل أتى بتمر وزبد، فجمع بينهما وأكل وقال: هذا هو الزقوم الذي يخوفنا محمد به، نحن نتزقمه، أي: نملأ أفواهنا به. انتهى. ولا يعني الأمر تخصيصه به وحده في العذاب.

قوله تعالى ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغِي فِي الْبُطُونِ﴾ ﴿٤٥﴾

أي: طعام الأثيم كالمهل، والمهل ما يذاب من بعض الفلزات كالنحاس والرصاص بفعل الحرارة الشديدة، والذي يغلي في البطون شجرة الزقوم التي هي طعام الأثيم، وليس المهل، لأنه جيء لتمثيل الشجرة وطعامها.

قوله تعالى ﴿ كَغَلِي الْحَمِيمِ ۝٤٦ ﴾

أي يغلي طعام الشجرة في بطون الكافرين كغلي الماء الحار الشديد الحرارة.

قوله تعالى ﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٤٧ ﴾

الخطاب لخزنة النار، يؤمرون بأن يدفعوا الكافر الأثيم بعنف إلى وسط نار الجحيم، لتأخذه من كل جانب.

والأخذ المسك، والفاء في (فاعتلوه) للتعقيب، والعتل كما قال الراغب: الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر كعتل البعير. انتهى.

ولفظ السواء بمعنى وسط الشيء سمي بذلك لاستواء المسافة بينه وبين أطرافه المحيطة به، ولفظ الجحيم من الجحمة وهي شدة تأجج النار.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝٤٨ ﴾

تفيد (ثم) التراخي الرتبي، والصب إراقة المائع من أعلى، لذلك أريد باستعارة عذاب الحميم الماء الذي وصل غايته في الغليان والحرارة،

وخص فوق الرأس لأنه مصدر الإحساس، وفي المجمع: قال مقاتل إن خازن النار يمر به على رأسه، فيذهب رأسه عن دماغه، ثم يصب فيه. انتهى.

قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾

الكلام من خطاب خزنة النار للآثمين، وهو من العذاب النفسي لهم زيادة على عذابهم الجسدي، لأن مضمونه الاستهزاء بهم، فالمراد ضد (العزیز الكريم) أي الذليل المهين.

قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمَتَّرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

الكلام من تنمة قول ملائكة النار للآثمين، ولفظ الإشارة إلى عذابهم الذي هم فيه، وضمائر الجمع باعتبار معنى جنس الأثيم، والمعنى: إن هذا الذي أنتم فيه من العذاب كنتم في الدنيا تشكون في وقوعه، وهو ما ذكر في أول السورة في قوله تعالى (بل هم في شك يلعبون) [الدخان: ٩].

قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ﴿٥١﴾

استئناف بياني جديد لذكر وعد الأبرار بعد الفراغ من ذكر وعيد الكفار. وخص المتقين بالذكر، لأنهم أخص بالإيمان من لفظ المؤمنين، وذكر لهم في الآية إلى تمام ستة آيات بعدها سبعة أسباب لتنعمهم، أمن المسكن، وطيبه، وجمال لبسهم، وطيب أنسهم، وتزويجهم بالهور العين، وتلذذهم

بأنواع الفاكهة وأمنهم من غوائلها، وبدوام نعيمهم. ومعنى كونهم في مقام أمين، أي مسكن يأمن فيه الساكن فلا يخاف شيئاً ولا يحذر من شيء، كأن المسكن المخيف يخون صاحبه لما يلقي فيه من المكاره، وإسناد الأمان إلى المقام على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، لأن حقيقته مأمون لا آمن.

قوله تعالى ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ ﴾

شبه الجملة متعلق بالمقام الأمين، فمن جمال المسكن وطيب المكان أن يكون عامراً بأسباب النزهة وبهجة النفس، وهي الجنات العامرة بالأشجار والمياه الجارية، وهي النعيم الثاني لأهل التقوى.

قوله تعالى ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۖ ﴾

جمال مظهر المتقين من التنعم الثالث في الجنة، وهو أن ثيابهم ناعمة مادتها السندس وهو ما رق من الديباج والحريز، والإستبرق ما غلظ منه، أي كلا النوعين يلبسون.

ولفظ (متقابلين) وصف لأنس بعضهم ببعض، من جهة جلوسهم متقابلين، فهم مأنوسون بأحاديث المحبة وما يدخل السرور على النفس، ويحتمل أن يكون كناية عن صدقهم فلا يغتاب أحد أحداً، والكلام في صفة جلوسهم من تنعمهم الثالث الذي ذكر لهم.

قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۖ ﴾

وهو التنعم الرابع الذي أنعم الله به على المتقين في الجنة، ويجوز أن تكون (كذلك) محلها الرفع بتقدير: الأمر كذلك، وتحتمل النصب بمعنى: آتيناهم مثل ذلك.

ومعنى (وزوجناهم) أي: وقرناهم بهن، بدليل تعديته بالباء، ولو كان بمعنى عقد التزويج لعداه بنفسه كما في قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) [الأحزاب: ٣٧]، كما أن يبعد ذلك أليس ثمة عقد تزويج في الجنة ونحو ذلك، وإنما الأنس بمصاحبة الحباء.

والحور العين نساء الجنة يجعلهن الله للمتقين فيأنس بصحبتهن، وهن غير زوجات الدنيا المؤمنات الداخلات في الجنة.

وأصل الحور بياض، وهو جمع الحوراء، وهي البيضاء، وعين حوراء إذا اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها، قال الرازي: ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون حور عينيها بياضا في لون الجسد. انتهى.

ولفظ العين جمع مفردة العيناء للمؤنثة، وهي المرأة التي تكون واسعة العينين، والأعين للمذكر.

قوله تعالى ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

موقع الجملة الحال، وهو التنعم الخامس، أي: يأمرؤن في الجنة بإحضار ما يرغبون من أنواع الفاكهة، وضمير الجمع راجع إلى المتقين كما تقدم،

والهاء في (فيها) للجنة، وتعدية الفعل بالباء في (بكل) لتضمن الفعل معنى الإحضار، كما يقال: دعا بفلان، أي أمر بإحضاره.

ولفظ الكل دال على كثرة الفاكهة، ونصب (آمين) على الحال من ضمير (يدعون)، وهو غير الأمن في قوله (ومقام أمين) لأنه هنا بمعنى الأمن من آفات الطعام والنفاد.

قوله تعالى ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ ﴾

قوله (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) وهو التنعم السادس، وهو طمأننتهم بأنهم خالدون في الجنة لا يحولون عنه بسبب من الموت كما في عالم الدنيا.

فالمراد بإذاقة الموت كناية عن انقطاعهم عن النعيم، والموتة الأولى الموتة التي انتقلوا فيها من عالم التكليف إلى عالم الانتظار والبرزخ.

والاستثناء في الموتة الأولى من مستقبل إذاقة الموت في الجنة على أساس أن (إلا) بمعنى الاستدراك، والتقدير: لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها. ولل كلام تأويل آخر لمن يرغب بالرجوع إلى مصادر التفسير.

قوله (ووقاهم عذاب الجحيم) أي: هم في حفظ من الانتقال من دار النعيم إلى دار الجحيم، وهو التنعم السابع.

قوله تعالى ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٥٧﴾

قوله (فضلا من ربك) حال من كل ما تقدم، وأصل الفضل الزيادة فوق الاستحقاق، وكل ما يكون من عند الله فضل منه، وليس من الاستحقاق الموجب عليه، وإنما هو وعده تعالى لعباده.

و(من) ابتدائية، وذكر لفظ الرب لتعظيم الفضل، وإضافته إلى كاف النبي ﷺ للتشريف والعناية.

قوله (ذلك هو الفوز العظيم) أي: ذلك الفضل وهو ما تقدم من أنواع التنعم للمتقين هو وحده الفوز المتصف بالعظمة.

قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

قوله (فإنما يسرناه بلسانك) الفاء للتفريع على معاني ما تقدم في السورة، و(إنما) للحصر، والتيسير التسهيل، والهاء في فعله راجعة إلى الكتاب، والباء في (بلسانك) للسبب، واللسان مجاز في اللغة، والخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: إن الله تعالى يسر فهم مقاصد القرآن ومعانيه، وإن سبب ذلك التيسير أنه نزل بلغة هي أفصح اللغات وأوسعها وهي اللغة العربية، وبلسان أفضل الرسل محمد ﷺ، وأبينهم، لعل قومه يتذكرون فيؤمنون.

قوله (لعلهم يتذكرون) جملة غاية للتيسير، والضمير في (لعلهم) عائد إلى قوم النبي ﷺ، والتذكر حضور الشيء في الذهن، ويراد به الانتباه من غفلتهم بتدبر لغة القرآن وفهم معانيه.

قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

الفاء تفریع بعد تفریع، أي: فانتظر يا محمد ﷺ أمر ربك فيهم واثبت عليه، إنهم منتظرون له.

وأمر ارتقاب النبي ﷺ يختلف عن ارتقاب المشركين، فالأمر للنبي ﷺ مضمونه الوعد له، والوعيد لهم، والارتقاب لقومه تهكم بهم.

سورة الجاثية

مكية، وهي سبع وثلاثون آية

ترتيب سورة الجاثية قبل الأخير في تسلسل الحواميم السبعة، حفلت بمعاني الإنذار والتخويف من الإعراض عن الكتاب وما يتضمن من دعوة التوحيد، وابتدأت بذكر دلائل التوحيد وشرعة الشريعة فذكرت إنزالها إلى بني إسرائيل لتخلص منها إلى شريعة النبي ﷺ، ودعت إلى لزوم اتباعها، لأن وراءهم يوما تعرض فيه الأعمال وتتمايز فيه الأمم فريقين مؤمنين وكافرين.

وفي السورة احتجاج على إنكار المعاد، وذكر لأدلة إثباته، تنذر من يجدها وتثيب من يؤمن بها، وهي بعد مكية النزول، يشهد لها بذلك اتصال آياتها، ولا يعبأ بالقول بأن قوله تعالى (قل للذين آمنوا) مدنية، لأنه تحكم بلا دليل، واستناد إلى روايات ضعيفة.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

ارتفع لفظ التنزيل على تقدير: هذا تنزيل الكتاب، وهو من إضافة الصفة إلى موصوفها، لأن أصله: هذا كتاب منزل، وإنما أضيف لأن مراد الكلام الحديث عن صحة التنزيل، وهو مصدر يراد به المفعول أي منزل.

والكتاب هو المعهود في الذهن يراد به القرآن، وشبه الجملة (من الله) متعلقة بلفظ التنزيل، تأكيد لصحة صدوره من الله، وصفنا العزيز الحكيم، مبالغة في العزة والحكمة، مناسبة للسياق في كون التنزيل من عند قوي غالب، فلا يغلب بلاغته المنكرون، وأنه نازل من لدن حكيم أودع في كتابه أدلة حكمته وآيات إعجازه.

قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾

الابتداء بحرف التأكيد (إن) لتنزيل المخاطبين منزلة المنكرين مع أنهم مقرون بخلق الله للسموات والأرض، ولكنهم أنزلوا كذلك لأنهم لم ينتفعوا بذكرها.

والظرف (في) دال على أن نفس وجود السماوات والأرض بصفاتها ونظام تعلق بعضها ببعض ومقاديرها آيات على وحدانية الله تعالى، يغني عن تقدير معنى: إن في خلق السموات والأرض آيات للمؤمنين.

والآيات العلامات البينة على إتقان تدبير الخالق لها، وخصها للمؤمنين لأنهم الأجدر بالانتفاع بها، وغيرهم لا يصل بها إلى إثبات خالقها.

قوله تعالى ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾

العطف لجملة على أخرى عطف خاص على عام، أي: وفي ذواتكم، والخطاب لعموم السامعين، والتقديم للاهتمام بالمتقدم، و(ما) اسم موصول

لغير العاقل، واللبث التفريق، ويراد به كثرة خلق الدواب وتفريقها ونشرها على الأرض، وفعل المضارع للتجدد، و(آيات) مبتدأ مؤخر، وتنكيره للتعظيم، واللام في (لقوم) للملك، والإتيان بلفظ القوم ثم فعل مضارع الإيقان، لإفادة الرسوخ، أي: للمتصفين بصفة السالكين في سبيل اليقين.

وخلق الإنسان في ذاته آيات دالة على وجود الله تعالى، لأنه خلقه من أطوار متعددة، كل طور لا يشبه الذي قبله، ولو كان من عند غير الله لما انتظم كل هذا الانتظام، بل كان كل إله له رأيه، وخلقه فلما لم يكن فليس إلا هو سبحانه لا شريك له.

قوله تعالى ﴿وَأَخْتَلَفَ أَيْلٌ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله (واختلاف الليل والنهار) العطف بتقدير: وفي اختلاف الليل والنهار، أي في تعاقبهما طولاً وقصراً، بفعل تعاقب الفصول على الأرض، والليل والنهار ظرفان ينشآن بحركة الأرض قبال نور الشمس حركة منتظمة كل يوم فما قابل منها النور نتج عنه النهار وما جانبه كان الليل، وفي نشوءهما ابتداء حياة الإنسان في تفاصيل معيشته وراحته، وأما طولهما وقصرهما فينتجان بفعل ميلان الأرض عن الشمس في كل موسم.

قوله (وما أنزل الله من السماء من رزق) العطف بتقدير: وفيما أنزل الله. والذي أنزله الله من السماء هو المطر الي يؤول إلى نبات يأكل منه الإنسان والحيوان رزقا له.

و(من) الأولى ابتدائية، والسماء يراد بها السحاب، و(من) الثانية مزيدة للعموم، والرزق مجاز من المطر لأنه سبب في الرزق.

قوله (فأحيا به الأرض بعد موتها) الفاء للتفريع، وإحياء الأرض بالمطر استعارة لإنبات النبات وإخراج الثمر منها بعد طول جذبها الذي استعار له الموت بجامع انعدام الحياة.

قوله (وتصريف الرياح) العطف بمعنى: وفي تصريف الرياح، أي تحويلها وتغيير جهتها بحيث تسوق السحب فتحدث المطر، وتدفع بالأشعة فتتحرك الفلك في البحر. وأخره عن إنزال المطر مع تقديمه عليه لإفراده في استقلال آيته.

قوله (آيات لقوم يعقلون) لفظ الآيات خبر تتنازعه الابتداءات في كل ما تقدم، وخصها

بالمتمصفين بالعقل لأنهم الأحق بنفهمها والتفكر فيها للوصول بها إلى وجود صانعها.

قوله تعالى ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ

وَأَيِّتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

قوله (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) اسم الإشارة لتعظيم المذكورات التي عبر عنها ثلاث مرات بأنها آيات اختصت بكل قوم، والإخبار عنها بأنها آيات الله أي آياته النازلة في القرآن، لأن المصنوعات المادية مظهر الوجود الخارجي لكلمات الله الدالة على كمال تفرد الألوهية والربوبية.

وجملة (نتلوها عليك) محلها الحال من معنى (تلك)، وفعل التلاوة القراءة المتصلة المتمكنة من مسامع النبي ﷺ وقلبه، وإسناد الفعل إلى نون العظمة على سبيل المجاز العقلي، لأنه تعالى يتلوها على رسوله ﷺ بالواسطة بالوحي.

وشبه الجملة (بالحق) محلها الحال، أي: متلبسا بالحق، ولفظ الحق دال على الثبات والصدق.

قوله (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) الفاء للتفريع، والاستفهام للإنكار، والحديث الكلام الجديد، و(بعد الله) أي: بعد حديث الله وآياته، وهي آياته الكونية الأنفة الذكر، و(يؤمنون) بمعنى: يصدقون.

قوله تعالى ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾

لما أنكر على الكافرين عدم إيمانهم بالآيات، توعدهم الله بالويل والهلاك، والتصريح بكل أفاك أثيم لإفادة تعليل وعيدهم بالويل. والأفأك مبالغة في الإفأك وهو الكذب، والأثيم مبالغة في كثير الآثام.

قوله تعالى ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا

فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾

قوله (يسمع آيات الله تتلى عليه) فعل السمع حال أو صفة، والفاعل كل أفاك أثيم، والإفراد باعتبار اللفظ، وآيات الله آيات الكتاب العزيز، وجملة (تتلى عليه) محلها الحال: أي: متلوة عليه بحيث تبلغ مسامعه.

قوله (ثم يصر مستكبرا) ثم: للتراخي الرتبي، والإصرار يراد به العناد على الكفر والإعراض عن آيات الله، استكبار عليها واستعلاء، والنصب على الحال.

قوله (كأن لم يسمعها) جملة التشبيه محلها الحال، وهي تصوير لشدة إعراض الأفاك عن آيات الله ونفي أثرها فيه، شبيه من لم يسمعها.

قوله (فبشره بعذاب أليم) الفاء لتفريع التهديد على الإعراض والاستكبار، وفعل التبشير للتهكم، والعذاب الأليم هو عذاب النار يوم القيامة، وتوصيفه بالأليم مبالغة يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ ﴿٩﴾﴾

قوله (وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً) أي: وإذا علم ذلك الأفاك المستكبر بعضاً من آيات الله اتخذها كلها هزواً، وذلك لكمال جهله، وشدة استكباره، واستعمال المصدر (هزواً) دون اسم المفعول أي: مهزوءاً بها، للمبالغة في اتخاذ الآيات عين الهزاء.

قوله (أولئك لهم عذاب مهين) لفظ الإشارة لكل أفاك أثيم مستكبر، والجمع فيها باعتبار (كل) والإخبار بتوعدهم بعذاب مهين مقابلة لاستكبارهم على الآيات واستهزائهم بها.

قوله تعالى ﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أُتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾

قوله (من ورائهم جهنم) أي: من أمامهم جهنم تتلقاهم يوم القيامة، وضمان الجمع في الآية راجعة إلى الأفاكين المستكبرين، ولفظ الوراق من الألفاظ المتضادة يقع على القدام والخلف.

قوله (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً) أي: لا يدفع عنهم عذاب جهنم ما كسبوه من حطام الدنيا.

قوله (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي: ولا تغني عنهم معبوداتهم من دون الله، وسموا أولياء لأنها أرباب أصنامهم زعموها آلهة تشفع لهم عند الله.

و(ما) مصدرية، وتقديم الجار والمجرور للأهمية، ولا يخلو من علة نفي الغناء.

قوله (ولهم عذاب عظيم) تقديم شبه الجملة للتأكيد، والعذاب العظيم الشديد الألم، والجملة في غاية الوعيد للكافرين.

قوله تعالى ﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴾



قوله (هذا هدى) أي: هذا القرآن العظيم هدى، والإخبار بالمصدر للمبالغة من هاد. والجملة رد على المتخذين الكتاب هزوا.

قوله (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) إظهار صلة الموصول (بآيات ربهم) في موضع إضماره، أي: به، عائد إلى القرآن، لإفادة علة الحكم عليهم بعذاب الرجز. وتنوين لفظ العذاب ثلاث مرات للتهويل والتعظيم، أي في قوله (عذاب مهين) و (عذاب عظيم) و(عذاب من رجز).

وتقديم (لهم) للتأكيد، و(من) بيانية، والرجز أشد العذاب، ولفظ الأليم وصف للعذاب مبالغة في المؤلم.

قوله تعالى ﴿ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا

مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (الله الذي سخر لكم البحر) الآية وما بعدها في مقام التذكير بامتنان الله على خلقه دليلا على كمال ربوبيته سبحانه التي أنكرها الأفاكون.

والتصريح بلفظ الله يفيد القصر، أي: الله وحده دون سواه الذي ذلل لأجلكم البحر، فجعله ذا خواص تركيبية قابلة لحمل الفلك العظيمة، ولا يمنع من الغوص فيه لاجتلاب المنافع.

والتسخير التطويع والتذليل، واللام في (لكم) للغاية، والخطاب عام لكل سامع لأنه أدل في مقام الامتنان، وتعريف البحر للعموم.

قوله (لتجري الفلك فيه بأمره) جملة تعليل للتسخير، وجري الفلك مشيها سهلة على ظهر ماء البحر، والظرف في (فيه) أي في البحر دال على شدة ملازمة السفن للبحر، والباء في (بأمره) للسبب، أي بسبب أمر الله لا بسبب أمر البحر، فهو احتراز لدفع توهم أن يكون البحر متمكنا من نفسه مستقلا عن قدرة الله تعالى.

قوله (ولتبتغوا من فضله) جملة تعليل ثانية لتسخير البحر، وهي طلب الرزق في التجارة بالتنقل على ظهره أو بالغوص فيه بحثا عن اللؤلؤ والمرجان، أو بالصيد لحيتانه.

قوله (ولعلكم تشكرون) جملة تعليل ثالثة، أي: لكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك.

قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) انتقال في التسخير من المعنى الخاص بذكر البحر إلى ما هو أعم في جلب المنافع، فهذه الموجودات الكونية بصريح الآية مسخرة لأجل الإنسان، فأقرب مفهوم لما في السماوات ارتباط الأرض بمنظومة الشمس، فينتج عن نظام حركة الأرض قبال نور الشمس الليل والنهار، وينشأ من الحركة المدارية نظام الفصول الأربعة وكلها من مقومات الحياة للإنسان وتدبير شؤونه التي لا يحىي من دونها.

قوله (جميعا منه) نصب لفظ (جميعا) على الحال المؤكدة، ومن في (منه) ابتدائية، والهاء راجعة إلى الله تعالى، والجار والمجرور موقعها الحال، أي: كائنة منه، أو الصفة لـ (جميعا) أي: جميعا كائنة منه، لأنه تعالى مبدأ الوجود أظهره لا على مثال سابق.

قوله (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) جملة تقرير وتذييل، والتأكيد بحرف والنسخ ولام خبره لإنكار المخاطبين، واسم الإشارة مشار به إلى الأمور العظام التي ذكرت، وأخبر عنها بلفظ الآيات لأنها دالة واضحة كثيرة لا

شبهة فيها، وتنكيرها للتعظيم، وكونها قوم يتفكرون لأنهم الأجدر بالانتفاع
ببدائع صنع الله فيصلون بها إلى جلائل عظمته.

قوله تعالى ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

قوله (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) لما ذكرت الآيات
السابقة دلائل توحيده تعالى انتقل الكلام إلى تعليم المؤمنين الشريعة الحقة
والأخلاق الفاضلة.

والمعنى: قل لقومك المؤمنين أيها النبي ﷺ أن يعفوا عن الكفار ويتركوا
مخاصمتهم ومجادلتهم وألا يردوا على طعونهم بالنبي ﷺ واستهزائهم،
لأن وبال أمر المستهزئين سيعود عليهم.

وجزم (يغفروا) لأنه جواب الأمر (قل) باعتبار تعلقه بالمعنى لا باللفظ،
أي: قل للذين آمنوا اغفروا يغفروا.

و(لا يرجون) بمعنى: لا يتوقعون، وهم الكفار، و(أيام الله) وقائعه بأعدائه،
على عادة العرب في تسمية انتصاراتهم بلفظ الأيام، والكافرون لجهالتهم لا
يتوقعون لله أياما لا حكم فيه لأحد إلا له، لأنهم منكرون ليوم معادهم
وحسابهم.

قوله (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) جملة تعليل لأمر المغفرة، وهو أن الله مجازيهم على عملهم وهو الذي يحاسبهم، والجزاء المكافاة، وإظهار (قوما) وتنكيره لنكارتهم وأنهم لا يعابأ بهم، وهم كفار قريش المستهزون، والباء في (بما) للعوض.

قوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٥﴾

قوله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) الكلام تعليل للمجازاة، وهو أن الأعمال في الدنيا لها أثر في الآخرة، فلا تذهب سدى من دون محاسبة، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

و(صالحا) صفة لموصوف محذوف تقديره: عملا صالحا، واللام في (لنفسه) للملك، أي نفع عمله لنفسه، وحرف الجر في (عليها) للاستعلاء، أي عود إساءة عمله عائد على نفسه.

قوله (ثم إلى ربكم ترجعون) (ثم) للتراخي الرتبي، والتقديم للقصر، والالتفات في الخطاب (ربكم) لإفادة الوعد والوعيد، لأن رجوعهم إليه سبحانه لازمه محاسبتهم على أعمالهم. والكلام بحسب المقام أقرب إلى التهديد.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾

قوله (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة) لما ذكر لحوق أثر العمل بصاحبه، وصله بذكر الشريعة الإلهية فبدأ بذكر شريعة موسى، لينتهي منه بشريعة النبي ﷺ، وإيتاء الكتاب بني إسرائيل مجاز من إتيانه إلى موسى عليه السلام، والكتاب هو التوراة المشتملة على شريعة موسى، قال تعالى (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) [البقرة: ٢١٣].

ولفظ الحكم ما يقضى فيه بين المختلفين بشريعة الكتاب، وإيتاء النبوة باعتبار أن أكثر الأنبياء من بني إسرائيل.

قوله (ورزقناهم من الطيبات) أي: ورزقهم الله من طيبات الرزق، فوسع عليهم من نعمه، وأورثهم تركة أعدائهم القبط، وأنزل عليهم المن والسلوى. قوله (وفضلناهم على العالمين) تفضيلهم على عالمي زمانهم لأنهم كانوا أرفع درجة ممن سواهم في وقتهم.

قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧)

قوله (وأتيناهم بينات من الامر) وأعطاهم الله أدلة واضحة في أمور دينهم ومنها معجزات موسى، وقيل في توجيه آخر: إن المراد أدلة بينة على ظهور نبي آخر الزمان في مكة ومهاجرته من تهامة إلى يثرب.

قوله (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) الفاء للتفريع أن اختلاف بني إسرائيل بينهم لم يكن عن شبهة، بل عن علم افتعله علماؤهم حسدا وبغيا بينهم، وهذا من عجيب أحوالهم، لأن ما يتوقع من حصول العلم أن يرتفع به البغي والخلاف، لا أن يكون سببا فيه.

قوله (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي: إن أثر اختلافهم في الدنيا سيلاحقهم إلى الآخرة فيحاسبون عليه، والكلام مستبطن على تهديد ووعد لهم.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨)

قوله (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) ثم: للتراخي الرتبي، والخطاب للرسول ﷺ، وأمته مشمولة به، و(على) مجاز للتمكن والثبات، والشريعة أصلها طريق ورود الماء، واستعير للأحكام الإلهية النازلة بالكتب السماوية، بجامع الفائدة والحياة، وتنكيرها لخصوصية شريعة النبي ﷺ، و(من) للتبيين، ولفظ الأمر بمعنى الدين.

قوله (فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الفاء للتفريع على الجعل، وأمر اتباع الشريعة بمعنى التزام أحكامها وأوامرها ونواهيها، و(لا) للنهي عن اتباع الجاهلين، والإتيان بجملة الموصول لبيان علة النهي.

والآية تؤيد سبب نزولها، فقد قيل: إن رؤساء قريش قالوا للنبي ﷺ وهو بمكة: ارجع إلى ملة آبائك، فهم كانوا أفضل منك وأسن، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) قطع الكلام لأنه تعليل للنهي، أي: لأنهم لا يدفعون عنك ضراً لو أَرَادَ الله بك، وتنكير (شيئاً) للقلة.

قوله (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) العطف لأنه تعليل ثان للنهي، وهو أن الظالمين المتبعين لأهوائهم ليس الله وليهم، بل بعضهم يوالي بعضهم.

وإظهار لفظ الظالمين بيان لتشنيع حال المبتدعة المتبعين غير الله.

قوله (والله ولي المتقين) العطف بمعنى: ليس الله ولي الظالمين، وأما المتقون فالله وليهم، وناصرهم، فما أشد الفرق بين الولايتين.

قوله تعالى ﴿ هَذَا بَصِيرُ النَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ يُوقِنُونَ ﴾

لفظ الإشارة لتمييز القرآن وتعظيمه لما يشتمل على الشريعة، وتشبيهه بالبصائر على سبيل التشبيه البليغ، لما في آياته من البينات الشافية لتمييز الحق من الباطل، وهو هدى مبالغة في الهادي لأنه الدليل على الهداية من الضلالة، وهو رحمة لمن أيقن به وآمن، وإنما هو للمتصفين بصفة الثبات واليقين لأنهم الأجدر بالانتفاع بما ذكر من صفات القرآن.

قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ



قوله (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أم: منقطعة بمعنى بل، أعقبها همزة استفهام لإنكار التساوي بين الطرفين المذكورين، أي: بل أحسب، والذين اجترحوا السيئات هم المشركون المستهزون، والاجترأح افتعال في اكتساب الأعمال السيئة، والجعل بمعنى التصيير.

قوله (سواء محياهم ومماتهم) والسواء الاعتدال والتساوي، أي: نفي التساوي في الأثر والمنزلة بين مجترحي السيئات والمؤمنين في الحياة والممات، والمحى والممات مصدران ميميّان، أي: لا تكون الحياة والممات بينهما متساوية في الثواب والعقاب، وإلا أصبح الدين لغوا عبثا، لا أثر له ولا قيمة.

قوله (ساء ما يحكمون) جملة ذم وبطلان لحسبان الكافرين في الحكم بالتساوي بين مجترحي السيئات وبين الذين آمنوا.

قوله تعالى ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

قوله (وخلق الله السماوات والأرض بالحق) الكلام احتجاج على نفي الاستواء بين مجترحي السيئات والذين آمنوا، بأن خلق العالم المشهود ليس عبثا بل من ورائه حكمة بالغة قائمة على إثابة المحسنين ومعاقبة المسيئين، فكون خلق هذا العالم المشهود ملتبسا بالحق والعدل يعني أن وراءه حساب وتحقيق للعدل بمعاد الخلائق إليه تعالى.

قوله (ولتجزى كل نفس بما كسبت) حجة ثانية لإثبات المعاد من طريق تحقيق العدل، وهو المجازاة على العمل في عالم النشأة، مما يعني نفي التساوي بين المحسن والمسيء.

قوله (وهم لا يظلمون) أي: لا ينقص من حقهم شيء، بل يأخذ كل أحد جزاءه.

قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾

قوله (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) تفریع وتعجیب من حال من اتخذ إلهه هواه، وفعل الرؤية للعلم، والاتخاذ أثبت في صفة إبدال الإله بالهوى، وتقديم (إلهه) على (هواه) دال على أنه يعلم أن له إلهًا تجب عبادته وطاعته، ولكنه يبذل عبادته بعبادة هواه على علم منه.

وقيل إن الآية نزلت في قريش كلما هؤوا شيئاً عبدوه، وعن ابن عباس قال: كان الرجل من العرب يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه أخذه وألقى الآخر، فأنزل الله (أفرايت من اتخذ إلهه هواه). ذكر في الدر المنثور. انتهى.

قوله (وأضله الله على علم) إضلال الله تعالى للمتخذ إلهه هواه على سبيل مجازاته واستعداد نفسه، وهو يعلم بأنه ضال، نظير قوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) [النمل: ١٤].

قوله (وختم على سمعه وقلبه) العطف عطف تفسير لما قبله، وهو فقدان الضال أثر مداركه، فكأنه ختم على سمعه وقلبه، أي منعت مداركه وهي السمع والقلب أي الإدراكات النفسية من تدبر ما يسمع من قول والتأثر به.

قوله (وجعل على بصره غشاوة) أي: وجعل نوع حجاب على آلة بصره، فلا يعود يتبين الحق من الباطل.

قوله (فمن يهديه من بعد الله) الفاء للتفريع، واسم الاستفهام للإنكار، والضمير فيه عائد إلى المتخذ إلهه هو، أي: من كانت حاله التي وصفت من الختم والجعل والعلم لا هادي له من بعد الله، و(بعد) هنا بمعنى: من غير الله، وهو في معنى قوله تعالى (ومن يضل الله فما له من هاد) [غافر: ٣٣].

قوله (أفلا تذكرون) الاستفهام للتوبيخ والفاء تفريع بعد تفريع، والمعنى: أفلا تتدبرون أن من يتبع هواه لا سبيل إلى هدايته فتتعظون به.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

قوله (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) القول من مشركي مكة كانوا يكررونه كثيرا، وهو إنكارهم أن تكون حياة أخرى بعد الممات، وأورد الكلام بالقصر لرسوخ المعنى في نفوسهم، فهم ينفون أن تكون أي حياة غير الحياة الدنيا، يموت فيها أسلافهم ويحيى بها أخلافهم ببقاء النسل، ولا شيء غير ذلك.

قوله (وما يهلكنا إلا الدهر) أي: لا يبليهم سوى الدهر، الذي يبلي كل جديد، والدهر امتداد الزمان الكثير، لذلك ورد عن الرسول ﷺ قوله: لا تسبوا

الدهر فإن الله هو الدهر، ووضحه الطبرسي بقوله: وتأويله أن أهل الجاهلية كانوا ينسبون الحوادث المجحفة والبلايا النازلة إلى الدهر فيقولون: فعل الدهر كذا، وكانوا يسبون الدهر فقال ﷺ: إن فاعل هذه الأمور هو الله، فلا تسبوا فاعلها. انتهى.

وقريب منه قوله ﷺ في نهج البلاغة: أنت الأبد، فلا أمد لك. انتهى.

قوله (وما لهم بذلك من علم) أي: إن قولهم ذلك لا يصدر عن دليل، بل عن جهل بحقيقة وجودهم وانتقالهم من دار التكليف إلى دار الانتظار.

و(من) مزيدة لتقوية عموم العلم، والباء المقترن بلفظ الإشارة متعلقة بلفظ العلم لأن أصل الجملة: ما علم لهم بذلك.

قوله (إن هم إلا يظنون) جملة تقرير، أي: إن قولهم ذاك ظن منهم وتخمين ينافي اليقين والدليل، وهو من تمام جهلهم، و(إن) بمعنى (ما) النافية، و(إلا) أداة ملغاة، لأن الاستثناء مفرغ لإفادة القصر.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوْا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) الكلام تأكيد لعقيدة الوثنيين بإنكار المعاد، وتلاوة الآيات عليهم بمعنى قراءتها على مسامعهم، ويقتضي أن

تكون تلك الآيات مشتملة على إثبات المعاد، وكونها بينات بمعنى أنها واضحة في إثبات الدليل فلا شبهة في وضوحها ولا التباس في فهمها.

قوله (ما كان حجتهم إلا أن قالوا انتوا بآبائنا) جملة القصر محلها الجواب لـ (إذا) الشرطية، وسمى جزاف قولهم حجة للتهكم بجهلهم، لأن معنى اقتراحهم بالإتيان بآبائهم بعد إقامة الدليل في تلاوة الآيات البينات مثل أن يقال: ما كان دليلهم إلا اللادليل.

ومعنى الإتيان بآبائهم إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم إلى الدنيا.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط دال على تمكن الجهل من نفوس الوثنيين، لأنهم به تصوروا التعجيز.

قوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

قوله (قل الله يحييكم ثم يميتكم) التلقين رد من الله على شبهة المشركين، أي: الله وحده الذي يحييكم ثم يميتكم وليس الدهر.

ولا ريب في أن إحياءهم وإماتتهم لغرض يتناسب وبناء الخلق القائم على العدل لا العبث، لأنهم باقتراحهم تبين تمام جهلهم بغاية الخلق، وهو المعاد.

قوله (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) الجمع الحشر إلى غاية القيامة والحساب وتحقيق العدل الإلهي.

قوله (لا ريب فيه) جملة تأكيد لحصول يوم القيامة، وهو نفي جنس الريب في قيامه.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي: أكثر الناس جهلاء بحقيقة المعاد وحصول القيامة.

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ﴾

قوله (ولله ملك السماوات والأرض) أي: له سبحانه وحده ملك السموات والأرض، يتصرف فيها كما يشاء، كما تصرف في الإحياء والإماتة والجمع.

قوله (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) قيام الساعة كناية عن قيام القيامة، لأنها تكون ببرهة من الزمان، وفيها انتهاء العالم وقيام الموتى وحشرهم للحساب.

والظرف (يومئذ) تقرير لقيام الساعة، وفعل الخسران استعارة من ضياع رأس المال، لذهاب الأجر والإيمان فهو الخسران المبين، و(المبطلون) القائلون بمزاعم البطلان العاملون على إفساد كل حق، وخسرانهم لأنهم أضاعوا فرصة النجاة في حياتهم الدنيا من العذاب في الآخرة.

قوله تعالى ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨)

قوله (وترى كل أمة جائية) الخطاب للرسول ﷺ ولكل راء، لأنه إخبار عن يوم القيامة، والأمة الجماعة من الناس، ونصب (جائية) على الحال، والجنو البروك على الركب، لأنها مستوفزة خائفة تنتظر أمر ربها.

قوله (كل أمة تدعى إلى كتابها) الجملة بدل مما قبلها، والكتاب الذي تدعى إليه كل أمة صحيفة أعمالها الخاصة بها، كما أن لكل إنسان كتابا خاصا به. وجملة (تدعى) محلها الصفة لـ (أمة)، أو الحال.

قوله (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي: يقال لهم ذلك، ولفظ اليوم للعهد أي يوم الجزاء والحساب على الأعمال.

قوله تعالى ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩)

قوله (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) أي: يقال لأهل الجمع يوم القيامة: هذا كتابنا ينطق بالحق، والكتاب صحيفة الأعمال الخاصة بكل إنسان، وإضافته إلى نون الجلالة لأنه بأمر منه تعالى، وكونه ينطق بالحق بمعنى شهادته بالكلام ملتبسا بالحق، وفي التعدية (عليكم) فلم يقل: لكم، دلالة التهديد، أي: بما لا يرضيكم.

وجملة (ينطق) محلها الحال، وإسناد الفعل إلى الكتاب على سبيل المجاز العقلي، لأن الملائكة تقرأ عليه أعماله، أو أن أعماله في الكتاب تتمثل له.

قوله (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) جملة تعليل لنطق الكتاب بالحق، والاستنساخ مبالغة في نسخ الأعمال في الحياة الدنيا، أي حفظها عن أصلها في اللوح المحفوظ، وليس بمعنى إزالتها.

قال السيد في الميزان: ولولا أن الكتاب يريهم أعمالهم بنحو لا يداخله شك ولا يحتمل منهم التكذيب لكذبوه، قال تعالى: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) [آل عمران: ٣٠].

وروي أنه سئل الصادق عليه السلام عن تفسير قوله تعالى (ن والقلم) فقال: إن الله خلق القلم من شجرة في الجنة، يقال لها الخلد، ثم قال لنهر في الجنة: كن مدادا فجمد النهر، وكان أشد بياضا من الثلج، وأحلى من الشهد، ثم قال للقلم: أكتب، قال: يا رب ما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب القلم في رق أشد بياضا من الفضة وأصفى من الياقوت، ثم طواه فجعله في ركن العرش، ثم ختم على فم القلم فلن ينطق أبدا، فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها، أو لستم عربا؟ فكيف لا تعرفون معنى الكلام؟ وأحدكم يقول لصحابه: انسخ ذلك الكتاب، أو ليس إنما ينسخ من كتاب آخر من الأصل؟ وهو قوله: (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون). رواه القمي في تفسيره. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٢٠﴾

قوله (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) الفاء للتفريع على ما تقدم من استنساخ الأعمال، والآية بيان عاقبة المؤمنين والكافرين مترتبة على أعمالهم في الدنيا.

و(أما) شرطية تفصيلية، والفاء في (فيدخلهم) واقعة في الجزاء، و(في) للملابسة الظرفية، ورحمة الله جنته، لأنها محل الرحمة.

قوله (ذلك هو الفوز المبين) أي: ذلك الإدخال في الجنة هو الظفر الذي ليس من بعده ظفر.

قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿٢١﴾

قوله (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم) الكلام يقابل الذي قبله، لإتمام الفائدة التفصيلية، واسم الموصول وصلته دالة على الانغمار في الكفر، وجملة التفريع جواب (أما)، والاستفهام للتفريع، والمعنى: يقال لهم على سبيل توبيخهم أفلم تكن آياتي تتلى على مسامعكم فقابلتموها بالاستكبار عن الإيمان بها.

قوله (وكنتم قوما مجرمين) أي: وكنتم قوما شأنكم الإجماع، فحق عليكم الحكم بعذابكم في النار.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِينَ ٢٢﴾

قوله (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة) أي: إذا أخبر المشركون إخباراً مؤكداً بأحقية الجزاء والمعاد، وأن يوم القيامة لا يشوب وقوعه أدنى ريب أجابوا بمنتهى المكابرة بنفي درايتهم بحقيقة الساعة.

و(ما) الأولى نافية، والثانية استفهامية معلقة عن الجواب.

قوله (إن نظن إلا ظناً) أي: نظن بقيام الساعة غير قاطعين بحتميتها، والكلام دال على استهزائهم في إنكار المعاد بعد تقديم الدلائل البينة عليه.

قوله (وما نحن بمستيقنين) الكلام مشدد على إنكار يقينهم بحصول الساعة، لشدة رسوخ الوثنية في نفوسهم.

قوله تعالى ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ



قوله (وبدا لهم سيئات ما عملوا) الكلام دال على تمثل الأعمال يوم القيامة، فالبدو الظهور لجزاء ما عملوا من سيئات ففي الكلام حذف.

قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي وأحاط بهم العذاب الذي استهزؤا به من قبل في الدنيا حين كانت تنذرهم منه الرسل. وجيء باسم الموصول وصلته من دون التصريح بلفظ العذاب لتشنيع استهزائهم بآيات الله.

قوله تعالى ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِيكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) لفظ اليوم للعهد، أي: اليوم الذي هم فيه في حساب يوم القيامة، والنسيان كناية عن الترك، أي: نعرض عنكم كما أعرضتم عنا في الدنيا بترك الإيمان باليوم الآخر.

فنسيان الله مجاز في تركهم لجزائهم من دون رحمة بهم، ونسيانهم مجاز في تجاهلهم لآيات الله واستكبارهم عن الإيمان بها في عالم الدنيا.

والكاف في (كما) تفيد السبب، ومعنى (لقاء يومكم) اختصار لمعنى البعث وتفصيله من عرصات القيامة، واسم الإشارة (هذا) للتمييز.

قوله (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أي: ومستقركم في النار، ليس لكم من يدفعها عنكم.

قوله تعالى ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾

قوله (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) ذلك العذاب بسبب اتخاذكم آيات الله مهزوءا بها.

قوله (وغرتكم الحياة الدنيا) وبسبب اغتراركم بالحياة الدنيا فأخذتم إلى ملذاتها معتقدين لا حياة وراءها، وإسناد الفعل إلى الحياة الدنيا مجاز عقلي للمبالغة.

قوله (فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون) الفاء للتفريع، ولفظ اليوم للعهد الحضورى، والكلام تأييس من إخراجهم من النار، والاستعتاب طلب العتبي من ربهم، كناية عن فوات أوان الرضى والعذر.

والعدول من صيغة الخطاب إلى الغيبة، لإفادة احتقارهم وسقوطهم من رتبة الخطاب.

قوله تعالى ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾

الفاء لتفريع التحميد، وتقديم (الله) لقصر الحمد فيه تعالى وحده، والجمل بعده تعليل للحمد، وتكرار لفظ الرب لإفادة مربوبية كل شيء لله وحده، إبطالا لزعم الوثنيين بتقاسم الربوبية بين الله وشركائه.

قوله تعالى ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٧﴾

قوله (وله الكبرياء في السماوات والأرض) تقديم (وله) يفيد القصر، أي: الكبرياء خاص به وحده تعالى، فلا يتعالى عليه شيء في السماوات والأرض، ولا يستصغره شيء فيهما، والكبرياء كمال غلبته تعالى وسلطانه.

وفي الحديث القدسي: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدة منهما ألقيته في نار جهنم. ذكر في المجمع. انتهى.

قوله (وهو العزيز الحكيم) وهو تعالى وحده الغالب الذي لا يقهر على أمره، وهو الحكيم فيما يخلق ويدبر.

سورة الأحقاف

مكية، وهي خمس وثلاثون آية

عنيت آيات السورة بإنذار المشركين الصادين عن دعوة التوحيد، الناكرين للمعاد، فأثبتته بالبراهين، مرة بعد مرة، ووعدت المؤمنين به، وتوعدت الكافرين عليه، وفي ذلك ربطت الآيات بين عقوق الوالدين والكفر بالله، وبين البر بهما والإيمان، في إشارة إلى شرفهما وعظم منزلتهما عند الله، وفي السورة احتجاج على الوحداية والنبوة، وعرضت لأجله المصاديق ترغيبا وترهيبا، فذكرت هلاك قوم هود وهلاك القرى التي حول مكة وإنذارهم بذلك، ووبختهم فذكرت تأثر الجن بالقرآن وإيمانهم به وبالرسالة، والسورة مكية يشهد لها بذلك اتصال آياتها إلا في آيتين اختلف فيهما، هما قوله تعالى (أم يقولون افتراه)، وقوله: (قل أرأيتم إن كان من عند الله).

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ حَمْدٌ ۝۱ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝۲ ﴾

القول في الآية عينه في سورة الجاثية.

قوله تعالى ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ

مُسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ۝۳ ﴾

قوله (ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) الكلام مضمونه إثبات العالم الآخر، وأن الغاية المعاد إليه تعالى لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

والخلق الإيجاد والاختراع، والمراد من ذكر السموات والأرض وما بينهما العالم المشهود كله، وكونه خلق ملتبسا بالحق بمعنى أن له غاية حقة ينتهي إليها، وهي إقامة العدل، وإن لم يكن كذلك فهو عبث والله الحق جل عن ذلك. وشبه الجملة (بالحق) موقعه الحال.

قوله (وأجل مسمى) العطف على الحال، حال ثانية، والأجل المسمى الوقت المضروب لفناء الكون، وهو يوم القيامة، التي لا يعلم موعدها سواه تعالى.

قوله (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) أي: الذين كفروا بالمعاد، وهم كفار مكة، بقرينة ما بعده، لأنهم أنذروا بعاقبة جحود يوم القيامة.

والإعراض التجاهل والإنكار، والإتيان بالصلة (أنذروا) لبيان تهديدهم، لأن الإنذار التخويف مما تكره عاقبته.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَّرَ مَنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) قل: لتلقين الاحتجاج، والاستفهام للتقرير، و(أرأيتم) بمعنى هل علمتم، و(ما يدعون من دون الله) أصنامهم التي اجتروها آلهة من غير الله.

قوله (أروني ماذا خلقوا من الأرض) الأمر أروني بمعنى: أخبروني، والسؤال عن المخلوق في الأرض لأن الإله يستدل عليه بآثاره العيانية.

قوله (أم لهم شرك في السماوات) أم منقطعة بمعنى: بل، أي: بل ألهم شركة في خلق السماوات، وضمير جمع العقلاء في (خلقوا، لهم) العائد إلى أصنامهم باعتبار تنزيل المشركين لها منزلة أولي العقل.

والوثنيون وإن نسبوا الخلق إلى الله وحده قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) [الزمر: ٣٨]، لكنهم أشركوا معه معبوداتهم في التدبير، بينما الحال ألا فرق بين الخلق والتدبير، فالمدبر هو الخالق والخالق هو المدبر، لأن من شؤون إلهيته تعالى التدبير، ومن هنا أمر الله نبيه سؤال المشركين عما خلق أصنامهم، ليثبتوا بآثارهم وجود إلهيتهم، إذ لا معنى للتدبير من غير خلق.

قوله (ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم) الأمر في الإتيان للتعجيز أي: أحضروا دليلاً خطياً نقلياً من كتاب سماوي قبل القرآن، أو بشيء منقول من علم أو بقية من علم أورثتموها يثبت أن الله شركاء في خلق شيء من السماوات والأرض.

ولفظ الكتاب بمعنى المكتوب، و(من) الأولى مزيدة للتأكيد، والثانية للتبيين، والمشار إليه في (هذا) القرآن، والأثرة مصدر من التبع والآثار.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط زيادة في تعجيز المشركين، أي: إن كنتم صادقين في زعمكم بالشركة مع الله.

وسئل الإمام الباقر عليه السلام عن الآية، فقال: عنى بالكتاب التوراة والإنجيل (وأثرة من علم)، فإنما عنى بذلك علم أوصياء الأنبياء. ذكر في الكافي. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾

قوله (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة) الاستفهام بمعنى: لا أضل ممن يعبد من غير الله معبودا لا يستجيب له في الدنيا، ويترك الخالق المجيب.

و(من) الأولى اسم استفهام، والثانية في (ممن) والثالثة اسم موصول، وحرف الجر (من) في (ممن) متعلقة باسم التفضيل (أضل)، والثانية مزيدة للتأكيد.

ونفي الاستجابة دال على نفي العقل عن معبوداتهم، أو نفي النفع حين يستغاث بهم، فلا يغيثون، وتحديد نفي الاستجابة بيوم القيامة، لأنها متعلقة بالدنيا، ونهاية الأجل المضروب للدنيا هو يوم القيامة، ولا دعوة بعده.

قوله (وهم عن دعائهم غافلون) أي: الأصنام التي اتخذوها آلهة غافلون عن دعاء الداعين، والكلام تهكم بهم وبأصنامهم، لأن الغفلة يراد بها أنها جوامد لا عقل لها ولا حياة، وضميرا الجمع باعتبار المعنى في (من)، كما إن الأفراد السابق باعتبار اللفظ.

وبهذه الغفلة ستعذر الأصنام من ربها يوم القيامة حين ينطقها للتبري من عبادتها، قال تعالى (فكفى بالله شهيدا بيني وبينكم أن كنا عن عبادتكم لغافلين) [يونس: ٢٩]، وقال تعالى (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) [السجدة: ٢١].

قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ٦

قوله (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) الحشر الجمع بإزعاج وقهر يوم القيامة، والضمير في (كانوا) للأصنام، وفي (لهم) للعبدة، والمعنى: وإذا جمع الناس يوم القيامة كانت أصنامهم للعبدة أعداء، لأنهم أي الأصنام يتبرؤون منهم.

قوله (وكانوا بعبادتهم كافرين) أي: وكان الأصنام أو المعبودات متبرئين جاحدين بعبادة العبد إياهم، فضمير (كانوا) للأصنام أو لسائر المعبودات من دون الله، والضمير في (بعبادتهم) راجع إلى العبد.

والآية في معنى قوله تعالى حكاية عنهم (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) [القصص: ٦٣].

قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

قوله (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) الكلام مسوق لتوبيخ المشركين، وتلاوة الآيات عليهم قراءتها على مسامعهم، وهي آيات القرآن الكريم، وإضافتها لنون الله للتعظيم، والبيّنات الواضحات التي لا لبس في مقاصدها الدالة على توحيد الله.

قوله (قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) جواب (إذا) الشرطية، وإظهار الكافرين في موضع إضماره لتسجيل الكفر عليهم، وإبدال آيات القرآن بلفظ الحق لتشنيع رمي الكافرين الحق بالسحر.

والقيد الظرفي (لما جاءهم) للإشعار بأن رميهم للقرآن بالسحر لم يأت عن تدبر وروية، بل عن تعجل وخفة عقل.

قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ



قوله (أم يقولون افتراه) أي: بل أيقولون افتري محمد القرآن على الله، وافتعله عليه، و(بل) حرف إضراب انتقالي من مفسدة إلى أخرى من مفاصد المشركين.

قوله (قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي: أجبهم بأني إن افتريت القرآن على الله لأجلكم عاجلني بالعقاب فلا تدفعونه عني، فكيف أفتريه لأجلكم.

قوله (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي: وهو الله أعلم بما تقدحون القرآن بأفانين التكذيب كالسحر والاختلاق.

قوله (كفى به شهيدا بيني وبينكم) أي: يغني صحة نسبة القرآن إليه تعالى أن الله شهد في كلامه على صحة كلامه، وأنه ليس بمفتري عليه، قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) [النساء: ١٦٦].

قوله (وهو الغفور الرحيم) وهو الله وحده الموصوفة ذاته بكثرة المغفرة لمن عصاه، وكثرة الرحمة لمن أطاعه، وفي الكلام ترغيب للناس بالتوبة.

وفي عيون الرضا، في باب مجلس الرضا مع المأمون، عنه عليه السلام حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن لك يا رسول الله مؤنة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دماننا فاحكم فيها بارا مأجورا أعط ما شئت واحكم ما شئت من غير حرج، قال: فأنزل الله تعالى إليه الروح الأمين فقال: يا محمد (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) يعني أن تودوا قرابتي من بعدي، فخرجوا فقال المنافقون: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته من بعده، وإن هو إلا شيء افتراه في مجلسه، وكان ذلك من قولهم عظيما، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (أم يقولون افتراه قل إن اقتربته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم)، فبعث إليهم النبي ﷺ فقال: هل من حدث؟ فقالوا: أي والله يا رسول الله، لقد قال بعضنا كلاما غليظا كرهناه، فتلا عليهم رسول الله ﷺ الآية، فبكوا واشتد بكاءهم فأنزل الله تعالى: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون). انتهى.

أقول: وإذا صح النقل فإن الآية تخص المسلمين لا المشركين.

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۚ إِنِ اتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

قوله (قل ما كنت بدعا من الرسل) كانت قريش تسأل النبي ﷺ من أجل تعجيزه أن يأتيها بآيات عجيبة من الغيوب، فأمره الله أن يخبرهم أنه ليس بذئ بدع من الرسل قبله، فيأتي بما لم يقدرُوا عليه، وإنما الرسول يأتي بما آتاه الله وليس له أن يقترح المعجزات، والبديع المخترع لا على مثال سابق.

قوله (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي: وليس لي علم بما يؤول إليه أمري وأمركم، لأنه من علوم المستقبل لا يعلمها إلا هو سبحانه فإن شاء علمها رسله.

قوله (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) جملة تعليل للنفي، أي: لأنني لا أفعل إلا ما أؤمر بالوحي المنزل من الله.

قوله (وما أنا إلا نذير مبين) جملة تقرير لما قبلها، وتعليل بعد تعليل، فقد قصر الرسول نفسه في الإنذار المبين، أي: التبليغ من ربه عن عاقبة التكذيب برسالاته.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَأْمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ



قوله (قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) الاستفهام للتقرير والتوبيخ، وضمائر الغائب في

(كان، وبه، ومثله) عائدة إلى القرآن، والمعنى: أعلمتم إن كان ما يوحى إلي من القرآن من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثل القرآن فآمن هو واستكبرتم فمن أضل منكم.

والظرف (عند الله) لجلالة التنزيل وتعظيمه، وجملة (وكفرتم به) محلها الحال المبينة لتسجيل مسارعتهم بالكفر بالوحي، والشاهد هو موسى عليه السلام بما في التوراة من التبشير ببعثة النبي ﷺ، والفاء في (فآمن) للتفريع، والإيمان التصديق، والاستكبار الاستعلاء عن الإيمان بالقرآن.

وقيل: إن الشاهد هو عبد الله بن سلام وإن الآية نزلت بسبب إسلامه، وعدوها مدنية لهذا الأمر، وسياق الآية لا يساعد على ذلك كخصوصية كونه (من بني إسرائيل)، وكذا الرواية القائلة باعتراف اليهود بالإنجيل.

قوله (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) جملة تعليل لما يفهم من الإضلال في جواب (أرأيتم)، والتصريح بلفظ الظالمين لبيان علة نفي الله لهدايتهم.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيمٌ ﴾

قوله (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) الكلام حكاية لاحتجاج فاسد من جملة مفاصد عقيدة المشركين.

والمعنى: قال كفار مكة للمؤمنين لو كان ما جاء به القرآن والدين خيرا ما سبقنا أراذلنا إليه، يريدون إن معالي الأمور أولى أن ينالها الشرفاء لا الفقراء والموالي، لأنهم يقيسون الأمور الأخروية والروحية بقياسات الأمور الدنيوية والمادية، فيرون أن الرئاسة الدينية تنال بأسباب دنيوية، كما حكي عنهم في قوله تعالى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) [الزخرف: ٣١].

واللام في (للذين) للتعليل، أي: لأجل، والضمير في (كان) عائد إلى القرآن أو الدين، وكذلك الهاء في (إليه).

قوله (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) أي: ولأنهم لم يهتدوا بالقرآن فسيقولون هذا إفك قديم، كما قالوا: هذا أساطير الأولين، وفعل المضارع (سيقولون) بمعنى: إنهم سيستمرون في ذلك القول.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذَرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾

قوله (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) موقع الجملة الحال، والهاء في (قبله) راجعة إلى القرآن، وكتاب موسى هو التوراة، ونصب (إماما ورحمة) على الحال والعطف على الحال، والإمام هو الذي يقتدى به، استعارة للتوراة باعتبار الوعظ والهداية فيه.

وذكر كتاب موسى تمهيد لذكر القرآن للقياس على صحته، ولذلك أضيف الكتاب إلى اسمه عليه السلام، أي: كما أوتي موسى الكتاب أوتي محمد عليه السلام فما الغرابة في ذلك حتى يتهم بالإفك.

قوله (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) أي: وهذا القرآن الذي قالوا في حقه ما قالوا مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية ومنها كتاب موسى، ونصب (لسانا) على الحال، وعربيا صفة له، والمراد به لغته العربية النازل بها.

قوله (لينذر الذين ظلموا) اللام للتعليل، والإنذار التخويف من عاقبة الإعراض عن القرآن، وفاعل فعله الكتاب، والذين ظلموا هم المشركون، كفار مكة وما حولها.

قوله (وبشرى للمحسنين) العطف لدخول الجملة في حيز النصب، تعليل ثان، والبشرى الخبر السار الذي يبين على بشرة الوجه، وكون القرآن بشرى بمعنى أنه سبيل للفوز بالجنة، وجعلت البشارة للمحسنين، أي: فاعلوا الإحسان من المؤمنين.

ومجمل معنى الآية: فسيقولون هذا القرآن إفك قديم، والحال إن التوراة كتاب موسى قبله حال كونه إماما ورحمة ولم يهتدوا به ويعرفوا فيه صفة النبي عليه السلام، وهذا القرآن مصدق له حال كونه لسانا عربيا، ليكون منذرا للذين ظلموا وبشرى للمحسنين، فكيف يكون بعد ذلك إفكا.

وجعل الله القرآن شاملا لما تقدمه من الكتب السماوية مبينا لها مغنيا عنها، ومصداقا لها، دال على أنه حاكم على ما حرف فيه منها، مهيمنا عليها، قال تعالى (مصداقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) [المائدة: ٤٨].

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) استئناف ابتدائي للتنويه بالمؤمنين المخلصين لله والثابتين على إيمانهم، لأن معنى قولهم: ربنا الله، الإقرار منهم بانحصار الربوبية فيه تعالى فلا تنفصل عنه كما يدعي الوثنيون.

وفائدة الإتيان بجملة الموصول لتحقيق الاتصاف بصفة الإيمان المفهوم في قولهم بالتوحيد أي: قالوا ربنا الله، وهو يحاذي القول: الذين آمنوا، والعلة الثانية لبيان منزلتهم عند ربهم، وهي أمنهم يوم القيامة.

ويوازي قوله (ثم استقاموا) وعملوا، وفي ذلك دلالة على أن مجرد الاعتقاد لا يغني عن العمل، بل على المؤمن أن يفهم التوحيد أولا ثم يحمل نفسه على الالتزام بتكاليفه، ومن هنا تبدو فائدة الإتيان بحرف العطف (ثم) الذي يفيد التراخي الرتبي، أي: التدرج في العمل بعقيدة التوحيد، والاستقامة استعارة للثبات على طريق التوحيد من دون ميل عنه.

قوله (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الفاء داخلة على خبر الموصول، لأن اسم الموصول يعامل معاملة الشرط وذلك لقوته، وهو كثير في القرآن،

كَانَ الْجُمْلَةُ: إِنْ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ، وَالْمَعْنَى: إِنَّهُمْ آمَنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مُنْتَفٍ عَنْهُمْ جِنْسُ الْخَوْفِ مِمَّا يَكْرَهُونَ تَوَقُّعَهُ، وَغَيْرَ مُحْزُونِينَ مِنْ مَكْرُوهِ مُحَقَّقٍ وَاقِعٍ بِهِمْ.

قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) اسم الإشارة (أولئك) للتعظيم والتنويه بالمؤمنين المتصفيين بصفة الإيمان والاستقامة، وكونهم أصحاب الجنة أقوى في الملازمة والاختصاص من القول: لهم الجنة، ونصب (خالدين) على الحال المؤكدة.

قوله (جزاء بما كانوا يعملون) نصب (جزاء) لأنه مفعول لأجله، ويجوز أن يكون مصدر مؤكد لفعله المقدر، أي: جوزوا جزاء، أي مكافأة بسبب أعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا العلمية والعملية.

قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۚ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) صلة الكلام بما سبقه باعتبار تصنيف الناس إلى ظالمين ومحسنين في قوله تعالى (لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين)، فجاء التفصيل في الآية وما بعدها ليبين صفات كل فريق من الطاعة لله والبر بالوالدين.

التوصية من الله معناها الفرض والإلزام لذلك تعدى الفعل بالباء، والخطاب لعموم الناس، والأم هي الوالدة الحقيقية، وسمي به الأب على جهة التغليب، ونصب لفظ الإحسان على المفعولية المطلقة، لأن تقدير الكلام: ووصينا الإنسان بوالديه أن يحسن إليهما إحسانا، ولفظ الإحسان فعل العمل الحسن للغير، وكونهما متعلقين بالوالدين يعني طاعتهما وبرهما وحسن معاملتهما، وهو ما تندب إليه الفطرة السليمة التي أكدت الشرائع الإلهية جميعها.

قوله (حملته أمه كرها ووضعته كرها) ذكر مشاق الأم في الحمل والرضاع لبيان حجة الأمر بالإحسان إلى الوالدين، فهي أهيج للعاطفة وأدعى إلى الرحمة.

والحمل وتقال للشيء الثقيل، باعتبار تربية الجنين في رحم الأم، والوضع إشارة إلى ولادته، والكره المشقة، ونصبه على الحال المقيدة، أي: حملته حملا ذا كره، ووضعته وضعاً ذا كره.

قوله (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) الحمل يراد به أدنى الوضع، والفصال الفطام، وهو فصل الصبي عن الرضاع، واحتسبت مدة الثلاثين شهرا على أساس أقل مدة الحمل، وهي ستة أشهر، لتكون مدة الفصال عامين، قال

تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) [البقرة: ٢٣٣]، وقال تعالى (فصاله في عامين) [لقمان: ١٤].

وفي كنز العمال بإسناده عن أبي الأسود الدؤلي عن قتادة قال: رفع إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر، فسأل عنها أصحاب النبي ﷺ فقال علي: ألا ترى يقول الله تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) قال: و(فصاله في عامين)، وكان الحمل هنا ستة أشهر، قال: فتركها، ثم بلغنا أنها ولدت آخر لستة أشهر. انتهى. وهو استدلال دال على عمق نظر في القرآن، ليس بغريب على الإمام علي عليه السلام.

قوله (حتى إذا بلغ أشده) حتى: لابتداء الغاية، و(إذا) اسم شرط ظرفي، والبلوغ الوصول، وفاعله المولود المفهوم مما قبله، والأشد من الشدة جمع لا مفرد له، ويراد به مرحلة اكتمال البنية الجسدية التي تشتد فيها الأعضاء وتقوى.

قوله (وبلغ أربعين سنة) جملة بدل، وتشير الأربعون سنة إلى وصول مرحلة اكتمال العقل، وهي أكمل الأشد عند الإنسان، وخصت بالذكر من دون أطوار حياة الإنسان في التوصية بوالديه لأنها العمر الذي يكون فيه الأبوان في أشد حالات ضعفهما لكبرهما، والابن في أشد انشغاله عنهما بتكاليف الحياة، حيث يكون له فيه زوجة وأولاد، لذلك نبهت الآية إلى الاستمرار في الإحسان إليهما وعدم التواني في ذلك.

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا بلغ العبد ثلاثا وثلاثين سنة فقد بلغ أشده، وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه، فإذا طعن في إحدى وأربعين فهو في النقصان، وينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن كان في النزع. ذكر في خصال الصدوق. انتهى.

قوله (قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) جملة (قال) محلها جواب الشرط، والوزوع كما ذكر الراغب: الولوع بالشيء، يقال أوزع الله فلانا إذا ألهمه الشكر، وقيل هو من أوزع بالشيء إذا أولع به، كأن الله تعالى يوزعه بشكره. انتهى.

وجملة (أن) مفسرة لمعنى الوزوع، والشكر تصور النعمة وإظهارها، ويراد به الثناء على المنعم، ومظاهره ثلاثة، شكر بالقلب، وهو إحضار معنى النعمة في الذهن، وشكر باللسان ويكون بالثناء على المنعم، وشكر بالجوارح. ولفظ النعمة تقال لعموم ما ينتفع به الإنسان، ومن جملة الشكر الإحسان إلى الوالدين.

قوله (التي أنعمت علي وعلى والدي) جملة الموصول مفسرة لجملة الشكر، فالنعمة على الداعي بأن جعله مسلما بارا محسنا بوالديه، والنعمة على الوالدين بأن جعلهما على دين التوحيد مسلمين مرضيين. وحرف الجر (على) مرتين دال على التمكن المجازي.

قوله (وأن أعمل صالحا ترضاه) العطف على (أن أشكر)، و(صالحا) صفة بمعنى: عملا صالحا، والتكثير للتكثير والتفخيم، وقيده بـ (ترضاه) مجاز

في قبوله تعالى، أي: عملاً مقبولا عندك يا رب، لأن الأصل ينبغي أن يكون كل عمل لوجه الله تعالى.

قوله (وأصلح لي في ذريتي) أي: واجعل صلاح الأعمال مستمرا في نسلي وذريتي، والتأكيد بـ (لي) دال على خصوصية عود الانتفاع إليه، وهو الإحسان به، كما كان هو محسن لأبويه.

قوله (إني تبت إليك وإني من المسلمين) القطع لأنه تعليل للدعاء، أي: لأنني عدت إليك يا رب بالتوبة عما لا ترضاه أو عما يشغلني عن ذكرك، ولأنني من جملة الذين أخلصوا أنفسهم للإسلام.

قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾

قوله (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) لفظ الإشارة للتنويه ببعد منزلة الموصوفين بما تقدم من النعوت الجليلة، والتقبل مبالغة في القبول، وتعديته بحرف التجاوز لتضمن الفعل معنى الرضى، وأحسن الأعمال هي التي يثابون عليها، قال الشيخ الطبرسي: وهو ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات، فإن المباح من أيضا من قبيل الحسن، ولا يوصف بأنه متقبل. انتهى.

قوله (ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة) جملة تقابل التي قبلها، والتجاوز التعدي كناية عن الصفح عن اقتراف المعاصي، والظرف (في

أصحاب الجحيم) موقعه الحال من ضمير الجمع في (عنهم)، أي: في جملة المتجاوز عنهم من أصحاب الجنة.

قوله (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) نصب (وعد) على المفعولية المبينة للنوع، بتقدير: وعدهم الله وعد الصدق، وجملة الموصول محلها الصفة للوعد، أي: الوعد الذي وعدهم إياه على السنة رسله في الدنيا بالإثابة على إيمانهم به تعالى وتقبله منهم وإدخالهم الجنة لأجله.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفِ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

قوله (والذي قال لوالديه أف لكما) شروع بذكر القسم الثاني من الناس وهو الكافر العاق لوالديه بعدما ذكر القسم الأول وهو المسلم البار، لذلك عطف عليه.

واسم الموصول مبتدأ خبره قوله (أولئك) في الآية التي بعدها على أساس اتصاف الموصول بمعنى الجمع، ويجوز أن يكون متعلقا بفعل تقديره: واذكر الذي.

والقائل أنموذج للعبد السيء الكافر المعاند العاق الذي جمع أشكال العصيان والجحود، فلا تنفع معه الحجج ولا يؤثر فيه نصح الآباء، وكلمة (أف) اسم

فعل مبني يستعمل للتضجر والتوجع، دال على أن أدنى الأذى للوالدين مستحق عليه فاعله الحكم في الآية.

قوله (أتعداني أن أخرج) الاستفهام للإنكار والتوبيخ، وفعل الوعد يتعدى بنفسه أو بالباء المحذوفة، والمعنى: أتعداني الخروج من القبر بعد موتي، وإسناد فعل الخروج إلى نفس المتكلم مجاز عقلي مبالغة في إنكار البعث بعد الموت.

قوله (وقد خلت القرون من قبلي) جملة حال مبينة، لتشديد إنكار إمكان الخروج من القبر، محتجا بأن لم يبعث أحد من الأمم السابقة، وهي مغالطة لأن الله لم يعد بذلك، وإنما وعد أن يكون البعث في يوم انقضاء الحياة الدنيا ونهاية الكون.

و(خلت) بمعنى مضت، ولفظ القرون معناه الأمم المقترنة بعصورها وأزمانها القديمة، و(من) زائدة للتأكيد.

قوله (وهما يستغيثان الله) حال بعد حال، أي: والحال أن أبويه يطلبان الغوث من الله لأن يهديه إلى الإيمان لما سمعا من كفره.

قوله (ويلك آمن) الفصل لتضمن معنى الاستغاثة فعل القول، والدعاء عليه بالويل والهلاك ليس على نحو الحقيقة بل لحثه على الإيمان، وأصله: ويل لك، وبكثرة الاستعمال حذفت صلته، والأمر بالإيمان لابنهما بمعنى: آمن بالله وبوعده على لسان رسوله.

قوله (إن وعد الله حق) جملة تعليل لـ (آمن)، أي: لأن وعد الله بالبعث والحساب حتمي واقع لا محالة.

قوله (فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين) الفاء للتفريع، ومضارع (يقول) للاستمرار دال على دوام كفره بالمعاد.

واسم الإشارة للوعد، و(أساطير الأولين) كناية عن أحاديث الخرافة التي سطرها الأولون، وإيراد حكاية الجملة بالنفي والاستثناء لإفادة رسوخ المعنى في نفس الكافر.

وذكر في مناسبة نزول الآية، وأخرجه ابن جرير في تفسيره، عن ابن عباس: والذي قال لوالديه أف لكما.. الآية، قال: الذي قال هذا ابن لأبي بكر. انتهى.

وفي الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عبد الله قال: إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال: إن الله قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: أهرقلية؟ إن أبا بكر - والله - ما جعلها في أحد من ولده، ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة لولده، فقال مروان: أأنت الذي قال لوالديه: أف لكما؟ فقال عبد الرحمن: أأنت ابن اللعين الذي لعن أباك رسول الله ﷺ؟ قال: وسمعتها عائشة فقالت: يا مروان أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا؟ كذبت والله ما فيه نزلت، نزلت في فلان بن فلان. انتهى.

ولا يمنع أن تكون الآية عامة في حق كل عاق وكافر.

قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾

قوله (أولئك الذين حق عليهم القول) لفظ الجمع في اسم الإشارة باعتبار ما يتصف به اسم الموصول (الذي) من المعنى الجمعي.

و(حق عليهم القول) بمعنى: وجب عليهم، وتعريف القول لأنه معهود، إشارة إلى قوله تعالى (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) [البقرة: ٣٦]، أو قوله سبحانه (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) [ص: ٨٥].

قوله (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس) أي: مع أمم وجماعات سبقوهم في الهلاك على مثل حالهم واعتقادهم.

قوله (إنهم كانوا خاسرين) الاستئناف التحقيقي علة لإيجاب القول فيهم، وهو أنهم أضاعوا ثواب الآخرة كما يخسر التاجر رأس ماله في الدنيا.

قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾

قوله (ولكل درجات مما عملوا) أي: لكل مطيع منزلته التي يستحقها من الثواب بسبب أعمالهم الصالحة في الدنيا، تنوين (لكل) لأنه مقطوع عن الإضافة، أي: ولكل من الفريقين المطيعين والكافرين المعاندين.

و(درجات) استعارة للمراتب التي يتفاضل فيها المؤمنون صعوداً، والكافرون وحدوراً، فلجنة درجات، وللنار دركات، وإنما ذكرت الدرجات وطويت الدرجات على سبيل التغليب، وشبه الجملة (مما) مكونة من حرف الجر (من) ويفيد السبب، و(ما) المصدرية، والمعنى: أن تفاضلهم بسبب أعمالهم في الدنيا.

قوله (وليوفيهم أعمالهم) العطف على غرض محذوف يقدر بمعنى: وجعلهم الله درجات ليثيبهم وليوفيهم أعمالهم، والتوفية إعطاء الغير حقه كاملاً، والمراد: إن أجزيته من نفس أعمالهم.

قوله (وهم لا يظلمون) جملة حالية، ونفي أن يظلموا بمعنى لا ينقص من حقهم شيء.

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبَتْهُمُ طَبِيبَتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

قوله (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي: واذكر يوم، والمراد بالعرض الإحضار، بحيث لا يمنع مانع من المعروض على المعروض عليه، وفي القرآن نوعان من العرض مرة بعرضهم على النار ومرة بعرض النار عليهم، من الأول الآية التي نحن بصددھا، ومثلھا قوله عز وجل (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً) [الزمر: ٧١]، ومن الثاني قوله

تعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) [الكهف: ١٠٠]، وقوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) [غافر: ٣٦].

وليس الغرض من ذلك القلب المبالغة ونحوه، باعتبار أن النار الأصل يعرض عليها الفرع وهم الكافرون، بقدر إرادة الإظهار ورفع المانع، فتارة يؤخذ معنى النار أصلاً معروضا على الكافرين بعناية ألا مانع من عمل صالح أو شفاعاة تمنع من دخولهم النار، وتارة يؤخذ الكفار أصلاً معروضا على النار بعناية ألا مانع يمنع النار أن تعذبهم، كما ذكره السيد الطباطبائي. انتهى بتصرف.

قوله (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) الفصل على تقدير: يقال لهم: أخذتم نصيبكم من اللذائذ في حياتكم الدنيا واستوفيتموها، فلم يعد لكم شيء منها في الآخرة.

ومن هنا كان الزهد دأب النبي ﷺ وآل بيته عليهم السلام، ففي الخبر المسند عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: أتني يعني النبي ﷺ بخبيص، فأبى أن يأكله فقيل: أتحرمه؟ فقال: لا، ولكني أكره أن تتوق إليه نفسي، ثم تلا الآية (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا). ذكر في المحاسن. انتهى.

وقال الإمام علي عليه السلام: والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحبيبت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وفي المجمع: وروى محمد بن قيس، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: والله إن كان علي عليه السلام ليأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد، وإن كان ليشتري القميصين فيخير غلامه خيرهما، ثم يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولي خمس سنين، ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وإن كان ليطعم الناس على خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله فيأكل خبز الشعير، والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما لله، عز وجل، فيه رضى، إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوك من كد يمينه، تربت منه يداه، وعرق فيه وجهه، وما أطاق عمله أحد من الناس بعده، وإن كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وإن كان أقرب الناس شبها به علي بن الحسين عليه السلام، ما أطاق عمله أحد من الناس بعده. انتهى.

قوله (فاليوم تجزون عذاب الهون) الفاء للتفريع على الإذهاب، ولفظ اليوم للعهد هو يوم الحساب، وعذاب الهون من إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة، أي العذاب الذي فيه الهوان والخزي.

قوله (بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق) علة أولى لجزائهم بعذاب الهون، متعلق بفساد اعتقادهم، والباء في (بما) للسبب، ومضي الكون دال على أن الاستكبار استفحل في نفوسهم حتى أصبح من طبائعهم، والاستكبار مبالغة في الكبر والاستعلاء، و(في) للملابسة الظرفية، وتعريف الأرض للعموم لأن الكلام عن غير معلوم، وتقيد الاستكبار (بغير الحق) زيادة في تبشيعه.

قوله (وبما كنتم تفسقون) سبب ثان لجزائهم بعذاب الهون، متعلق بسوء عملهم، وهو فسقهم وخروجهم عن زي الطاعة والعبودية.

قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١)

قوله (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف) الكلام من باب ذكر المصدق لإنذار الله تعالى في الآيات السابقة للناس، وذكر قوم عاد لأنهم الأقرب لعرب مكة. والخطاب للنبي ﷺ لأنه المعتنى به في الإخبار بغيوب الأمم الماضية.

و(أخا عاد) هو النبي هود المبعوث إلى قومه عاد، وهو أخوهم باعتبار المواطنة والنسب، والظرفية (إذ) بمعنى: وقت إنذاره قومه، وتخويفه لهم من عاقبة الشرك بالله.

والأحقاف جمع حقف، وهو الرمل المستطيل العظيم، ما دون الجبل، وهو موطن قوم عاد جنوب جزيرة العرب، اختلف في تعيينه لاختفاء آثارهم، فذكر أنه واد بين عمان ومهرة، عن ابن عباس، وقيل: رمال فيما بين عمان إلى حضرموت، عن ابن إسحاق، وقيل: رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن، عن قتادة. وقيل: أرض خلالها رمال، عن الحسن. نقل في المجمع. انتهى.

قوله (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) جملة حالية، أي: في حال فترة من بعث الرسل قبل هود. و(خلت) مضت، والنذر جمع نذير ويراد بهم الرسل المخوفون من عاقبة الشرك بالله ومعاصيه، و(بين يديه) خلو زمان هود من الرسل، و(من خلفه) نقيضه، أي من أمامه، وربما أريد بالأول السابقون على هود، والثاني اللاحقون.

قوله (ألا تعبدوا إلا الله) جملة تفسير لفعل الإنذار، محكية عن هود، والنفي والاستثناء لقصر العبادة في الله تعالى، والكلام غرض الرسل كلهم، لأن التوحيد أصل بعثهم.

قوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) الكلام محكي على لسان هود، تعليل لدعوتهم إلى التوحيد، وفعل الخوف يستعمل في توقع المكروه، وتعديته بحرف الاستعلاء دال على ذلك، وهو ما يرجح أن يراد بـ (عذاب يوم عظيم) عذاب إفنائهم من الوجود.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنْ

الصّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) أي: قوم هود ردوا على دعوته إياهم إلى التوحيد بالمكابرة، والتعصب، فأورد كلامهم المحكي عنهم بطريقة الاستفهام الإنكاري التوبيخي لبيان معنى إصرارهم على الشرك بالله.

واللام المقترن بفعل الإفك، لتعليل (جئتنا) والإفك التحويل، أي: إنهم استنكروا على هود أن يصرفهم عن عبادة آلهتهم المتعددة، إلى عبادة الله الواحد.

قوله (فأتنا بما تعدنا) الفاء للتفريع، والأمر في فعل الإتيان يراد به التحدي، وتعديته بالباء بمعنى الإحضار، والمراد مما يعدهم قوله تعالى الأنف (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)، وهو عذاب الاستئصال.

قوله (إن كنت من الصادقين) الشرط منهم زيادة على جرأتهم في تحديهم وتعجزهم لنبيهم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا جَاهِلُونَ ﴾

قوله (قال إنما ألي عند الله) لما تحدى قوم عاد نبيهم بتحقيق ما يعدهم به من العذاب، وأسندوه إليه لجهلهم بمقام ربهم، أجابهم بأن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، لذلك حكي عنه بالقصر بـ (إنما)، وتعريف العلم للعهد أي العلم بما سألوا وتحذوا وهو إنزال العذاب، والظرف (عند الله) مجاز لاختصاصه تعالى بالملكية.

قوله (وأبلغكم ما أرسلت به) العطف لدخول الكلام في الحصر، أي: ليس لي شيء من الغيب إلا بتبليغكم ما أرسلني ربي به، والإبلاغ الإيصال،

والذي أرسل به هود إلى قومه التوحيد، وهو ما حكي في قوله (ألا تعبدوا إلا الله).

قوله (ولكني أراكم قوما تجهلون) الاستدراك للإضراب الانتقالي، لإفادة تأكيد رسوخ الجهل في نفوسهم، حتى صاروا قوما يتصفون به.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قوله (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم) الكلام متفرع عما قبله، و(لما) حرف شرط يفيد التوقيت. وفعل الرؤية للعيان، والهاء فيه راجع إلى العذاب المفهوم في قوله (فأتنا بما تعدنا)، ونصب (عارضا) على الحال، ويراد به السحاب يعرض في السماء.

و(مستقبل أوديتهم) نعت لـ (عارضا)، أي: سائرا نحو أوديتهم وأماكن سكنهم، وجمع الأودية دال على كثرة مساكنهم لأنهم كانوا يتخذون الأماكن القريبة من الماس وطنا لهم، كما في وادي مكة.

قوله (قالوا هذا عارض ممطرنا) جملة (قالوا) جواب الشرط، واسم الإشارة للتعيين وتمييز السحاب لسرورهم بكثرته، و(ممطرنا) صفة لـ (عارض) بمعنى: سحاب ممطر، أي يمطر أراضيها، كأنهم مستبشرون به، لأنهم كانوا في جدد، حبس عنهم القطر أياما طويلة، كما جاء في قوله تعالى على لسان هود (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء

عليكم مدرارا) [هود: ٥٢]، وإنما طوي ذكر هذا الكلام بين هود وقومه لأن مقام ذكرهم في سياق الآيات بيان المصداق للإنذار لا التفصيل.

قوله (بل هو ما استعجلتم به) بل: للإضراب الانتقالي عما تقدم لإفادة التهكم بما بعده، و(هو) راجع لـ (عارض)، و(ما) اسم موصول، والاستعجال مبالغة في تعجيل الشيء، ويستعمل فيما يكره، والضمير في (به) راجع إلى العذاب، ويجوز أن يكون القائل نبيهم هود قبل أن يغادرهم إلى مكة، ويجوز من غيره ممن عرف مخائل الشر، لأن قومه لم يتبينوه بل ظنوه أمرا يسرهم كما تقدم.

قوله (ريح فيها عذاب أليم) ارتفع (ريح) لأنه بدل تفسير من (ما) المبهمة، وتنكير اللفظ لنكارتة وتهويله، وشبه الجملة موقعها الصفة لـ (ريح). وحرف الجر (في) للتلبس الظرفي، وتوصيف العذاب بالأليم مبالغة في المؤلم.

وفي تفسير أبي السعود: قد روي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة، فترفعها في الجو، حتى ترى كأنها جرادة، قيل: أول من أبصر العذاب امرأة منهم، قالت: رأيت ريحا فيها، كشهب النار، وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب ما رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم، تطير بها الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم، وغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب، وصرعتهم، فأمال الله تعالى الأحقاف، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنين، ثم كشفت الريح عنهم، فاحتلمتهم فطرحتهم في

البحر، وروي أن هودا عليه السلام، لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطأ، إلى جنب عين نبع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة، ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود، وتلذذ الأنفس، وإنها لتمر من عاد بالظعن بين بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾

قوله (تدمر كل شيء بأمر ربها) الجملة محلها صفة ثانية لـ (ريح)، أي: هذه الريح التي فيها عذاب أليم تهلك كل ما مرت به من إنسان وحيوان ودواب وزروع، وهذا التدمير ليس بأمر من ذاتها، بل هو بعلم مدبرها وأمرها وهو الله تعالى.

قوله (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) الفاء للتفريع، والكلام كناية عن هلاك سكان الأحقاف بحيث لم يبق فيها حي يرى إلا مساكنهم.

وتذكير الفعل فلم يقل: لا ترى إلا مساكنهم، لأجل الجمع، قال في المجمع نقلا عن أبي علي الفارسي: وذلك أنهم حملوا الكلام في هذا الباب على المعنى، فقالوا: ما قام إلا هند، ولم يقولوا: ما قامت، لما كان المعنى ما قام أحد، ولا يجئ التأنيث فيه إلا في شذوذ وضرورة. انتهى.

قوله (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي: مثل ذلك العذاب الفاني نجزي القوم المتصفين بصفة الإجرام، والإتيان بالصفة لبيان تعليل الجزاء.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيْهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

قوله (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) اللام و(قد) لتحقيق الكلام، والتمكين من الله بمعنى إعطاء أسباب النعم في الاستقرار والإقدار، كالسعة في المال وبسطة الجسم وطول الأعمار.

و(فيما) مكونة من (في) الظرفية، و(ما) المبهمة، أي: في شيء، و(إن) نافية، وهي أنسب في اللفظ هنا من (ما)، قال في المجمع: ألا ترى أنك لو قلت: رغبت فيما ما رغبت فيه، لكان أحسن منه أن تقول: رغبت فيما إن رغبت فيه، لاختلاف اللفظين. انتهى.

والخطاب في (مكناكم) لمشركي مكة، على سبيل صلة النتيجة بالمصداق، لأنهم هم المعنيون بذكر قصة قوم عاد.

والمعنى: إن الله أعطى أسباب التمكين لقوم عاد ما لم يعطكم يا معشر قريش، ولما أصروا على كفرهم أهلكتهم الله ولم يغن عنهم تمكينهم، فمن

الأولى بكم، وأنتم أضعف منهم، أن تتعظوا بهم وتؤمنوا بالرسول ودعوته إلى التوحيد.

قوله (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) الجعل هما بمعنى الخلق، واللام في (لهم) للعلة أي: لأجلهم، والضمير راجع إلى قوم عاد، وتكثير الألفاظ بعدها للنوعية، أي: هم لم ينتفعوا بما أعطوا من مدارك العقل وهي السمع والأبصار والأفئدة التي يميز بها الإنسان الحق من الباطل، فهم عطلوها كما عطلها مشركو مكة، فلم يستعملوها فيما خلقت له في الاستدلال بها على الإيمان بربهم ودوام طاعته.

وإفراد السمع دون الأبصار في آيات الكتاب العزيز لإفادة الخفة في التنقل اللفظي بين المفرد والجمع في حال جمعهما بعاطف واحد، أو لأن المصدر فيه بقوة الجمع، وذكر الأفئدة يراد بها الأنفس مظنة الإحساس الباطني.

قوله (فما أغنى عنهم سمعهم) الفاء للتفريع، أي: فلم يدفع سمعهم العذاب عنهم حين حل فيهم، لأنهم لم يستعملوه في سماع آيات الله ومواعظه، فيكون سببا في اليقين بربهم.

قوله (ولا أبصارهم) أي: ولا أغنى عنهم أبصارهم، لأنهم لم يصلوا بما يشاهدوا من المعجز الكونية إلى الخالق العظيم.

قوله (ولا أفئدتهم من شيء) أي: ولا أغنت عنهم نفوسهم، إذ لم يصلوا إلى معرفة الله، وشبه الجملة (من شيء) موقعها النصب، متعلقة بـ (ما أغنى)، و(من) مزيدة لتأكيد النفي.

قوله (إذ كانوا يجحدون بآيات الله) الظرف متعلق بـ (ما أغنى)، في مقام التعليل، لأن نزول العذاب بسبب جحود آيات الله وإنكار دلائل توحيده.

قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي: وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به، ومن استهزأهم أنهم كانوا يستعجلونه.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

قوله (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) العطف على قوله (ولقد مكناهم)، لأنه إنذار متفرع على العظة، والخطاب لمشركي مكة، والذي حولهم من القرى المجاورة لهم وهم قوم هود وقوم تبع، وكانوا باليمن، وقوم صالح بالحجر، وقوم لوط على طريقهم إلى الشام، وذكر إهلاك القرى مجاز لإرادة إهلاك ساكنيها، أو على الحقيقة بمعنى تخريب القرى وتدمير من فيها كما في حال تدمير المؤتفكات لقوم لوط.

قوله (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) تصريف الآيات بمعنى تنويعها بالحجة مرة وبالمعجزة مرة ثانية وبالتذكير الثالثة، رجاء أن يرجعوا عما هم فيه من الشرك ويؤمنوا بدعوة الرسل إلى توحيد عبادة الله، وفعل الرجاء (لعل) بالنسبة إلى المخاطبين لا بالنسبة إلى المتكلم، وهي مجاز من إمهال الله لهم في تدبير آياته والإيمان بها.

قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَٰهَةً ۖ
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾

قوله (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) الفاء لتفريع
التهكم على ما أصابهم نتيجة عنادهم في الشرك بالله، والمعنى: فهلا
نصرهم الذين اتخذوهم آلهة من غير الله حال كونها متقربا بها إلى الله
تعالى، لأنهم كانوا يزعمون أن آلهتهم شفعاء عند الله يتقربون بها إليه
زلفى، قال تعالى (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى).

و(لولا) للتحضيض، بمعنى: هلا، والنصر بمعنى دفع العذاب عنهم حين
نزل فيهم، وضمير العاقل في اسم الموصول لتنزيل معبوداتهم منزلة
العقلاء، والمفعول الأول لـ (اتخذوا) محذوف عائد إلى اسم الموصول
بتقدير: اتخذوهم، و(آلهة) هو المفعول الثاني، و(من) مزيدة للتأكيد، و(دون
الله) غير الله، ونصب (قربانا) على الحال، وأصل الجملة: فلولا نصرهم
الذين اتخذوهم آلهة من دون الله قربانا.

قوله (بل ضلوا عنهم) بل: للإضراب الانتقالي عما تقدم، لتأكيد تهكم آخر
من عدم نصر آلهتهم لهم، وهو غياب الآلهة المزعومة عن عبادتها.

قوله (وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) أي: ذلك الضلال أثر إفكهم
وافترائهم. فلفظ الإشارة مشار به إلى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم،
و(إفكهم) بمعنى: أثر إفكهم، و(ما) مصدرية، والافتراء الكذب على الله.

قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿﴾

قوله (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) ذكر مؤمني الجن بالقرآن مصداق ثان ذكرته الآية لغرض الاعتبار، وتذكير أهل مكة بأنهم أولى بالإيمان كون النبي ﷺ من جنسهم والكتاب بلغتهم.

وأصل فعل التصريف التغيير والتحويل، ويحدد معناه بحسب السياق، وهنا بمعنى الرد من مكان إلى مكان، أي: وجهنا، والخطاب إلى النبي ﷺ في غاية التشريف، ولفظ النفر معناه المجموعة فوق الثلاثة.

و(من) بيانية، والجن كائنات مخلوقة من نار، سميت بذلك لأنها مستورة عن الرؤية بالنسبة للبشر، ويبدو من السياق أنهم من صنف الخير، إذ الجن أكثرهم موصوفون بالشر رئيسهم إبليس.

وجملة (يستمعون القرآن) موقعها الصفة للجن، أي: يستمعون إلى آيات القرآن حين تتلى، والاستماع مبالغة في إصاخة السمع، ومضارع فعله لتكرار السمع من الجن، ونصب القرآن على نزع الخافض، لأن الفعل (يستمع) يتعدى بـ (إلى).

قوله (فلما حضروه قالوا أنصتوا) الفاء للتفريع، أي: فلما حضر الجن القرآن قال بعضهم لبعض اسكتوا حتى نستمع إلى تلاوة القرآن، والإنصات إصغاء مع سكوت.

قوله (فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين) أي: فلما فرغ من تلاوة القرآن انصرف الجن إلى قومهم مخوفين لهم من عذاب الله.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَتَقَوَّمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

قوله (قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) الكلام من الجن حكاية ما حضروا وسمعوا لقومهم من أمر القرآن، و(سمعنا كتابا) بمعنى: سمعنا تلاوة الكتاب، وتنكيره لتعظيمه، ووصفه بأنه أنزل من بعد موسى دال على إيمانهم بموسى والتوراة.

قوله (مصدقا لما بين يديه) النصب على الحال من (كتابا)، أي: مصدقا للكتب السماوية - ومنها التوراة - التي قبله، أي قبل القرآن.

قوله (يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الجملة محلها صفة ثانية للكتاب، وإسناد الهدى إلى الكتاب مجاز عقلي باعتبار ما فيه من أوامر إلهية تدعو من يؤمن به إلى صراط الحق وإلى طريق مستقيم لا يضل من سلكه.

قوله تعالى ﴿ يَتَقَوَّمَنَا أَحْيَبُوا دَاعَى اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾

قوله (يا قومنا أجيئوا داعي الله) إعادة النداء للتأكيد، و(أجيئوا) مجاز من الاتباع، و(داعي الله) كناية عن الرسول ﷺ، سموه بذلك باعتبار كل رسول غايته الدعوة إلى الله، وقد وصفوا النبي ﷺ بالدعوة بعد وصفه بالهداية إلى الحق وإلى صراط مستقيم، تأكيدا لأحقيته.

قوله (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) أي: وآمنوا بنبوة الرسول ﷺ، وجزم (يغفر) لأنه جواب الأمر، وفاعله الله لا ريب، و(من) للتبعية، أي: بعض الذنوب التي اقترفوها قبل الإيمان، وتحتمل معنى السبب.

قوله (ويجركم من عذاب أليم) فعل الإجارة كناية عن الأمان والمنع مما يكره، والمراد به منع المجير المجار من العذاب الأليم.

وعن سبب نزول الآية، ذكر في تفسير القمي: أن رسول الله ﷺ خرج من مكة إلى سوق عكاظ، ومعه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجبه أحد ولم يجد أحدا يقبله ثم رجع إلى مكة، فلما بلغ موضعا يقال له: وادي مجنة تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمر به نفر من الجن، فلما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ استمعوا له، فلما سمعوا قرآنه، قال بعضهم لبعض: (أنصتوا) يعني: اسكتوا (فلما قضى) أي: فرغ رسول الله ﷺ من القرآن (ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا) إلى آخر الآيات، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وأسلموا وآمنوا، وعلمهم رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) السورة كلها، فحكى الله قولهم وولى عليهم رسول الله ﷺ منهم، وكانوا

يعودون إلى رسول الله ﷺ في كل وقت، فأمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلمهم ويفقههم، فمنهم مؤمنون وكافرون وناصبون ويهود ونصارى ومجوس، وهم ولد الجان. انتهى.

وفي المجمع: أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن، ويدعوهم إلى الله، ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله إليه نفرا من الجن من نينوى، فقال ﷺ: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة، فأيكم يتبعني؟ فاتبعه عبد الله بن مسعود، قال عبد الله: ولم يحضر معه أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة، ودخل نبي الله شعبا يقال له شعب الحجون، وخط لي خطأ، ثم أمرني أن أجلس فيه، وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن، فغشيته أسودة كثيرة، حتى حالت بيني وبينه، حتى لم أسمع صوته، ثم انطلقوا وطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب، ذاهبين حتى بقي منهم رهط، وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر، فانطلق فبرز، ثم قال: هل رأيتم شيئا؟ فقلت: نعم، رأيتم رجالا سودا مستتفري ثياب بيض [أي: يدخل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذيذه]، قال: أولئك جن نصيبين. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٣٢﴾

قوله (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) الكلام من باب الترهيب بعد الترغيب، أي: ومن لا يتبع النبي ﷺ ويؤمن به فليس يفوت الله أخذه في الأرض.

والباء في (بمعجز) مزيدة لتقوية عموم النفي، ومتعلق اسم الفاعل محذوف مفهوم من سياق الكلام، وتقدير الجملة: ليس بمعجز الله، وذكر الأرض باعتبار لغة العرب لأن الكلام محكي عن الجن، والجن لا يعرف مكانهم.

قوله (وليس له من دونه أولياء) الهاء في (له) راجعة إلى الضمير في اسم الشرط (من)، والهاء في (دونه) عائدة إلى الله، والمعنى: لا ناصر له من غير الله.

قوله (أولئك في ضلال مبين) اسم الإشارة بالجمع أخذ فيه المعنى الجمعي في (من)، كما إن الأفراد أخذ ظاهر لفظه، و(في) للتلبس الظرفي، الذي جعل له الضلال المبين على سبيل المبالغة.

قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾

قوله (أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض) العطف على قوله (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) تنميما للإنذار، وهمزة الاستفهام تقدمت لأن لها الصدارة في الكلام، وتفيد الإنكار، وفعل الرؤية للعلم،

وجملة (أن) من اسمها وخبرها سدت مسد مفعولي (يروا)، والإتيان بالموصول وصلته لبيان الحجة على القدرة على إحياء الموتى.

قوله (ولم يعي بخلقهن) الإعياء التعب، وأصل الفعل (يعيى) جزم بحذف الألف لأنه معتل الآخر، والضمير في (خلقهن) راجع إلى السموات والأرض، لأنها غير عاقلة.

قوله (بقادر على أن يحيي الموتى) الباء مزيدة لأن الاستفهام في معنى النفي، و(قادر) محله الرفع لأنه خبر (إن)، وإحياء الموتى بعثهم من قبورهم للحساب.

قوله (بلى إنه على كل شيء قدير) بلى: يجاب بها السؤال المنفي لإثبات جوابه، والفصل لأنه تعليل لـ (بلى)، وعلمه بقدرته تعالى على كل شيء ومنها إحياء الموتى.

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

قوله (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) اليوم هو يوم القيامة لا ريب، وتقديم الظرف للاهتمام، والعرض الإحضار لإثارة التهويل والرعب في النفس قبل إدخالهم في النار، وإظهار لفظ الكافرين بصفاتهم في موضع إضماره لبيان علة الحكم عليهم.

قوله (أليس هذا بالحق) الفصل على تقدير: يقال لهم: أليس هذا بالحق.

والاستفهام لتقريرهم وإخرائهم، واسم الإشارة لما يفهم من العذاب باعتبار أنهم كانوا في حياتهم الدنيا ينكرونه ويستهزئون به. والإخبار عنه أنه بالحق، أي متلبسا بالحق لأنه تحقق لهم ما كانوا يوعدون به.

قوله (قالوا بلى وربنا) أجابوا بالإثبات، لأنه انكشف لهم خطؤهم بالعيان، وأقسموا عليه بإضافة لفظ الرب إلى نون أنفسهم لتأكيدهم، ولتخضعهم ولحصول يقين ما أنكروا من قبل.

قوله (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) يحتمل فاعل (قال) الله تعالى، أو الملك الموكل على النار، والفاء للتفريع على الإقرار، وفعل الإذاقة استعارة للإحساس، والعذاب هو عذاب النار، والباء في (بما) للسبب، ودلالة (كنتم) رسوخ الكفر في نفوسهم وثباتهم عليه.

قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الفاء للتفريع على ما سبق في السورة من تكذيب قريش للقرآن وللنبي ﷺ، وما أعقبه من ذكر هود مع قومه.

والأمر بالصبر للنبي ﷺ، والصبر حمل النفس على تحمل ما تكره،
والتشبيه بصبر أولي العزم من الرسل دال على أن الرسول ﷺ منهم وفي
عليتهم، وحقيقة العزم قوة الإرادة وتحقق الفعل، والعزيمة الشريعة، وسموا
بأولي العزم لأنهم أصحاب شرائع اجتهدوا في تأسيسها وتحملوا المشاق
على تثبيتها، وهم على أوفق الأقوال خمسة: النبي نوح وإبراهيم وموسى
وعيسى ومحمد ﷺ، قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) [الشورى:
١٣].

وفي الكافي بإسناده عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:
سادة النبيين والمرسلين خمسة: وهم أولو العزم من الرسل، وعليهم دارت
الرحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء.
انتهى.

و(من) في قوله (من الرسل) للتبويض، أي من بعض الرسل، وإذا أفادت
التبيين لم ينحصر أولو العزم بالخمسة مما ذكروا من أسماء الأنبياء
صلوات الله عليهم.

قوله (ولا تستعجل لهم) الواو لعطف النهي على الأمر بالصبر، أي: ولا
تستعجل العذاب لأجل قومك، أي: لا تسأل تعجيل الهلاك لقومك، لأن
نزوله بهم قريب.

قوله (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) تعليل للنهي، والتمثيل لبيان سرعة انقضاء حياتهم الدنيا بالقياس لما سيرون من شدة عذاب الآخرة وطول مدته، وأنه واقع بهم لا محالة، فلا داعي لتعجيله.

قوله (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) خبر (كأن) فائدته تصوير قلة بقائهم في الدنيا حين يرون العذاب يوم القيامة، فكأن حالهم حال من لم يعيش في الأرض إلا ساعة من نهار.

ولفظ (ساعة) تقال لبرهة من الزمان قليل، وتنكيرها لهذا المعنى، وشبه الجملة (من نهار) وصف للساعة، وتقويده بالنهار لبيان سرعة انقضائه لأن الساعة في النهار تمضي سريعا بسبب ملهياته من العمل والأحاديث بين الناس، بعكس ساعة الليل الطويلة، وتنكير اللفظ لبيان قلته.

وقيل للنبي ﷺ: كم بين الدنيا والآخرة؟ قال: غمضة عين قال الله عز وجل: (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار). ذكر في روضة الواعظين للشيخ المفيد. انتهى.

قوله (بلاغ) أي: هذا القرآن بلاغ للناس، وإعلان لهم من عاقبة الإصرار على الكفر بالله وكتبه ورساله، ونظيره قوله تعالى (هذا بلاغ للناس) [إبراهيم: ٥٢].

قوله (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) الفاء للتفريع، و(هل) بمعنى النفي، أي: لا يهلك بهذا التبليغ من الإهلاك إلا القوم المتصفون بالفسق والخروج على الدين وطاعة الله ورسوله، وإظهار صفة الفسق إيذان بعله إهلاكهم.

سورة محمد

مدنية، وهي ثمان وثلاثون آية

تضمنت السورة موضوعي الترغيب والترهيب، فعرضت المؤمنين بالله ورسوله وعرفت بصفاتهم، ودعت إلى اتباعهم، للفوز بنعيم الله في جناته، وقايسته بما عرضت من أحوال الكافرين والمنافقين وإعراضهم عن كتاب الله، ونفرت من اتباعهم، وتوعدت على الإصرار على شركهم ومعاصيهم، وفي السورة ذكر لأحكام القتال، وإثابة الله على بذل النفس والمال، وشجعت عليه، والسورة مدنية النزول والأحداث، يؤيده اتصال آياتها.

ومما روي عن الأئمة المعصومين عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: سورة محمد آية فينا، وآية في بني أمية. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾

قوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) الابتداء باسم الموصول للعناية بصفات المشركين، وإفادة تعليل الحكم في الخبر.

وعطف الصد على الكفر للإشارة إلى أنهم لم يكتفوا بعدم الإيمان بدعوة التوحيد، بل شددوا على منع الناس من اللجوء بالمؤمنين، فعملوا على طعن القرآن بالافتراء، وبأنه إفك قديم، وأنه من أساطير الأولين، وقدحوا

بالنبي ﷺ فرموه بالكذب وبالسحر وبالشعر، ومن الصد منع المسلمين من زيارة البيت الحرام.

قوله (أضل أعمالهم) الجملة خبر الابتداء، والإضلال للأعمال سقوط أجرها، فلا أثر لها يوم القيامة ينتفع به، فهي ضالة عن غاياتها غائبة عن مقاصدها، لأن أصحابها لم يوفقوا إلى اهتداء الحق فيميزوه من الباطل، ونسبة الإضلال إلى الفاعل المقدر الله نسبة مجازاة لا ابتداء.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ﴾

قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الواو لعطف جملة على جملة، والكلام يقابل الذي قبله في المعنى، والإتيان بالموصول وصلته لبيان الحجة في الخبر، وفيه شرط صلة الإيمان بالعمل به.

قوله (وآمنوا بما نزل على محمد) أي: آمنوا بالقرآن، فهو الذي أنزل على النبي ﷺ، والكناية عنه بـ (ما) المبهمة لتعظيمه، وتفخيم شأنه.

وتخصيص الإيمان بما نزل على النبي محمد ﷺ زيادة في التنويه به، لأن الإيمان بالكتاب هو الإيمان بالله وعمل الصالحات، وهو يندرج في باب الإطناب، من ذكر الخاص بعد العام.

قوله (وهو الحق من ربهم) أي: تنزيل القرآن هو الحق، لا ما طعن به المشركون في رميهِ بالشعر تارة، وبالكذب تارة أخرى، وبالأساطير الثالثة.

وشبه الجملة (من ربهم) تأكيد لجلال صدره من الله تعالى، وأنه ليس كما زعم المشركون من افتراء النبي ﷺ على الله.

قوله (كفر عنهم سيئاتهم) جملة الخبر، أي: تجاوز الله عن سيئاتهم وغفر لهم، والتكفير التغطية والستر، وتضعيف فعله للتكثير، وتعديته بحرف الجر (عن) لتضمنه معنى التجاوز.

قوله (وأصلح بالهم) الإصلاح ضد الإفساد، وهو استعارة للهداية، لأنها موصلة إلى السعادة المتوخاة، والبال كما قال الشيخ الطبرسي: الحال والشأن، والبال القلب أيضاً، يقال: خطر ببالي كذا، والبال لا يجمع، لأنه أبهم أخواته من الحال والشأن. انتهى.

ومعنى إن الله أصلح بالهم هداهم إلى سبيله المستقيم، بأن وفقهم إلى معرفة الحق وإبطال الباطل، كما أنه تعالى سلب الكافرين اهتداء السبيل، فأرأوا الحق باطلاً والباطل حقاً، فضلت أعمالهم، وما أكثر المصاديق على ذلك قديماً وحديثاً.

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ ﴿٣٠﴾

قوله (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) فصل الكلام لأنه تعليل لإضلال أعمال الكافرين، وإصلاح بال المؤمنين.

والباء بمعنى السبب، أي: لأن، واتباع الكافرين الباطل سبب في إضلال أعمالهم، وأما نسبة الإضلال إلى الله تعالى فهي بمعنى رفع أظافه عنهم وإيكلهم إلى أنفسهم، والاتباع مجاز للطاعة والانقياد، وتعريف الباطل للعهد وهو ما تقرر في صدهم عن سبيل الله.

قوله (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) جملة عطف لتعليل إصلاح بال المؤمنين كما تقدم، واتباع الحق إشارة إلى الإيمان بالله وعمل الصالحات والإيمان بما نزل على محمد ﷺ، وتقويده بشبه الجملة (من ربهم) لتأكيد أن الله هو الحق، وما سواه الباطل.

قوله (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) اسم الإشارة لتعظيم المثل، أي: كذلك المثل في بيان أحوال الفريقين أهل الحق وأهل الباطل يبين الله للناس أوصاف كل فريق منهم، كي يتبع الحق وينبذ الباطل.

والضرب أصله الدفع بقبضة اليد، ويستعمل مجازاً لتثبيت المثل كأنه يشاهد ويرى، كما يثبت عمود الخيمة، واللام المقترن بلفظ الناس للغاية، أي: لأجل فائدة الناس، والتعريف للعموم.

قوله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَوْثَاقَ فِئَمًا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ

لَا تَنْصَرِ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُؤْا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ

أَعْمَلَهُمْ ﴿٤﴾

قوله (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) الفاء لتفريع خطاب المؤمنين على معنى ما تقدم من تأييد الله لأهل الحق، وإضلال أهل الباطل.

وفعل اللقاء استعارة للمواجهة في القتال، و(الذين كفروا) هم كفار قريش، والفاء في (فضرب) واقعة في جواب (إذا) الشرطية، ونصب المصدر لأنه مفعول مطلق يفيد النوعية، والتقدير: فاضربوا رقابهم ضرباً، فحذف الفعل وقدم المصدر وأضيف إلى مفعوله للمبالغة والتهويل، والكلام كناية عن القتل بالسيف، وتخصيص الرقاب به، لأنها أسرع في الإهلاك.

وقال الشيخ في المجمع: المروي عن أئمة الهدى عليهم السلام: أن الأسارى ضربان: ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال والحرب قائمة، فهؤلاء يكون الإمام مخيراً بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا، ولا يجوز المن ولا الفداء، والضرب الآخر الذين يؤخذون بعد أن وضعت الحرب أوزارها وانقضى القتال، فالإمام مخير فيهم بين المن والفداء، إما بالمال أو بالنفس وبين الاسترقاق وضرب الرقاب، فإذا أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك، وكان حكمهم حكم المسلمين. انتهى.

قوله (حتى إذا أئخنتموهم فشدوا الوثاق) حتى لابتداء غاية الضرب، والإثخان أصله التغليظ، ويراد به الإكثار، وضمير النصب راجع إلى

الكفار، والفاء في (فشدوا) واقعة في جواب (إذا)، وشد الوثاق كناية عن أسرهم بربط أيديهم، وتقبيدهم من الحركة، والمعنى: حتى إذا أكثرتم في الكافرين القتل، فأسروهم بشد الوثاق.

والآية تأمر المؤمنين بالأسر بعد الإثخان، وليس فيها نسخ لقوله تعالى في سورة الأنفال [الآية ٦٧]: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) لأن هذه الآية تنهى عن الأسر قبل الإثخان. ذكره السيد في الميزان. انتهى بتصرف.

قوله (فإما منا بعد وإما فداء) تفريع على الأسر، أي: فإما تطلقون سراحهم منا عليهم، أو تسترقونهم، وإما تدفونهم بالمال أو بأسراكم عندهم، وتخيير الحكم أوكل إلى النبي ﷺ، لأنه ولي أمر المسلمين.

ونصب (منا) على المفعولية المطلقة، بتقدير: تمنون عليهم منا، وكذا (فداء) أي: تدفونهم فداء.

قوله (حتى تضع الحرب أوزارها) الكلام كناية عن انقضاء القتال، و(حتى) غائية لما تقدم، وأوزار الحرب أثقالها من الأسلحة ونحوها التي لا تقوم الحرب إلا بها.

قوله (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) لفظ الإشارة إلى ما تقدم من حكم الله، وجملة (لو) افتراضية لبيان قدرة الله ورفع تكليف القتال عن المؤمنين، فلو شاءت حكمته لانتصر من الكافرين، أي لانتقم منهم.

قوله (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) الاستدراك بـ (لكن) من مشيئة الانتصار بمعنى: لم يشأ لذلك، وعمله بابتلاء بعضهم ببعض، أي ابتلى المؤمنين بقتال الكفار، ليميز أهل الطاعة من أهل العصيان، ويمتحن الكافرين بأن يعاجلهم ببعض عذابهم على أيدي المؤمنين كي يرتدع بعضهم عن الكفر.

والخطاب في (بعضكم) أخذ فيه مجموع المؤمنين والكافرين، وإن خوطب به المؤمنون.

قوله (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) المقتولون في سبيل الله هم المجاهدون في قتال أعداء الدين، و(في) بمعنى السبب، أي: لأجل سبيل الله، وهو دينه، والفاء في (فلن) الواقعة في خبر الموصول لأنه بقوة الشرط، يعامل معاملته، والنفي التأييدي لإثبات لطف الله بالمجاهدين وتوفيقهم إلى اهتداء سبيله.

وإضلال الأعمال - كما تقدم - إبطال أثرها، لفقدان صاحبها التمييز بين الحق والباطل.

قوله تعالى ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾

قوله (سيهديهم) وعد من الله للمجاهدين بالهداية إلى السبيل الموصل إلى رضوانه، ولن يخلف الله وعده.

قوله (ويصلح بالهم) إضلال البال هنا للمؤمنين يوم القيامة غير إصلاح البال للمؤمنين بما نزل على محمد ﷺ في الدنيا، فهو هنا عطف تفسيري

لـ (سيهديهم) بمعنى: إنه يؤهل نفوسهم بحيث تكون صالحة للدخول إلى الجنة، ومن مظاهر التأهيل مغفرة الله لهم وستر ذنوبهم.

قوله تعالى ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ ﴿٦٦﴾

قوله (ويدخلهم الجنة) العطف من جملة وعد الله للمؤمنين المجاهدين يوم القيامة، فهو عطف تفسيري لإصلاح بالهم، وتعريف الجنة للعهد، أي الجنة التي وعدهم ربهم بها على السنة رسله في الدنيا.

قوله (عرفها لهم) جملة موقعها الحال من ضمير (يدخلهم)، وتعريف الجنة بيان صفتها للمؤمنين، وبشارتهم بها على السنة الأنبياء، أو عند قبض الروح.

وقد يراد به تطيب الجنة لهم كما يطيب المنزل للقادم المحبوب، والعرف الطيب، واللام في (لهم) بمعنى: لأجلهم.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿٧٧﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) خطاب المؤمنين بصفة الإيمان لبيان حجة التكليف، و(إن) الشرطية أخف من (إذا) في وقوع شرطها لبيان مشقة الشرط، ونصر الله نصر دينه بقتال أعدائه، وقد لا يحتاج إلى تقدير الإضافة، كما يقال: نصر فلان فلانا.

ونصر الله للمؤمنين المجاهدين فيه وعده تعالى بظفرهم على أعدائهم المشركين.

قوله (ويثبت أقدامكم) معطوفة على جملة جواب الشرط، لأنها من عطف الخاص على العام، وهي كناية عن وعده تعالى لأنصاره بالثبات وقوة العزيمة فلا ينهزموا أمام الأعداء.

وحقيقة تثبيت الأقدام منعها من أن تزل، فيقع صاحبها، على سبيل مقابلة قوله اللاحق في الكافرين (فتعسا لهم)، أي: يبقى مواجهها العدو في القتال، فلا يدخله الخوف وينهزم، ومن مظاهره تقوية قلوب المؤمنين.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ ﴿٨﴾

قوله (والذين كفروا فتعسا لهم) الكلام يقابل الذي سبقه، وهو خذلان الكافرين قبل تأييد المؤمنين وتثبيت أقدامهم، والإتيان باسم الموصول وصلته للإيذان بعلّة خبره، والفاء المقترن بفعل الذم، لأن الموصول مشوب بالشرط، والتعس المشقة ونصبه على المفعول المطلق للمبالغة، وأصل التعس العثار والسقوط على الوجه.

قوله (وأضل أعمالهم) أي: وأبطل الله أعمالهم، فلا يقدرّون على التمييز بين الحق والباطل، لأن الله رفع لطفه عنهم ووكّلهم إلى أنفسهم وشياطينهم التي توسوس لهم، فانقلب لديهم وجه الحق فما عادوا يتبينونه.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٩﴾

قوله (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) اسم الإشارة مشار به إلى تعس الكافرين وإضلالهم لتعليله، والباء في (بأنهم) للسبب، والكره شدة البغض ويراد به الإعراض عن القرآن وما نزل به من شريعة أحكام، وكني عنه بـ (ما) المبهمة وصلته تعظيما لشأنه.

قوله (فأحبط أعمالهم) الفاء سببية، أي: لأجل ذلك، وحبوط الأعمال سقوطها وفقدان أثر الانتفاع بها في الدنيا في دفع ضرر أو جلب نفع، وفي الآخرة تنقلب عليهم وبالا وعذابا بسبب عبادتهم غير الله.

قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ ﴿١٠﴾

قوله (أفلم يسيروا في الأرض) الفاء لتفريع توبيخ الكافرين على كراهيتهم لما أنزل الله، وهمزة الاستفهام للتقرير، والسير في الأرض الضرب فيها للتجارة ونحو ذلك، وتعريف الأرض للعهد يراد بها مكة وما جاورها من آثار الأمم البائدة.

قوله (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) الفاء للتعقيب، والنظر للعلم والاعتبار، واسم الاستفهام (كيف) مجرد من الإجابة، لتمثيل الحال،

والعاقبة الختام، والذين من قبل كفار مكة هم الأمم البائدة التي أفناها الله بسبب عنادها على الكفر، وإنكارها لآيات الله.

قوله (دمر الله عليهم) جملة تبين لجملة (كيف)، أو جواب لسؤال ناشئ مما تقدمه من كيفية عاقبة الكافرين.

وتدمير الله بمعنى إهلاكهم وإبادتهم، وتعدية الفعل بحرف الاستعلاء مع أنه يتعدى بنفسه للمبالغة في تمكن معنى الإفناء منهم، فهو أبلغ من التعدية بنفسه في تدمير ما يخص المدمر من نفس وأهل ودار.

قوله (وللكافرين أمثالها) تهديد بإبادة مشركي مكة بأمثال ما ذكر من عاقبة تدمير الأمم قبلهم، وإنما جمع فقال (أمثالها) ولم يقل: مثلها، للإشارة إلى أنهم في معرض عقوبات كثيرة تنتظرهم مرة بعدة مرة في الدنيا والآخرة، كما في قتل عتاتهم يوم بدر، وكما في إذلالهم يوم فتح مكة.

وتقديم شبه الجملة للعناية، وإظهار لفظ الكافرين في موضع الإضمار لبيان علة الحكم، وضمير الهاء في (أمثالها) راجع إلى العاقبة.

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ



قوله (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) اسم الإشارة مشار به إلى ما تقدم من نصر المؤمنين ومقت الكافرين، والباء للتعليل، وولاية الله للمؤمنين بمعنى

تدبيره تعالى لشؤونهم كما يلي السيد أمر مملوكه، ومنه نصرتهم ودفع الضر عنهم.

قوله (وأن الكافرين لا مولى لهم) أي: لا نصير لهم، لأن الكافرين اتخذوا الأصنام معبودات لهم، وأولياء من دونه تعالى، وليس بمعنى الولاية التسخيرية، لأن كل شيء واقع تحت تصرفه تعالى.

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (١٢)

قوله (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) استئناف مؤكد لبيان أثر ولاية الله للمؤمنين وثمرتها الأخروية وهي دخولهم الجنة، ومقايسته بعدم ولايته للكافرين، ولهذا اعتني بالتصريح بلفظ الجلالة في إدخال المؤمنين الجنات، وترك في ذكر مثوى الكفار في النار.

وتتكير (جنات) للتعظيم، وسميت الجنة بذلك لتكاثر أشجارها الخضراء حتى تجن ما تحتها.

والإتيان بجملة الموصول وصلته وعطفه لبيان الحجة في إدخال الله المؤمنين الجنة.

قوله (تجري من تحتها الأنهار) الجملة موقعها الحال، وجريان الأنهار مجاز في جريان مائها الصافي، وهو دال على كثرته، وكون الجري من تحت الجنات بمعنى أن المساكن فيها عالية مشرفة على الأنهار.

وجملة (من تحتها) محلها الحال، و(من) زائدة للتأكيد، والهاء المقترن بالظرف راجعة إلى الجنات.

قوله (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام) الجملة تقابل حال التي قبلها، وتمتع الكافرين بمعنى تلذذهم بمتع الدنيا المؤقتة، وتشبيههم بما تأكل الأنعام لأنهم لا غاية يعيشون لأجلها غير ملذاتهم الزائلة.

قوله (والنار مثوى لهم) الجملة محلها الحال من ضمير الجمع في (يأكلون)، أي: والنار المعهودة مكان ثواء الكافرين ومحل إقامتهم الدائم، والصلة (لهم) بدلا من الإضافة، فلم يقل: مثواهم، لإفادة الاختصاص.

قوله تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ﴿١٣﴾

قوله (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) إخبار معطوف على ما قبله لإفادة التهديد لمشركي مكة، والأداة (كأين) بمعنى: كم الخبرية، مركبة من الكاف وأي، و(من) زائدة لتأكيد العموم، ويراد بالقرية أهلها، وجملة (هي أشد قوة من قريتك) محلها الصفة، والخطاب

لِلرَّسُولِ ﷺ وَقَرِيبَتِهِ مَكَّةَ، وَفَائِدَةُ الْإِتْيَانِ بِهَا لِبَيَانِ ضَعْفِ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الْإِهْلَاكِ بِالْقِيَاسِ إِلَى قُوَّةٍ مِنْ قَبْلِهِمْ.

وَجُمْلَةُ الْمَوْصُولِ صِفَةٌ لـ (قَرِيبَتِكَ) وَأَتَى بِهَا لِبَيَانِ عِلَّةِ خَبَرِ (كَأَيِّن) وَهُوَ إِهْلَاكُهُمْ، وَإِسْنَادُ فِعْلِ الْإِخْرَاجِ إِلَى الْقَرْيَةِ مَجَازٌ فِي أَهْلِهَا، وَهُوَ أَيْضًا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، لِأَنَّهُمُ السَّبَبُ فِي إِخْرَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا.

قَوْلُهُ (أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِاسْتِئْصَالِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، وَإِظْهَارِ ضَمِيرِ الْجَمْعِ عَلَى سَبِيلِ الْمَعْنَى، وَالْفَاءُ فِي (فَلَا) لِلتَّفْرِيعِ، وَ(لَا) نَافِيَةٌ لَجِنْسِ النَّاصِرِ لَهُمْ، الَّذِي يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوْءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوْهُ أَهْوَآءُهُمْ ﴾ (١٤)

قَوْلُهُ (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) الْفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِإِنْكَارِ الْإِسْتِوَاءِ فِي الْمَنْزِلَةِ وَحَسَنِ الْعَاقِبَةِ بَيْنَ الْمُتَّقِينَ مِنَ الْإِيمَانِ بِرَبِّهِ وَبَيْنَ مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ.

وَفِعْلُ الْكُونِ دَالٌ عَلَى الثَّبَاتِ بِأَنَّ ذَلِكَ شَأْنُهُ، وَ(عَلَى) مَجَازٌ فِي التَّمَكُّنِ وَالِاسْتِعْلَاءِ، وَالْبَيِّنَةُ الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا شَكٌّ، وَ(مَنْ) ابْتِدَائِيَّةٌ، وَإِضَافَةُ لَفْظِ الرَّبِّ إِلَى هَاءِ الضَّمِيرِ فِي (مَنْ) لِلتَّشْرِيفِ، وَالْمُرَادُ تَوْصِيفُ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُقَايَسَتُهُ بِحَالِ الْكَافِرِينَ لِتَعْلِيلِ الْمَكَافَأَةِ وَالْإِهْلَاكِ.

والكاف بمعنى المثل، و(من) اسم موصول، وتزيين سوء العمل بمعنى تجميله بأن يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وهو ما يكون بفعل وسوسة الشيطان.

قوله (واتبعوا أهواءهم) أي: وأطاعوا بسبب ذلك التزيين رغباتهم الضالة. وإظهار ضميري الجمع باعتبار المعنى الجمعي في اسم الموصول (من)، كما إن إظهار ضمائر الأفراد في (كان، ربه، له، عمله) باعتبار ظاهر لفظه.

قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۖ﴾

قوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) الكلام مسوق لبيان محاسن الجنة التي ذكرت في جريان الماء من تحتها، ولفظ المثل بمعنى الصفة العجيبة، وجملة الموصول محلها الصفة للجنة، لبيان التعظيم، والوعد مجاز من وعد الله للمؤمنين على السنة رسله بإدخالهم فيها في حال الإيمان به، وإظهار لفظ المتقين مكان المؤمنين لرفعة شأنهم، لأن التقوى أخص من الإيمان.

قوله (فيها أنهار من ماء غير آسن) جملة تفسير لنعيم الجنة، وتنكير (أنهار) للتعظيم، و(من) بيانية، ووصف الماء بأنه غير آسن لإفادة شدة صفائه وعذب فراته فهو لا يتغير طعمه ولا رائحته، لأن الماء الجاري كذلك صفته، والآسن المستقر الثابت.

قوله (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أي: وفي الجنة أنهار مادتها لبن خالص دائم الطعم، لا يشبه طعوم ألبان الدنيا، التي تتغير بمرور الأيام. و(من) بيانية، واللبن الحليب، وتنكيره للنوعية، وجملة النفي محلها الصفة للبن.

قوله (وأنهار من خمر لذة للشاربين) أي: وفي الجنة أنهار جنسها خمر، موصوفة بأنها لذيفة لشاربيها.

والخمر نوع شراب من العنب، سمي بذلك لأنه يخمر العقل ويستره، لما فيه من خصائص تركيبية تفقد الشارب توازنه، أما في الجنة فهو لذة محضة، لذلك قيد بتوصيفه (لذة للشاربين)، لإبعاد توهم صفته في الدنيا، وهي كراهة طعمه وريحه وغائلته للعقول.

وموقع لفظ اللذة على ثلاثة احتمالات، أما أن تكون صفة مشبهة للخمرة، أو استعملت بمعنى المصدر للمبالغة في صفة الخمر، أو بمعنى ذات لذة.

قوله (وأنهار من عسل مصفى) العطف بمعنى: في الجنة أنهار من عسل خالص لا يخالطه الشمع وفضلات النحل، وسائر ما في عسل الدنيا من عيوب.

وذكرت الآية لفظ الأنهار على سبيل تمثيل كثرة الأشربة في الجنة وتعدد أنواعها من اللبن والخمر والعسل، وخلوها عما يكدرها وينغص شاربها.

قوله (ولهم فيها من كل الثمرات) الجملة إطناب من باب ذكر العام بعد الخاص، والضمير في (لهم) راجع إلى المتقين، والهاء في (فيها) عائذ إلى الجنة، والمعنى: ولهم في الجنة صنف من كل ثمرات الفاكهة.

قوله (ومغفرة من ربهم) أفردت الجملة بالذكر، لأن مغفرة الله للمتقين المنعمين بأنواع ما ذكر من الأشربة لذة نفسية لا تعادلها لذة أخرى من لذائذ المادة، ومن هنا نكر اللفظ لتفخيمه، وقيد بأنه (من ربهم) لتعظيم المغفرة، وأنهم تحت العناية الإلهية.

قوله (كمن هو خالد في النار) الجملة على تقدير محذوف: أمن هو خالد في الجنة الموصوفة بما ذكر كمن هو خالد في النار، أو على تقدير: أمثل من هو خالد في الجنة التي وعد المتقون كمن هو خالد في النار التي هي مثوى للكافرين.

والحذف دال على تصوير مكابرة من يسوي بين من هو على بينة من ربه وبين المتبع لهواه، بمكابرة من يسوي بين الجنة وما وصفت وبين النار.

قوله (وسقوا ماء حميما) بناء الفعل للمجهول لأن أهل النار مكرهون على هذا السقي، والماء الحميم الماء الشديد الغليان بفعل النار، والكلام مقابل تلك الأشربة لأهل الجنة.

قوله (فقطع أمعاءهم) الفاء للتفريع، وفعل التقطيع مبالغة في الفصل والتقسيم، لشدة حرارة الماء المار في أجوافهم.

قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ



قوله (ومنهم من يستمع إليك) انتقل الكلام إلى ذكر إعراض مشركي مكة عن النبي ﷺ، و(من) في (منهم) للتبويض، والاستماع إلى النبي ﷺ يراد به الإصغاء إلى ما يتلوه من آيات القرآن.

قوله (حتى إذا خرجوا من عندك) حتى: ابتداء غاية فعل الاستماع، و(إذا) للشرطية الظرفية، والخروج من عند النبي ﷺ خروج من مجلسه، و(من) ابتدائية، وضمير الجمع في الفعل باعتبار المعنى في اسم الموصول (من)، كما إن الأفراد في (يستمع) باعتبار لفظه.

قوله (قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) أي: قال المشركون للصحابه العلماء بالله مستفهمين عن معنى ما سمعوا من النبي ﷺ على سبيل

الاستهزاء والتكبر، لأنهم سمعوه من دون تدبر ولا وعي، بسبب غرورهم واستكبارهم.

وإتيان العلم إعطاؤه، وهو علم معهود في الذهن يراد به العلم بالمعارف الدينية والحقائق الإلهية مما تعلموه من النبي ﷺ، بما تلاه عليهم من آيات القرآن العظيم.

والضمير في (قال) راجع إلى النبي ﷺ، والأنف كما قال في المجمع: الجائي، من الانتناف وهو الابتداء، فقوله أنفا أي: في أول وقت يقرب منا. انتهى. والنصب على الظرفية.

وفي المجمع عن الأصبغ بن نباته، عن علي السليمان قال: إنا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي، فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: (ماذا قال أنفا). انتهى.

قوله (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) جملة استئناف للتعريف بالمشركين المستهزئين، ولفظ الإشارة لتمييزهم بأنهم أحرىء بما سيخبر عنهم.

والطبع الختم ويراد به المنع، وذكر القلوب على أسلوب لغة العرب في تسمية النفوس وإدراكاتها الباطنية بالقلوب، والمعنى: أن الله جعل قلوبهم قاسية فلا يؤثر بها الوعظ والنصح، وإسناد الطبع إلى الله على سبيل المجازاة على أعمالهم لا الابتداء.

قوله (واتبعوا أهواءهم) الواو لعطف تفسير الطبع، لأن من علامته اتباع الأباطيل والرغبات الضالة.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ﴾ (١٧)

قوله (والذين اهتدوا زادهم هدى) الآية تقابل التي قبلها في المعنى، وزيادة الهدى من الله تعالى للمهتدين مجاز في كمال مرتبتهم في سلم الإيمان بالله، لأن الهداية مراتب.

قوله (وآتاهم تقواهم) أي: وأعطاهم الله ما يسدد عملهم، فلا يقعون فيما يخالف أوامره تعالى ونواهيه، والجملة تقابل اتباع الكافرين لأهوائهم.

قوله تعالى ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ۖ﴾ (١٨)

قوله (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) في الآية ثلاث فاءات، الأولى لتفريع تهديد المشركين على معنى إعراضهم السابق، والثانية للسبب، والثالثة للتفريع.

وحرف الاستفهام بمعنى (ما) النافية، و(ينظرون): ينتظرون، والساعة يوم القيامة، والجملة جيء بها بأسلوب القصر لحتمية وقوع معنى إهلاك المشركين والتهكم بهم، فأفرغ حالهم من أن ينتظروا شيئاً سوى وقوع القيامة بغتة لجزائهم.

وجملة (أن تأتيهم بغتة) بدل من الساعة، والبغطة الفجأة من دون توقع، والنصب على الحال.

قوله (فقد جاء أشراتها) جملة تعليل لبغطة الساعة لا لإتيانها مطلقا، وذلك بأن علاماتها وقعت فلم يبق إلا حصولها نفسها.

والأشراط جمع شرط وهي العلامة ومنه يقال: أصحاب الشرط، للبسم لباسا يكون علامة لهم، ومن أشرط الساعة مبعث الرسول ﷺ ونزول آخر الكتب، والدخان، وانشقاق القمر، وفي الأثر الصحيح قوله ﷺ: بعثت في نفس الساعة. ذكر في المجازات النبوية، وغيره. انتهى.

وقال ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ذكر في المسانيد والسنن. انتهى.

قوله (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) الفاء لتفريع الإنكار على مجيء الأشرط، و(أنى) اسم استفهام بمعنى كيف، أي: فكيف ينفعهم التذكر إذا وقعت القيامة، لأنه يرتفع التكليف، والكلام نظير قوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) [الفجر: ٢٣]، والذكرى ما أمر الله يتذكروا به.

وجملة (إذا) معترضة بين الخبر المقدم (أنى) ومبتدئه، لإفادة سرعة مجيء الساعة.

قوله تعالى ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَوْلَكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾

قوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) الفاء فصيحة على تقدير: إذا علمت أن السعادة في التوحيد والشقاوة في الإشرak فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية.

قوله (واستغفر لذنبك) أي: واسأل ربك الغفران لذنبك، فإن ذلك السؤال عبادة تقرب إليه تعالى.

قوله (وللمؤمنين والمؤمنات) أي واستغفر لذنوب المؤمنين والمؤمنات، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إشعار بعراقة المستغفر لهم بالذنوب وافتقارهم إلى الاستغفار.

وفي المجمع: وقد صح الحديث بالإسناد عن حذيفة بن اليمان قال: كنت رجلاً ذرب اللسان على أهلي، فقلت: يا رسول الله! إني لأخشى أن يدخلني لساني في النار؟ فقال رسول الله ﷺ: فأين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة. انتهى.

وفي نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة. انتهى.

قوله (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) لا تخلو الجملة من تعليل، أي والله يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها سواء في حركتكم أو في سكونكم، وفعل المضارع دال على التجدد، والمتقلب نقيض المثوى.

قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَلَمٍ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ ۖ﴾

قوله (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) القول من المؤمنين الصادقين يظهر أن صدق رغبته في جهاد أعداء الله.

و(لولا) تفيد الحض بمعنى (هلا)، والتنزيل التبليغ، وأريد بالسورة ما تحمل من تكليف بقتال المشركين، وتكثيرها يفيد خصوصية ذلك المعنى.

قوله (فإذا أنزلت سورة محكمة) الفاء للتفريع، و(إذا) ظرفية شرطية، وتوصيف السورة بالمحكمة، أي الصريحة التي لا تقبل التأويل في فرض القتال.

قوله (وذكر فيها القتال) أي: وأمر الله في السورة المنزلة بقتال الكفار، لأن الأمر من الذكر والخبر.

قوله (رأيت الذين في قلوبهم مرض) الخطاب إلى النبي ﷺ، والرؤية علمية، والذين في قلوبهم مرض المنافقون وأضرابهم ممن هم دونهم من ضعفة الإيمان، وهم فئة متزلزلة تشكك في كل أمر يبتلون فيه.

قوله (ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) تمثيل لحال الذين في قلوبهم مرض حين يدعون إلى تلبية الأمر بالقتال، شبهوا بحال المحتضر الذي نزل به الموت، فيشخص ببصره هلعا وخوفا.

والتشبيه بليغ محذوف الأداة ووجه الشبه، والغشيان الستر، و(من) تفيد الغاية، أي بسبب الموت.

قوله (فأولى لهم) الفاء للتفريع، وصيغة الجملة الدعاء عليهم في أنهم أخرى بأن يليهم المكروه، أو من معنى الويل لهم، وتعدية اللفظ باللام دون الباء لأنه أكثر اختصاصا، ونظيرها قوله تعالى (فأولى لك ثم أولى لك فأولى) [القيامة: ٣٥].

قوله تعالى ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾

قوله (طاعة وقول معروف) يجوز أن يكون متصلا بما قبله بتقدير: طاعة وقول معروف أمثل بهم وأليق من أحوال الكافرين، ويجوز أن يكون استئنافا خبرا لمبتدأ محذوف بتقدير: أمرهم طاعة وقول معروف واثقوا الله عليه، ويؤيده ما بعده وهو قوله تعالى (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم)،

ونظيره قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) [البقرة: ٢٨٥].

وتنكير (قول) للتعظيم، وتوصيفه بأنه معروف أي حسن لا ينكره السامع، وهو تقديم السمع والطاعة لله إشارة إلى قوله تعالى الأنف (وقالوا سمعنا وأطعنا).

قوله (فإذا عزم الأمر) الفاء للتفريع، و(إذا) شرطية، والعزم الجد، وإسناده إلى الأمر على سبيل المجاز العقلي، كما قال تعالى (فإن ذلك من عزم الأمور) [آل عمران: ١٨٦]، وجواب (إذا) محذوف دل عليه السياق بتقدير: فإذا عزم الأمر وجد الجد في فرض القتال نكلوا وأخلفوا، فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم.

قوله (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) الفاء تفريع بعد تفريع، و(لو) للتمني، ومعنى (صدقوا الله) أي: طابقوا في عملهم قولهم بالسمع والطاعة في الاستجابة إلى القتال.

واللام في (لكان) واقعة في جواب (لو)، واسم كان راجع إلى (صدقوا) بمعنى: لكان الصدق خيرا لهم، ويراد بلفظ الخير اسمه لا معنى اسم التفضيل.

قوله تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا

أَرْحَامَكُمْ ﴾ ﴿٢٢﴾

قوله (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض) الالتفات في خطاب المتناقلين عن تلبية الجهاد، لأنه أبلغ في التوبيخ، والفاء للتفريع، والاستفهام يراد به التقرير، و(عسى) من أفعال المقاربة، بمعنى: فهل يتوقع منكم، وجملة الاعتراض (إن توليتم) تفيد التقييد، والتولية الإعراض عن كتاب الله والعمل بأحكامه، وقيل الإمرة على الناس، وهو بعيد عن سياق الآية، والإفساد في الأرض يراد به البغي والعدوان على الناس. و(في) للتلبس الظرفي، وتعريف الأرض للعموم.

قوله (وتقطعوا أرحامكم) أي وتقطعوا في أرحامكم، فنصب الأرحام على نزع الخافض، والتقطيع مبالغة في القطع.

ومحصل معنى الآية أنه: يتوقع منكم أيها المتناقلون عن أداء أحكام الله إن أعرضتم عن الكتاب والعمل به أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من ظلم الناس والبغي في الأرض وقطع الأرحام.

وفي التشديد بصلة الرحم، قال الرسول ﷺ: إن الرحم معلقة بالعرش لها لسان ذلق تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني. ذكر في الدر وغيره. انتهى.

قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿٢٣﴾

قوله (أولئك الذين لعنهم الله) اسم الإشارة إلى الموصوفين بالإفساد في الأرض وقطع صلة الرحم، ولعن الله لهم بمعنى إبعادهم من رحمته تعالى.

قوله (فأصمهم وأعمى أبصارهم) الفاء للتفريع على اللعن، والمعنى أن الله جعلهم لا يتبينون بالسمع والإبصار الحق من الباطل، فكانوا بمنزلة الأصم والأعمى الفاقدين للسمع والبصر أصلاً.

قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾

قوله (أفلا يتدبرون القرآن) الفاء لتفريع الاستفهام التوبيخي للمذكورين بصفاتهم السابقة، وتدبر القرآن التفكير في تفهم آياته ومعانيه للتوصل بحقائقها إلى الإيمان بالخالق.

قوله (أم على قلوب أقفالها) أم: للإضراب بمعنى: بل، أي: الانتقال من توبيخ إلى توبيخ، وتقدم شبه الجملة للاهتمام، وتكثير لفظ (قلوب) للخصوصية يراد به المتقدمون المذكورون المعرضون عن القرآن، والأقفال جمع قفل استعارة للغلق والمنع من دخول شيء إلى القلوب، والمعنى إن نفوسهم ممتنعة من التأثر بآيات القرآن لقساوتها وانقيادها إلى شيطانها وأهوائها.

وإضافة ضمير القلوب إلى لفظ الأقفال للدلالة على أنها أقفال خاصة بنفوس المنافقين مجانسة لها، لا تشبه سائر الأقفال المعهودة، ولشدة اتصال الآيات ببعض ولا سيما في عود القلوب إلى المعرضين قال الشيخ في المجمع: وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال: لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع. انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ ﴿٢٥﴾

قوله (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) الابتداء والإخبار عن المنافقين تمهيد لتهديهم، والارتداد على الأدبار كناية عن الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان تنزيلا للمنافقين منزلة الكافرين.

قوله (من بعد ما تبين لهم الهدى) جملة الظرف اعتراضية بين اسم (إن) وخبرها لتشديد تشنيع إدبارهم، لأنه وقع بعد إقامة الحجة عليهم، و(من) زائدة للتأكيد، و(ما) مصدرية، واللام في (لهم) بمعنى الأجل، وتعريف الهدى للعهد، وتبيان الهدى كناية عن وضوح سبيل الحق بنزول القرآن ودعوة التوحيد.

قوله (الشيطان سول لهم وأملى لهم) الجملة من المبتدأ والخبر موقعها الخبر لـ (إن)، والتسويل التسهيل أي سهل لهم ركوب العظائم بوسوسته لهم وتزيينه الباطل بصورة الحق، واللام في (لهم) بمعنى: لأجلهم.

والإملاء الإمداد، وذلك بإغواء الشيطان للمنافقين، ووعدهم بالأمانى الضالة، وتكرار (لهم) زيادة في التأكيد.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾

قوله (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) اسم الإشارة إلى تسليط الشيطان على المنافقين بالتسويل والإملاء، والباء في (بأنهم) للتعليل، أي: لأنهم، والإتيان بجملة الموصول دون التصريح بلفظ الكافرين لتبشيع حال المنافقين والكافرين معاً، كما أن الإتيان بـ (ما) المصدرية في قوله (ما نزل الله) لتعظيم شأن القرآن وتفضيع كراهة المشركين له، وقد عرفهم القرآن بذلك في السورة نفسها [الآية: ٩]، في قوله (والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله).

قوله (سنطيعكم في بعض الأمر) مقول قول المنافقين، وإنما قيدوا طاعتهم للكافرين ببعض الأمور دون كلها خوفاً من انكشاف أمرهم، فكانوا يتربصون الدوائر بالمسلمين، وبالدولة الفتية للتوحيد، ويعلمون الكفار بما يضرها سرا بدلالة الجملة بعدها فيعلم الله بإسرارهم.

قوله (والله يعلم إسرارهم) جملة حالية، وفعل مضارع العلم للتجدد، والإسرار الكتم والإخفاء.

قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَذْبَرَهُمْ ﴾ ﴿٢٧﴾

قوله (فكيف إذا توفتهم الملائكة) الفاء لتفريع النتيجة على ما تقدم، بتقدير:
يفعلون ما يفعلون من الحيل في حياتهم الدنيا فكيف يفعلون إذا توفتهم
الملائكة.

والتوفي إشارة إلى انقضاء مدة وجودهم في الحياة الدنيا بقبض أرواحهم
عند الموت، وتعريف الملائكة للعهد أي الملائكة الموكلون بقبض الروح.

قوله (يضربون وجوههم وأذبارهم) جملة حالية، وضرب الوجوه والأذبار
كناية عن إخزاء المنافقين عند الموت وإهانتهم، فهو تصوير لأبشع صور
التوفي.

قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرَهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٢٨﴾

قوله (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) أي: ذلك التوفي بتلك الصورة المهينة
للمنافقين، لأنهم أطاعوا ما أغضب الله من اتباعهم أهواءهم وتسويلهم
لأنفسهم ارتكاب الكفر والمعاصي، والإتيان بجملة الموصول لتبشيع
الاتباع.

قوله (وكرهوا رضوانه) جملة مقابلة، وكره رضوان الله كناية عن إعراضهم عن كتابه واتباع دينه، والسخط والرضا من انفعالات النفس لا تنطبق على الذات الإلهية وإنما هي كناية عن عقابه وثوابه تعالى، وعن الصادق عليه السلام أنه سأله أحد أصحابه وهو محمد بن عمار: يا بن رسول الله أخبرني عن الله عز وجل، هل له رضى وسخط؟ قال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه. ذكر في التوحيد. انتهى.

قوله (فأحبط أعمالهم) الفاء لتفريع النتيجة على السبب، وحبوط الأعمال سقوط أثرها وفقد قيمتها، فلا أجر لهم يوم الآخرة.

قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ ﴾

قوله (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) تفيد (أم) معنى: بل، للإضراب الانتقالي في الكلام في إخراج المنافقين وضعفة الإيمان الذين عبر عنهم القرآن بالمرض المتلبس قلوبهم، الذين يمنع صحة عقولهم. وهمزة الاستفهام المقدرة بعد (أم) تفيد معنى الإنكار والتوبيخ.

قوله (أن لن يخرج الله أضغانهم) جملة (أن) محلها النصب لفعل الحساب، و(أن) مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن محذوف، وخبرها جملة (لن).

وفعل الإخراج استعارة لكشف نفوس المنافقين وشدة حقدهم على الإسلام،
شبه الأضغان بشيء مخبوء فيظهره الله من ستره.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾

قوله (ولو نشاء لأريناكم) في الكلام التفات من الغيبة إلى نون التكلم
للعناية بإراءة الله نبيه أحوال المنافقين.

وجملة المشيئة دالة على أن قسما من المنافقين لم يعرف الله رسوله بهم،
فالمعنى: إن الله لم يشأ ولو شاء لأرى رسوله المنافقين إراءة عيان.

قوله (فلعرفتهم بسيماهم) الفاء لتفريع المعرفة على الإراءة، واللام موطئة
للقسم، والسيما العلامة التي تظهر على وجوه المنافقين.

قوله (ولتعرفنهم في لحن القول) أي: وأقسم لتعرفنهم في صرف الكلام عن
مقاصده الصحيحة استهزاء وتكديبا.

وجعل معرفة المنافقين في ظرف اللحن للمبالغة، واللحن كما قال الراغب
في المفردات: صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الإعراب أو
التصحيف، وهو المذموم وذلك أكثر استعمالا، وإما بإزالته عن التصريح
وصرفه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث
البلاغة. انتهى.

وفي المجمع، عن أبي سعيد الخدري قال: لحن القول بغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام قال: وكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام. وفيه: وروي مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وعن عبادة بن الصامت قال: كنا نبور [نختبر] أولادنا بحب علي عليه السلام، فإذا رأينا أحدهم لا يحبه، علمنا أنه لغير رشدة [ضد الزنية]. انتهى.

أقول: ومثل ذلك روي في الدر المنثور للسيوطي.

وفي أمالي الطوسي بإسناده إلى علي عليه السلام أنه قال: قلت أربعا أنزل الله تعالى تصديقي بها في كتابه، قلت: المرء مخبو تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر، فأنزل الله: (ولتعرّفنهم في لحن القول). انتهى.

قوله (والله يعلم أعمالكم) في الإخبار وعد للمؤمنين ووعد للكافرين، أي: والله وحده يعلم حقيقة أعمالكم ونواياكم فيها فيجازيكم عليها، عقابا أو ثوابا.

قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوًا أَخْبَارَكُمْ﴾

قوله (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) القسم للتأكيد، والبلاء والابتلاء واحد وهو الامتحان والاختبار، والآية متصلة بأمر القتال بمنزلة التعليل له، و(حتى) لابتداء الغاية، وفعل العلم مراد به التمييز والظهور لأن الله عالم بما كان وما لم يكن.

قوله (ونبلوا أخباركم) أي: ونبتلي أخباركم التي تصدر عنكم كما ابتلينا نفوسكم، فيتبين الصالح منها والطالح.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿٣٢﴾

قوله (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) الاستئناف لأهمية الإخبار، والمراد بصفات من أخبر عنهم أئمة الكفر وعتاة الشرك من قریش لأنهم الذين امتلكوا أسباب صد الناس عن سبيل دعوة التوحيد.

قوله (وشاقوا الرسول) مشاقة الرسول معاداته، وأل الرسول للتعريف يراد به النبي محمد ﷺ.

قوله (من بعد ما تبين لهم الهدى) جملة الظرف لتبشيع الصد والمشاقة، لأنه وقع بعد إقامة الحجة عليهم، وفي ذلك تصوير لشدة عنادهم على الكفر.

قوله (لن يضرروا الله شيئاً) الجملة خبر لـ (إن)، والنفي التأييدي لأن عائد الضر على نفس فاعله، بذلك اقتضت الحكمة الإلهية، وتنكير (شيئاً) لإفادة العموم والقلّة.

قوله (وسيحبط أعمالهم) أي: يفقد الله أثر أعمال الكافرين في الكيد برسول الله وفي التآمر على دعوته، بحيث لا يكون لها خطر على رسالته التوحيدية.

وهذا المعنى في حبوط أعمال الكافرين أوفق من غيره من الأقوال التفسيرية، لأنه مناسب للسياق التحريضي للمؤمنين على القتال.

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ ﴿٢٣﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) نداء المؤمنين بصفتهم، أجدر بأمرهم بطاعة وطاعة رسوله، وتكرار فعل الطاعة دون عطف الرسول على الله لأن الطاعتين مختلفتان، فبحسب سياق الآيات الداعية إلى القتال، تكون طاعة الله في التزام ما شرع سبحانه في كتاب من فرض القتال، وأما طاعة الرسول ففي اتباع ما بلغ عن ربه.

قوله (ولا تبطلوا أعمالكم) أي: لا تفسدوا أعمالكم بالتخلف عن القتال فتفقد أثرها يوم القيامة، لأن للأعمال أجورها عند الله.

وذكر في أمالي الشيخ الصدوق بإسناده عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قال: سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة، فقال رجل من قریش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير، قال: نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نارا فتحرقوها، وذلك

أن الله عز وجل يقول: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم). انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ﴿٢٤﴾

قوله (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) الاستئناف لتعليل مضمون الآية السابقة فيما لو لم يؤمنوا.

واجتماع فعل الصد مع الكفر دال - غير مرة - على أن المراد بهم قادة الضلالة من قريش.

قوله (ثم ماتوا وهم كفار) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، والموت انقضاء حياتهم الدنيا بالسيف أو بالحنف، وجملة (وهم كفار) حالية.

قوله (فلن يغفر الله لهم) الفاء لتنزيل جملة الموصول منزلة الشرط، والنفي بـ (لن) تأبيدي، لأن الحكم عام يشمل كل من مات على الكفر، وغفران الله تجاوزه سبحانه وصفحه عن العاصين.

قوله تعالى ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ ﴿٢٥﴾

قوله (فلا تهنوا) الفاء لتفريع النهي على الإخبار، و(لا) أداة نهى، والوهن الضعف، والخطاب للمؤمنين ينهاهم عن الضعف عن القتال وإعطاء الدنية للكافرين.

قوله (وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) الواو للعطف على النهي، وجملة (تدعوا) واقعة في حيز النهي، أي: ولا تدعوا إلى السلم والمصالحة، والنهي مقيد بحال ما بعده من كلام، وهو قوله (وأنتم الأعلون) أي: في حال من الغلبة على عدوكم، ولفظ الأعلى مستعارة لمعنى الظفر والغلبة.

قوله (والله معكم) الواو للعطف على الحال حال ثانية، وفيها معنى العلة لعلو المؤمنين، فمعية الله لهم مجاز في تأييده لهم ووعد بنصره إياهم على أعدائهم.

قوله (ولن يترككم أعمالكم) أي: ولن ينقصكم أجوركم يوم القيامة، بل يوفيكم إياها كاملة تامة، والوتر أصله القطع، ومنه الترة وجمعه الترات وهو القطع بالقتل، ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره. قاله الطبرسي في المجمع. انتهى بتصرف.

وذكر القمي في تفسيره لقوله تعالى (وإن جنحوا للسلم كافة فاجنح لها) قال: هي منسوخة بقوله: (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم). انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ ﴿٣٦﴾

قوله (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) الخطاب لتزهد المؤمنين بالحياة الدنيا وترغيبهم بالآخرة، فقصر الحياة الدنيا على اللعب واللهو لأنها ليست الغاية، وإنما الغاية الآخرة.

قوله (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أي: وإن تؤمنوا به تعالى وتعملوا بطاعته يعطكم ثوابكم في الآخرة.

قوله (ولا يسئلكم أموالكم) أي: لا يطلب الله منكم إخراج أموالكم جميعها، بل سألكم النزر اليسير منها، في أداء حقها في الجهاد، وموجبات الإنفاق، حتى لا يبتليكم فتضلوا.

قوله تعالى ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَحُجْرٌ أَضْعَفُكُمْ ﴾ ﴿٣٧﴾

قوله (إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا) جملة الشرط لبيان حال لطف الله بعباده، وفي جملة السؤال مفعولان ضمير الجمع العائد على المؤمنين، وضمير الهاء العائد على الأموال، أي: إن يسألكم الله إخراج أموالكم جميعها لإنفاقها على الفقراء.

والفاء في (فيحكم) للتفريع، والإحفاف كما قال الطبرسي: إلحاح في السؤال حتى ينتهي إلى مثل الحفاء والمشى بغير حذاء. انتهى. ويراد به المشقة والإجهاد.

وجزم (تبخلوا) لأنه واقع في جواب (إن) الشرطية، والبخل بمعنى الكف عن إعطاء المال.

قوله (ويخرج أضغانكم) جزم الفعل لأنه في حيز العطف على (تبخلوا)، وإخراج الأضغان استعارة في شدة الحقد على الإسلام، وذلك لتعلق الإنسان عموماً بالمال، فأمره بالتخلي عنه كلية مدعاة لضلاله.

قوله تعالى ﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾

قوله (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) تفيد (ها) التنبيه، وكذا لفظ الإشارة تنبيه ثان، لأن الكلام استشهاد على صدق مضمون الآية السابقة، بأن بعضهم حين يدعى للإنفاق يبيع ما فرض عليه من إخراج المال يبخل به.

وسبيل الله موارده الموجبة للإنفاق ومنه تجهيز القتال، ومنه عموم الإنفاق على الفقراء.

قوله (فمنكم من يبخل) الفاء للتفريع، و(من) في (منكم) للتبعية، والبخل منع إخراج حق الإنفاق.

قوله (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) جملة تبیین، وتعدية البخل بحرف التجاوز لأنه متضمن معنى المنع والكف والإمساك، أي: من منع الخير فإنما منعه عن نفسه، لأن المنتفع بالإنفاق المنفق نفسه.

قوله (والله الغني وأنتم الفقراء) جملة تعليل، لأن الله هو الغني، في حال أنكم أيها الناس الفقراء إليه.

والتصريح بلفظ الله يفيد القصر، وأل الغني قصر ثان، والواو في (وأنتم الفقراء) واو الحال، وتعريف الفقراء لقصرهم عليه.

قوله (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم) جملة الشرط مضمونها التهديد، والتولي الإعراض عن طاعة الله وتقواه، والاستبدال مبالغة في الإبدال والعوض، وتتكير (قوما) للنوعية، و(غيركم) للنفي، أي: لا يشبهونكم في الطاعة والإيمان.

قوله (ثم لا يكونوا أمثالكم) أي: ثم لا يكونوا شبيهين بكم بأن يتصفوا بالإنفاق والبخل، بل يكونوا خيرا منكم وأطوع لله تعالى.

ونقلت كتب التفسير أن المراد بهم قوم فارس أو الموالي، ففي الدر المنثور أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة قال: تلا رسول

الله هذه الآية: (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان، ثم قال: هذا وقومه، والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس. انتهى.

وفي المجمع: وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إن تتولوا) يا معشر العرب (يستبدل قوما غيركم) يعني الموالي. انتهى. وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قد والله أبدل خيرا منهم الموالي. انتهى.

وفي غريب الحديث لابن سلام، وغيره كشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ذكر إن الأشعث بن قيس قال لأمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر: غلبتنا عليك هذه الحمراء، فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضيافة، يتخلف أحدهم يتقلب على حشايه، وهؤلاء يهجرون إلي، إن طردتهم إني إذا لمن الظالمين، والله، لقد سمعته يقول: والله ليضربنكم على الدين عودا، كما ضربتموهم عليه بدءا. انتهى.

سورة الفتح

مدنية، وهي تسع وعشرون آية

السورة مدنية، منطبقة تمام الانطباق على سبب نزولها، وهو التصالح بين النبي ﷺ والذين معه وبين المشركين في بئر الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، وبيان ما امتن الله على نبيه ﷺ من فتح مبين، وفيها ذكر لتخلف الأعراب، وثناء من الله لنبيه وللمؤمنين ووعد بجميل الجزاء.

وفي مناسبة النزول: ذكر قتادة عن أنس قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية، وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة، إذ أنزل الله عز وجل: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا)، فقال رسول الله ﷺ: لقد أنزلت علي آية، هي أحب إلي من الدنيا كلها.

وفي فضل السورة قال الصادق عليه السلام: حصنوا أموالكم ونساءكم، وما ملكتم أيمانكم من التلف بقراءة (إنا فتحنا)، فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق: أنت من عبادي المخلصين، ألحقوه بالصالحين من عبادي، فأسكنوه جنات النعم، واسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ ﴾

الكلام في معرض امتنان الله تعالى على نبيه ﷺ والمؤمنين معه، افتتح بحرف الابتداء لأهميته، وضمير النون للعظمة والعناية بالفتح، وفعل الفتح استعارة قرآنية لكل ما يستغلق أمره، فاتسع استعماله للنصر والغلبة والتأييد، وإن كان أكثره يعني الدخول إلى أرض الأعداء وفتح المدن، وإيراده بصيغة الماضي إخبار بالغيب نزل منزلة الواقع لحتمية حصوله.

واللام في (لك) للغاية، أي لأجلك أيها النبي ﷺ، و(فتحا) مفعول مطلق يفيد النوعية لأن الظفر الذي رزق الله تعالى نبيه ﷺ نوعي نقل الإسلام إلى اتساع رقعته، وتوصيف الفتح بلفظ المبين لأنه ظاهر النصر لا ينكره منكر.

والكلام ينطبق على مناسبة نزوله فقد جاء بعد صلح الحديبية مع المشركين عند منصرف النبي ﷺ منها، سنة ست للهجرة المباركة، فقد ذكر أنه خرج من المدينة قاصدا الحج إلى بيت الله الحرام مع أصحابه وعديدهم ألف وأربعمئة، والمشركون يومئذ في قوة شوكتهم، وقد خذله الأعراب فلم ينفروا إليه، وفي بئر الحديبية صالحه مشركو قريش على وضع القتال عشر سنين وألا يلاحقوا أتباع الفريقين، وأن يرجع المسلمون في عامهم

الذي هم فيه إلى المدينة ويؤدوا العمرة في عامهم اللاحق بعد أن يخلوا لهم المسجد والبيت الحرام.

وكان أن فتح الله على نبيه ﷺ والمؤمنين، من حيث اعتقد الكفار والمنافقون وضعفة الإيمان انكسار الإسلام، ففي ظرف سنتين اشتدت شوكتهم، وقوي عودهم وكثر عددهم واتسعت رقعة الإيمان، بعد أن ذاع صيتهم، فانضمت إليهم كثرة من القبائل، وفتح الله لهم خير سنة سبع للهجرة، وفي السنة الثامنة دخلوا مكة بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل - على أقل تقدير - بعد أن تصالحوا مع قريش في الحديبية بألف وأربعمئة رجل سنة ست للهجرة.

ومن أخبار الحديبية، ذكر في المجمع: قال محمد بن إسحاق بن يسار: وحدثني بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب أن كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح كان علي بن أبي طالب فقال له رسول الله ﷺ: اكتب (هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو) فجعل علي يتلأ ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله - فقال رسول الله: فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد، فكتب ما قالوا. انتهى.

وفي تفسير القمي، ومثله في صحيح البخاري والنسائي: وقال رسول الله ﷺ لأصحابه بعد ما كتب الكتاب: انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم، فامتنعوا، وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة، فاغتم رسول الله ﷺ وشكا ذلك إلى أم سلمة، فقالت: يا رسول

الله انحر أنت واحلق، فنحر رسول الله وحلق، فنحر القوم على حيث يقين وشك وارتياح. انتهى.

وفي الدر المنثور أخرج البيهقي عن عروة قال: أقبل رسول الله ﷺ من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: والله ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت، وصد هدينا، وعكف رسول الله ﷺ بالحديبية، ورد رجلين من المسلمين خرجا، فبلغ رسول الله ﷺ قول رجال من أصحابه: إن هذا ليس بفتح، فقال رسول الله ﷺ: بنس الكلام، هذا أعظم الفتح، لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم، ويسألوكم القضية، ويرغبون إليكم في الإياب، وقد كرهوا منكم ما كرهوا، وقد أظفركم الله عليهم، وردكم سالمين غانمين مأجورين فهذا أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد، إذ تُصعدون، ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب، إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا؟ قال المسلمون: صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنك أعلم بالله وبالأمر منا، فأنزل الله سورة الفتح. انتهى.

أقول: والأحاديث في قصة الحديبية كثيرة، وما أوردناه طرف منها.

قوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٢٨﴾﴾

قوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) التركيب من الأدب القرآني الفريد الاستعمال، إذ لا ارتباط ظاهر بين نعمة الفتح وتعليله بمغفرة الذنب، والذي تؤيده القرائن أن لفظي المغفرة والذنب على غير ظاهرهما، فالمراد - والله أعلم - أن المغفرة تعني معناها اللغوي وهو الستر، وأن مسمى الذنب باعتبار ما تراه قريش في فعل النبي ﷺ بهم من قتل وهزيمة وإبطال لمعتقداتهم، كما سمي موسى ﷺ ما فعله بالقبطي ذنبا فيما حكي عنه في قوله تعالى (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) [الشعراء: ١٤]، فهو ليس بمعنى مخالفة أمر الله، وعلى هذا يكون المعنى: أن فتح الله لنبيه ليبطل تبعة ما فعله بقريش قبل الهجرة وبعدها.

وهذا الذي ذكرته بتصرف مما أبان عنه السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان من أصح الآراء التي عالجت إشكال ارتباط الفتح بالمغفرة، وأحسب أنه انقذ لديه مما بينه السيد المرتضى ونقله صاحب المجمع وفيه: أن الذنب مصدر، والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معا، فيكون هنا مضافا إلى المفعول، والمراد ما تقدم من ذنبهم إليك في منعهم إياك من مكة وصدّهم لك عن المسجد الحرام، ويكون معنى المغفرة على هذا الإزالة والنسخ لأحكام أعدائه من المشركين، أي: يزيل الله تعالى ذلك عنك ويستتر عليك تلك الوصمة بما يفتح لك من مكة فتدخلها فيما بعد. انتهى.

وفسر الرضا ﷺ الذنب، فعن ابن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا ﷺ فقال المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك أن

الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، - إلى أن قال - قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي مكة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: (أجعل الالهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب، وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) فلما فتح الله على نبيه ﷺ مكة قال: يا محمد إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر عند مشركي مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم، فقال المؤمنون: لله درك يا أبا الحسن. ذكر في عيون الرضا. انتهى.

وأما الأقوال التي دارت حول تفسير المغفرة والذنب على معناهما المعروف فمما لا يناسب القول بعصمة الرسول ﷺ، وفيها تكلف وتحكم في ألفاظ الآية.

ولعل الالتفات من الخطاب في قوله (فتحنا لك) إلى الغيبة في قوله (ليغفر الله)، لإفادة إظهار لفظ الجلالة في عنايته بالامتنان.

قوله (ويتم نعمته عليك) إتمام النعمة على النبي ﷺ بإيفائها كاملة لا ينقصها شيء، ومن مظاهرها في الدنيا غلبة النبي ﷺ على أعدائه المشركين وإعلاء كلمة التوحيد، وفي الآخرة برفع محله، وقيل: إنه أتم النعمة على نبيه ﷺ بفتح خير ومكة والطائف.

قوله (ويهديك صراطا مستقيما) أي: ويثبتك على الصراط الموصوف بالاستقامة المؤدي إلى النجاة والظفر.

وأصل الإهداء الإرشاد، وتتكير (صراط) للنوعية والخصوصية، والمستقيم نقيض المعوج، كناية عن الأمن من الغوائل.

قوله تعالى ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ ﴿٣﴾

دلالة مضارع فعل النصر استمرار تأييد الله لنبيه ونصره على أعدائه، ووسمه بالنصر العزيز لأنه ممتنع من كل جبار عنيد وعات مريد، وهو بعد نصر نفيس أعز الله به نبيه، فجعل سلطانه مما لا يقهر في ظرف قصير.

قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۚ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٤﴾

قوله (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) ضمير الفصل للقصر، أي: هو الله وحده، وإنزال السكينة مجاز في إحداث هداية الله للمؤمنين،

وثباتهم على الإيمان في أوقات الشدائد بعد أن كانت لم تكن، فيجدون بالأدلة الدالة على توحيد الله برد الطمأنينة، ويقين النفس.

وجعل القلوب ظرفا مستقرا للسكينة على سبيل المبالغة، وذكر لفظ القلوب يراد به الإدراكات النفسية بطريقة ما اعتاده العرب في إطلاق القلب على ذلك.

قوله (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) جملة تعليل، وفعل الزيادة استعارة لليقين، ونصب (إيمانا) على الحال، وحرف الجر (مع) بمعنى الإضافة، أي: يقين إلى يقين، لأن إراءة فتح الله للمؤمنين وعلو كلمته تزيد المؤمنين يقينا بربهم وتصديقا بدينهم.

قوله (ولله جنود السماوات والأرض) جملة موقعها الحال، والإخبار يراد به الإعلام عن قدرته تعالى، وأنه لو شاء لأهلك المشركين من دون تكليفكم قتالهم، ولكنه جعل ذلك جزاء لكم وثوابا تعطونه.

وتقديم (لله) للقصر، وجنود السماوات والأرض مجاز في الأسباب الطيبة المؤتمرة بأوامره سبحانه في مملكته الواسعة.

قوله (وكان الله عليما حكيما) مضي الكون دال على الثبات، أي: كان وما يزال، والعليم الحكيم مبالغة تكثيرية للإحاطة والإتقان فيما يقول سبحانه ويصنع.

قوله تعالى ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا



قوله (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) التعليل آخر لقوله (هو الذي أنزل السكينة)، وذكر المؤمنات مع أنهن ضمن المؤمنين على التغليب، تأكيد لعدم التفريق في الجزاء على التكليف، وتنكير (جنات) على سبيل تعظيم شأنها.

قوله (تجري من تحتها الأنهار) الجملة محلها الصفة لـ (جنات)، دالة على ديمومة خضرة أشجارها وجمال منظرها، وعلو قصورها.

قوله (خالدين فيها) حال من المؤمنين والمؤمنات، أورد بالتذكير على سبيل التغليب، والخلود دوام البقاء في الجنات، وفيه زيادة طمأنينة نفي قطع النعيم عنهم بموت ونحوه.

قوله (ويكفر عنهم سيئاتهم) التكفير الستر، وتعديته بحرف التجاوز لتضمينه معنى الصفح والتجاوز عن معاصيهم، وتأخير التكفير عن الإدخال لبيان تعجيل مسرة المؤمنين بإدخالهم الجنة.

قوله (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) أي: وكان ذلك الإدخال في الجنات ظفرا عظيم القدر عند الله.

قوله تعالى ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ
وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ٦

قوله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) نصب (يعذب) لأنه معطوف على (ليدخل) لأنه تعليل مقابل للمؤمنين.

وتقديم أهل النفاق على أهل الشرك لضررهم المباشر على مجتمع الإسلام من المشركين، لأنهم أعرِف بثغراته وضعفه.

قوله (الظالمين بالله ظن السوء) صفة لما تقدم، وظن السوء مفعول مطلق، والسوء القبح، وكان منافقو المدينة اعتقدوا أن الله لا ينصر رسوله ﷺ، وأن سفره بأصحابه للحج في عقر دار المشركين سيقضي عليهم ولا يعودون إلى المدينة.

قوله (عليهم دائرة السوء) دعاء على أهل النفاق والشرك بالهلاك، وتقديم (عليهم) للاهتمام، ولفظ الدائرة كناية عن إحاطة السوء بهم واشتماله عليهم، وتعريف السوء للعهد، أي المكروه الذي تمنوه على المسلمين.

قوله (وغضب الله عليهم ولعنهم) غضب الله كناية عن عقابه، لأن الغضب من شؤون انفعالات الإنسان، واللعن الطرد من رحمته تعالى.

قوله (وأعد لهم جهنم) أي: وهياً جهنم لأجلهم، والإخبار قبل الإلقاء فيها زيادة في التهويل.

قوله (وساءت مصيراً) جملة ذم لمثل هذا المصير الهالك، ونصب (مصيراً) على التمييز.

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا



قوله (ولله جنود السماوات والأرض) الإخبار بمنزلة التعليل لما تقدم في مضمون الآيتين، وأن كل شيء في قبضته تعالى، وفيه معنى التهديد للمشركين كما أن في ذكره فيما تقدم وعدا للمؤمنين.

قوله (وكان الله عزيزاً حكيماً) أي: إن العزة والحكمة موصوفة بها ذاته تعالى، فلا يقهر أمره قاهر، ولا يخالط صنعه وهن.

قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾

خطاب عناية وتعظيم من الله تعالى لنبيه ﷺ، دل عليه حرف التحقيق ونون العظمة، وفعل الإرسال البعث بالنبوة والرسالة إلى قومه، ونصب (شاهداً ومبشراً ونذيراً) على الحال والعطف عليه، وشهادة الرسول ﷺ على أمته شهادة على الأعمال، والتبشير بالإخبار بالمسرة، والمراد وعد

المؤمنين به بالجنة، وأما النذير فلأنه يخوف الكافرين بالعذاب في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٩﴾

قوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) جملة تعليل للإرسال، والإيمان بالله يكون بتوحيده في عبادته، ونبذ عبادة ما سواه، والإيمان برسوله التصديق برسالته ونبوته واتباعه وطاعته.

قوله (وتعزروه وتوقروه) التعزيز النصر، والتوقير التعظيم، والأوفق أن تعود ضمائر الغيب الإفرادي إلى الله تعالى، لأنها أنسب في اتساق نظامها وترتيبها، أما القول بعودها إلى الرسول فيوقع الكلام في إشكالية اختلاف نسق الضمائر في فعل التسبيح.

قوله (وتسبحوه بكرة وأصيلًا) وتسبيح الله تنزيهه عما لا يليق بساحة قدسه، ونصب (بكرة وأصيلًا) على الحال، والبكرة أول النهار والأصيل آخره، والمراد دوام التسبيح.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) استئناف جديد لأهمية الإخبار في خطاب النبي ﷺ، والمراد بالبيعة تقديم المسلمين العهد للنبي ﷺ بعدم الفرار من القتال في ملاقاته المشركين، وسميت ببيعة الرضوان في بئر الحديبية.

وجملة الحصر (إنما يبايعون الله) موقعها خبر (إن)، وبيعة الله على سبيل المجاز في تقوية بيعة نبيه وتجديد العهد في نصرته، والبيعة سميت بذلك لأنها عقد على بيع أنفسهم لله للفوز بالجنة.

قوله (يد الله فوق أيديهم) جملة تقرير وتأكيد لما تقدم من معنى أن بيعة الرسول بيعة لله، لأن البيعة تتم بمصافحة اليد، والقسم على العقد والميثاق.

ونسبة اليد إلى الله نسبة مجازية، وإنزالها محل يد رسوله لبيان أن طاعة الرسول من طاعته سبحانه.

قوله (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) الفاء لتفريع التهديد على الإخبار السابق، والنكث نقض العهد، ومعنى (ينكث على نفسه) أن ضرر خيانة العهد عائد على الناكث نفسه.

قوله (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) العطف على الشرط السابق لبيان الترغيب في الإيفاء بالعهد بعد الترهيب من نكثه.

وإظهار لفظ الجلالة لتعظيم العهد والحث على الإيفاء به، والفاء المقترن بفعل الإتيان واقع في جواب (من) الشرطية، والسين دال على أن الأجر العظيم كائن حاصل في يوم القيامة وهو الفوز بالجنة، والأجر الثواب، وتنكيره لتعظيمه، وتوصيفه بالعظمة لكثرتة.

قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّتِيفَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

قوله (سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا) إخبار من الله تعالى لنبيه ﷺ عما يتعلل به الأعراب عن تخلفهم من اللحاق بالنبي ﷺ في النفرة إلى الحج، وإنباؤه بكذب أعذارهم ونفاقهم.

والمخلف المتروك، مأخوذ من الخلف، و(من) بيانية، والأعراب جمع لا مفرد له، يقال لعرب البادية دون الحاضرة، والمخصوصون هم عرب ضواحي المدينة من غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم ودئل، كانوا قد استنفرهم النبي ﷺ للخروج معه إلى الحج حذرا من قريش، فتخلفوا عنه

ولم يصاحبوه قائلين: إن محمدا ومن معه يذهبون إلى قوم غزوهم بالأمس في عقر دارهم، فقتلوهم قتلا ذريعا، وإنهم لن يرجعوا من هذه السفرة، ولن ينقلبوا إلى ديارهم وأهلهم أبدا.

وتعلمهم بالشغل بالأموال والأهلين بمعنى خشنا عليها من الضياع، إذ ليس من يخلفنا بحفظها لو خرجنا معكم.

وتأنيث الفعل (شغلننا) باعتبار قرب فاعله منه، وهو لفظ (أموالنا) مع أنه تنازعه التذكير في لفظ (أهلونا).

قوله (فاستغفر لنا) الفاء لتفريع سؤال الاستغفار على التعليل، واللام في (لنا) بمعنى: لأجلنا، ودلالة طلبهم الاستغفار من الرسول ﷺ إقرار منهم بالذنب على التخلف.

قوله (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) إخبار غيبي بنفاقهم، فكذب أعاليهم، وبين أن السبب الحقيقي في تخلفهم هو ما استقر في نفوسهم من نفاق.

قوله (قل فمن يملك لكم من الله شيئا) إجابة من الله تعالى على سبيل التنزل بصحة تعلمهم، وتذكير لمزاعمهم بالإشغال بالأموال والأولاد، بأن حفظها راجع إلى الله فهو المالك المعطي، ولا يمنع أحد من إرادته تعالى لو أراد بكم ضرا أو نفعاً.

والفاء في (فمن) للتفريع، والسؤال إنكاري، بمعنى: لا يملك، أي: لا يمنع، واللام في (لكم) لام الغاية، أي: لأجلكم، و(من) بيانية، وتكثير (شيئا) لعموم القلة.

قوله (إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعاً) جملة الشرط اعتراضية تبينية، والإرادة من الله تعالى فعله، وتعدية الفعل بالباء لتضمنه معنى الإنزال، وإعادة (بكم) مع النفع بدلا من (لكم) على سبيل التناظر البديعي في الكلام.

قوله (بل كان الله بما تعملون خبيراً) تفيد (بل) الإضراب الانتقالي في الكلام، وفي مضمون الجملة إشعار بالتعريض بكذب الأعراب.

قوله تعالى ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿١٢﴾

قوله (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً) تبين لكذب الأعراب فيما تعللوا به في قولهم المحكي عنهم (شغلنا أموالنا وأهلونا)، وهو اعتقادهم السيء أن الله لن ينصر رسوله، وأن الرسول ﷺ والمؤمنين معه بخروجهم هذا إلى عقر قريش لن يرجعوا إلى أهليهم إذ سيقضى عليهم.

والانقلاب الرد والرجوع، وتعريف الرسول للعهد، ولفظ الأهلين يراد بهم خاصتهم في المدينة، ونصب (أبداً) على الظرفية الحالية.

قوله (وزين ذلك في قلوبكم) التزيين التحسين، وصيغ بالفعل المبني للمجهول للإشارة إلى اندفاعهم في ظنهم السيء بسبب وسوسة الشيطان لهم بعدم الخروج مع النبي ﷺ فيهلكوا، واسم الإشارة مشار به إلى ظنهم السيء، والمراد بالظرف (في قلوبكم) استقرار الظن المخالف للإيمان في عقولهم.

قوله (وظننتم ظن السوء) نصب (ظن السوء) مفعول مطلق مبين لنوع فعله، وهو شناعة عدم نصره الله لرسوله، وأنه والمؤمنين معه لن ينقلبوا إلى أهلهم.

قوله (وكنتم قوما بورا) أي: وكنتم قوما موصوفين بالفساد والهلاك، والبور مصدر أقيم مقام اسم الفاعل للمبالغة.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا



قوله (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) مضمون الكلام التهديد والوعيد، وعطف الرسول على لفظ الجلالة دال على أن طاعة الله بطاعة رسوله.

قوله (فإننا أعتدنا للكافرين سعيرا) الجملة جواب لـ (من) الشرطية، ظاهرها الإخبار ومضمونها التهديد، والإعداد التهيئة، واللام المقترن بلفظ الكافرين للعلة، أي لأجلهم، وإظهار اللفظ دون إضماره فلم يقل: أعتدنا لهم، لبيان

علة الحكم، والجمع على سبيل المعنى في (من) كما أن الأفراد في (يؤمن) على سبيل ظاهر اللفظ.

والسعر صفة للنار الملتهبة، حلت محل موصوفها للمبالغة، جيء بها منكرة لأجل تهويلها.

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١٤﴾

قوله (ولله ملك السماوات والأرض) قصور ملك السماوات والأرض فيه تعالى إخبار بكمال ألوهيته المعللة للنتيجة بعدها من الغفران والتعذيب.

قوله (يعفو لمن يشاء ويعذب من يشاء) التقابل بين الجملتين، لأن ذلك الجمع بين الغفران والتعذيب من خصائصه تعالى، والمشية اقتضت أن يكون ذلك مبنيًا على عدالته في الجزاء على الأعمال.

قوله (وكان الله غفورًا رحيمًا) أي: ذاته سبحانه موصوفة بكثرة الغفران لذنوب عباده التائبين، وكثرة رحمته بالمؤمنين، وتخصيص الفاصلة بهذين الاسمين للإشارة إلى سبق رحمته غضبه.

قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم) إخبار مستقبلي فيه وعد بفتح جديد يطمع فيه الأعراب المخلفون من اللاحق بالمؤمنين لنيل المغانم، وفيه أمر للرسول ﷺ بمنعهم.

وفعل الانطلاق دال على المسارعة وفيه بشارة بفتح خبير، ودحر يهود قريضة الخائنين، وخص الله مغانمها لمن خرج مع النبي ﷺ في سفرة الحديبية، ولم يشرك معهم أحدا.

واللام في (لتأخذوها) لام الصيرورة، وفعل الأخذ دال على الملك، ومعنى (ذرونا) اتركونا نلتحق بكم، وجزم (نتبعكم) لأنه جواب الأمر.

قوله (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أي: يريد الأعراب تغيير وعد الله بتخصيص مغانم خبير بالخارجين مع الرسول ﷺ في الحديبية، وهو الإشارة إلى قوله تعالى في السورة نفسها (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه).

قوله (قل لئن تتبعونا) أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بمنعهم من اتباع المؤمنين في اللاحق بفتح خبير.

قوله (كذلك قال الله من قبل) أي: كذلك الأمر في منعكم، وتخصيص الوعد بالمؤمنين الخارجين مع النبي ﷺ قال الله بالحديبية قبل خيبر.

قوله (فسيقولون بل تحسدوننا) الفاء للتفريع، و(بل) للإضراب الانتقالي في الكلام، والحسد قصد به على لسانهم استئثار المؤمنين بالمغانم، ومنع الأعراب أن يشاركوهم فيها.

قوله (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) بل: للإضراب عن قول الأعراب، لتأكيد خفة عقولهم، وسذاجة فهمهم، لأن معنى قولهم (تحسدوننا) عنوا به أن منعهم من الاتباع حسدا من عند الرسول والمؤمنين وليس بأمر من الله، وهذا لا يقوله من له أدنى مسكة من فهم.

قوله تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَامَوْنَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

قوله (قل للمخلفين من الأعراب سددعون إلى قوم أولي بأس شديد) تعليم غيبي من الله لنبيه ﷺ بإلقاء الحجة على الأعراب القاعدين بأنهم سيدعون يوما إلى قتال قوم موصوفين بالبأس والقوة، واختلف في تسمية القوم، فقيل: هم هوازن، أو ثقيف، أو فارس أو الروم في مؤتة.

قوله (تقاتلونهم أو يسلمون) الجملة بدل من (ستدعون) وهو إخبار مضمونه الأمر بقتال أولئك القوم الموصوفين بالشدة والبأس، والتخيير بالتسليم دال على أنهم مشركون.

قوله (فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) الفاء للتفريع، ومفعول (تطيعوا) محذوف دل عليه ما قبله، بتقدير: تطيعوا دعوة النبي إلى القتال، وفعل الإتيان معناه الإعطاء، وضمير الخطاب الجمعي مفعوله الأول، و(أجرا) مفعوله الثاني، وتنكيره لتعظيمه، وتوصيفه بالحسن لأنه أجر جميل يسر صاحبه وهو الفوز بالجنة.

قوله (وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) الواو لعطف الوعيد على الوعد، والتولي الإعراض عن تلبية دعوة القتال، والكاف في (كما) للتشبيه، و(ما) مصدرية، وبناء الظرف (من قبل) لأنه مقطوع عن الإضافة، أصله: من قبل ذلك، وأريد به تخلفهم عن الخروج مع النبي ﷺ في سفرة الحديبية.

وجملة (يعذبكم) جواب (إن) الشرطية، لذلك جزم فعلها، و(عذابا) مفعول مطلق للنوعية، وتوصيفه بالأليم مبالغة في المؤلم، وهو العذاب في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٧﴾

قوله (ليس على الأعمى حرج) بيان لأحكام رفع تكليف الجهاد لمناسبة ذكر القتال، والتعلل من الخروج، فبيّنت الآية الموارد التي تسوغ رفع فرض التكليف عن المكلف وعدت أولها فاقد البصر.

وتقديم شبه الجملة للعناية، وحرف الاستعلاء (على) استعارة لنفي الوجوب، ولفظ الحرج معناه الضيق، أطلق ويراد به رفع حكم الجهاد برفع لآزمه، لما فيه من مشقة على ذوي العاهات.

قوله (ولا على الأعرج حرج) وهو المورد الثاني من أحكام رفع الجهاد عن المكلف، وأصل لفظ الأعرج من العروج، وهو الصعود، سمي بذلك لأنه يصعد بإحدى رجليه عن الأخرى عند المشي.

قوله (ولا على المريض حرج) أي: مطلق من به علة تمنعه من القيام بمشقة الحرب والقتال.

قوله (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) جملة الشرط مضمونها الترغيب والحث على الجهاد، والمراد بالطاعة بحسب

سياق الآيات الطاعة في الاستجابة إلى قتال أعداء الدين، فقد وعد الله المطيعين بإدخالهم جنات موصوفة بكثرة النعيم.

قوله (ومن يتول يعذبه عذابا أليما) جملة الشرط مضمونها الترهيب لمن يتخلف عن القتال، والوعيد بالعذاب الشديد الألم.

قوله تعالى ﴿ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا



قوله (لقد رضي الله عن المؤمنين) قسم وتحقيق لأهمية الإخبار، ورضى الله مجاز في ثوابه وقبوله لأعمال المؤمنين في تجديد مبايعتهم لنبيهم في يوم الحديبية على القتال حتى النصر، ولذا سميت تلك البيعة ببيعة الرضوان، لرضى الله عنها، وتعريف المؤمنين للعهد، أي: المؤمنون الخارجون في سفرة الحديبية.

قوله (إذ يبايعونك تحت الشجرة) تقييد ظرفي لرضى البيعة ومكانها، والخطاب للنبي ﷺ، والشجرة شجرة السمرة.

قوله (فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) الفاء الأولى للتفريع، والثانية للتعقيب، والإبهام في (ما) أريد به ما انعقدت عليه نفوسهم من صدق النوايا وكراهة القتال، على عادة الأسلوب العربي في إطلاق القلوب على النفوس.

وإنزال السكينة كناية عن تقوية قلوب المؤمنين وطمأننتها ببرد اليقين،
(على) حرف استعلاء في التمكن المجازي.

قوله (وأثابهم فتحا قريبا) الإثابة إعطاء الثواب، والفتح القريب كناية عن
فتح خبير، لأن فيه إعطاء لخير كثير عمهم وحدهم من دون أن يشاركونهم
فيه أحد.

قوله تعالى ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٩﴾

قوله (ومغانم كثيرة يأخذونها) المغانم جمع مغنم وهو ما يؤخذ من الأعداء
في الحرب، ووصفها بالكثرة لأن خبير اليهود كانت مشهورة بكثرة
الأموال والعقار.

قوله (وكان الله عزيزا حكيما) أي: وشأن الله تعالى العزة والغلبة،
والحكمة، ومن عزته نصره للمؤمنين، ومن حكمته أمره بالصلح وقضائه
لأهل الحديبية بالغنيمة، ولأهل خبير بالهزيمة.

قوله تعالى ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ
وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ٢٠﴾

قوله (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) أي: مطلق الوعد لأخذ المغانم في مستقبل الزمان، مع النبي ﷺ، ومن بعده.

وعدم تنوين (مغانم) لأنه ممنوع من الصرف، وفعل الأخذ بمعنى الملك.

قوله (فعجل لكم هذه) الفاء للتفريع، والتعجيل التسريع، غير أنه يستعمل فيما يستحب، واللام في (لكم) بمعنى: لأجلكم، واسم الإشارة للقريب أريد به غنيمة خيبر.

قوله (وكف أيدي الناس عنكم) أي: ومنع إغارة المتحالفين مع يهود خيبر كقبائل أسد وغطفان على المدينة بأن ألقى الرعب في قلوبهم، فانصرفوا عنها.

قوله (ولتكون آية للمؤمنين) أي: ولتكون هذه المغانم المعجلة لكم علامة على صدق نبوتك، فيزداد المؤمنون بك يقينا، لأنها إخبار غيبي وقع بعد منصرف المسلمين من الحديبية حزينين سنة ست للهجرة، وتحقق بعد سنة يوم فتح خيبر.

قوله (ويهديكم صراطا مستقيما) أي: ويزيدكم ثباتا وتصديقا بالنبي ﷺ، لأنها الصراط الموصل إلى النجاة.

وفي فتح خيبر، لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ثم خرج منها غاديا إلى خيبر، ذكر ابن إسحاق بإسناده إلى أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن جده قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر

حتى إذا كنا قريبا منها وأشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ: قفوا، فوقف
الناس، فقال اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع
وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، إنا نسألك خير هذه القرية وخير
أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها،
أقدموا بسم الله، وعن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى
خير، فسرنا ليلا، فقال رجل من الأكوع: ألا تسمعن من هنيهاتك؟ وكان
عامر رجلا شاعرا، فجعل يقول:

اللهمّ لولا أنت ما حجيناً ولا تصدقنا، ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اقتنينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وأنزلن سكينه علينا إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصباح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ قالوا: عامر: فقال: يرحمه الله، قال
عمر وهو على جمل له وجيب: يا رسول الله لولا أمتعتنا به، وذلك أن
رسول الله ﷺ ما استغفر لرجل قط يخصه إلا استشهد، قالوا: فلما جد
الحرب وتصاف القوم خرج يهودي، وهو يقول:

قد علمت خير أني مرحبٌ شاكي السلاح بطل مجربٌ

إذا الحروب أقبلت تلهبُ

فبرز إليه عامر، وهو يقول:

قد علمت خير أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين، فوق سيف اليهودي في ترس عامر، وكان سيف عامر فيه قصر، فتناول به ساق اليهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه، قال سلمة: فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقلت: قالوا: إن عامرا بطل عمله؟ فقال: من قال ذلك؟ قلت: نفر من أصحابك، فقال: كذب أولئك، بل أوتي من الأجر مرتين. قال: فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة، ثم إن الله فتحها علينا وذلك أن النبي ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يُجَبِّئُهُ أصحابه ويُجَبِّئُهُمْ، وكان رسول الله ﷺ أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فقال حين أفاق من وجعه: ما فعل الناس بخيبر؟ فأخبر فقال: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرارا غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه. وروى البخاري ومسلم عن قتبية، عن سعيد قال: حدثنا يعقوب عن عبد الرحمن الإسكندراني، عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون بجملتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي

طالب؟ فقالوا: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتني به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ، كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام؟ وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم، قال سلمة: فبرز مرحب وهو يقول: قد علمت خير أني مرحب، الأبيات، فبرز له علي عليه السلام وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كرية المنطرة

أوفيههم بالصاع كيل السندرة

فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله، وكان الفتح على يده. انتهى.

أقول: ومثله أورده مسلم في الصحيح.

وفي المجمع: وروى أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي عليه السلام حين بعثه رسول الله ﷺ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده، فتناول علي باب الحصن فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر مع سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما استطعنا أن نقلبه. انتهى.

ومن أخبار خبير في المجمع وغيره: وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود، أحد بني حارثة، فلما نزل أهل خبير على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأمر لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، وصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت أموال خبير فينا بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله، لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، ولما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، وهي ابنة أخي مرحب، شاة مصلية وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقبل لها: الذراع، فأكثر فيهما السم، وسمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع، فأخذها فلاك منها مضغة وانتهش منها، ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظما فانتهش منه، فقال رسول الله ﷺ ارفعوا أيديكم، فإن كتف هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة، ثم دعاها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان نبيا فسيخبر، وإن كان ملكا استرحت منه، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل، قال: ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله ﷺ تَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوْفِي فِيهِ فَقَالَ ﷺ: يَا أُمُّ بَشْرٍ مَا زَالَتْ أَكَلَةُ خَيْبَرَ الَّتِي أَكَلْتَ بِخَيْبَرٍ مَعَ ابْنِكَ تَعَاوَدَنِي، فَهَذَا أَوَانُ قَطَعْتَ أَبْهَرِي، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ شَهِيدًا مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّبُوءَةِ. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (وأخرى لم تقدروا عليها) العطف بمعنى: ووعدكم الله مغانم أخرى من فتح آخر، وجملة (لم تقدروا عليها) محلها الصفة، أريد به مغانم هوازن، لأنها كانت صعبة المنال.

قوله (قد أحاط الله بها) جملة تعليل، أي: قد حفظها الله لكم، ومنع منها غيركم، لأن فعل الإحاطة استعارة للقدرة كأنهم وضعوا في دائرة لا يفلتون منها.

والهاء في (بها) راجعة إلى قرية مكة، على سبيل المجاز والمراد بها أهلها الساكنون فيها.

قوله (وكان الله على كل شيء قديرا) أي: شأنه تعالى كمال القدرة على كل شيء ومنها فتح القرى لأجلكم.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار) إخبار عما لم يكن فيما لو كان، أنبأ الله فيه المؤمنين عن ضعف قتال المشركين لهم، وانهزام المشركين أمامهم في حال وقوع الحرب، وتولية الأدبار كناية عن الهزيمة.

قوله (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) تأكيد بنفي من ينتصر للمشركين من الأعراب المتحالفة معهم.

قوله تعالى ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾

قوله (سنة الله التي قد خلت من قبل) السنة الطريقة الجارية، ونصب اللفظ لأنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: سن الله سنة، وجملة الموصول محلها الصفة للسنة، أي: سنة الله طريقة جارية قديمة قضت بنصرته تعالى لأوليائه وإظهارهم على أعدائهم، إذا صدقوا في نياتهم وأخلصوا إيمانهم لله.

قوله (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وهذه السنة في نصره أنبيائه ثابتة لا تتغير أبدا، والكلام في معنى قوله تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) [المجادلة: ٢١].

قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾

قوله (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) أي: وهو الله الذي منع القتال بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين وذلك بصلح الحديبية، وكف الأيدي كناية عن منع وقوع الحرب.

قوله (ببطن مكة) أي: في الحديبية، لأنها كانت قريبة من حرم مكة.

قوله (من بعد أن أظفركم عليهم) أي: من بعد أن دخل المسلمون عقر دار الشرك، ونصرهم عليهم بالصلح الذي سماه فتحا بعد ذلك.

قوله (وكان الله بما تعملون بصيرا) إخبار مضمونه طمأنة المؤمنين وإشعارهم بأنهم في حفظ الله ورعايته وتحت بصره.

قوله تعالى ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

قوله (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله) الكلام إخبار عن مساوئ عمل المشركين، وهو كفرهم وصد المسلمين عن المسجد الحرام ومنع أن يصل الهدي كي ينحر في محله في مكة، لأنهم جعلوها عمرة، ولو كانوا في حج لنحر الهدي في منى، والهدي ما يهدى من الغنم للنحر، ونصب اللفظ على العطف، أي وصدوا الهدي.

والمعكوف المحبوس، ونصبه على الحال المقيدة للهدي، وجملة (أن يبلغ محله) بدل اشتمال من لفظ (الهدي)، أو منصوب بنوع الخافض بتقدير: من أن يبلغ مكانه في النحر بمكة.

قوله (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم) الأداة (لولا) أداة امتناع لامتناع، وجواب (لولا) محذوف دل عليه السياق، وجملة (أن تطوهم) بدل اشتمال من مدخول (لولا)، والمعنى: ولولا أن تدوسوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات وهم المستضعفون في مكة بغير علم فينالكم من قتلهم مكروه لما كف الله أيديكم عن قتال المشركين.

والوطء أصله الدوس بالأرجل، ويراد به الإهلاك، والفاء في (فتصيبكم) للتفريع، و(من) في (منهم) بمعنى: بسببهم، ولفظ المعرفة معناه المنقصة والمكروه، أي: القتل بالخطأ، فيكون ذلك سبة على المسلمين.

قوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) لام التعليل متعلقة بالمحذوف المقدر: ولكن كف الله أيديكم ليدخل الله في رحمته من يشاء، من المؤمنين والمؤمنات وذلك بسلامتهم من القتل، أو كما قيل: ليدخل في رحمته من أسلم من الكفار بعد الصلح.

قوله (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) الكلام تعليل لما تقدم، والتزيل التميز والتفرق، وضمير الجمع في الفعل راجع إلى كل من المؤمنين والكفار في مكة، والمعنى: لو امتاز فريق المؤمنين من الكافرين

في مكة ولم يختلطوا ببعض لعذب الله الكفار عذابا موصوفا بالألم الشديد، ولكن الذي كف العذاب عنهم اختلاط المؤمنين بالمشركين.

قوله تعالى ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ ﴿٢٦﴾

قوله (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) الظرفية (إذ) متعلقة بالفعل (وصدوكم)، أو بقوله (لعذبنا)، وفعل الجعل بمعنى الإلقاء، والتصريح بلفظ الكافرين لبيان علة الحكم، والحمية كما قال في المجمع: الأنفة والإنكار، يقال: فلان ذو حمية منكرة إذا كان ذا غضب وأنفة. انتهى.

وجملة (حمية الجاهلية) مفسرة مبينة، وذلك أن كفار مكة كبر في نفوسهم أن يدخل النبي ﷺ وأصحابه مكة معتمرا بعدما جرى من قتل فيهم، فتحدث العرب أنهم دخلوا عليهم على رغم أنفهم.

قوله (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) الفاء للتفريع، والجملة مقابلة لما تقدمها، ويراد بها تثبيت قلوب المؤمنين من استفزاز الجهلاء لها.

قوله (وألزمهم كلمة التقوى) أي: وجعل الله كلمة التوحيد ملازمة لأنفسهم غير منفكة عنهم.

قوله (وكانوا أحق بها وأهلها) أي: وكان المؤمنون أجدر بكلمة التقوى وأهل لتحملها، لصدق استعدادهم في التضحية لأجلها.

قوله (وكان الله بكل شيء عليما) أي: وشأن الله العلم بكل شيء، وفي مضمون الخبر الوعد للمؤمنين بالخير.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۞﴾

قوله (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) القسم والتحقيق في (لقد) لأهمية الكلام، وتصديق الله الرؤيا بمعنى تحقيقها، والفعل (صدق) هنا تعدى إلى مفعولين (رسوله والرؤيا)، ويتعدى بالتضعيف إلى مفعول واحد فيقال: صدقته في حديثه، ونظيره الفعل (كذب).

والرؤيا المنام الذي يراه النائم، وتعريفها للعهد، أي المنام الذي أراه الله لنبيه وهو على ما ذكر: أن الله تعالى أرى نبيه ﷺ في المنام في المدينة، قبل أن يخرج إلى الحديبية، أن المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون: ما حلقنا ولا قصرنا، ولا دخلنا المسجد الحرام! فانزل الله هذه الآية.

وشبه الجملة (بالحق) محلها الحال، والباء للملابسة، ولفظ الحق بمعنى الصدق والثبات.

قوله (لتدخلن المسجد الحرام) الجملة جواب القسم، وفيه إعجاز غيبي في الوعد بدخول البيت الحرام في مستقبل قريب الوقوع بدلالة فعل مضارع الدخول، ولم يقيده بوقت محدد.

قوله (إن شاء الله آمنين) القيد الشرطي في تعليق العدة بالمشيئة لتعليم الأمة، ونصب (آمنين) على الحال من ضمير (لتدخلن)، والأمن الاطمئنان والسلامة، وفيه بشارة الدخول من دون قتال.

قوله (محلقين رؤوسكم ومقصرين) النصب على الحال، أي: محلقا بعضكم رؤوسهم، ومقصرا آخرون.

قوله (لا تخافون) جملة النفي محلها الحال المؤكدة من ضمير الجمع فيما تقدم، أي: غير خائفين من المشركين.

قوله (فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي: فعلم الله ما جهلتم من حكمة الفتح القريب وهو ما استتبع الحديبية من فتح عظيم للمسلمين عاد عليهم بالنفع قبل دخول المسجد الحرام، جعل دخولهم يسيرا من دون قتال.

وشبه الجملة (من دون ذلك) أي: أقرب من دخولكم المسجد الحرام.

قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ
الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾

قوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) ضمير الفصل للقصر، وإضافة الرسول إلى هاء الجلالة لتعظيم شأن النبي ﷺ ورسالته، وجملة (بالهدى) محلها الحال، أي: متلبسا بالهدى، وهو القرآن، ودين الحق دين التوحيد.

قوله (ليظهره على الدين كله) جملة تعليل للإرسال، والإظهار العلو، وتعريف الدين للجنس، أي: تكون شريعته الناسخة للشرائع السابقة كلها، وكتابه المهيم على الكتب قبله.

قوله (وكفى بالله شهيدا) أي: إن وعده في صدق النبوة أو ظهور الدين أو تحقيق الرؤيا أمر كائن لا محالة، والكفاية الغنى، والشهيد الشاهد، ونصبه على التمييز.

قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ
أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ

فَازَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

قوله (محمد رسول الله) ظاهر الجملة مبتدأ وخبر، ويحتمل أن يكون (محمد) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: ذلك المرسل بدين الحق محمد، و(رسول الله) بدل، أو نعت.

قوله (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) جملة ثانية مبتدأ وخبر، والأشداء الأقوياء يظهرون الصلابة لمن خالفهم، والرحمة واللين لمن وافقهم، وبين الجملتين تقابل، والكلام نظير قوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين).

قوله (تراهم ركعا سجدا) الخطاب لكل مخاطب، والركع جمع راع، والسجد جمع ساجد والنصب على الحال المقيدة، أي: تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمداومتهم على الصلوات، ويجوز أن تكون الجملة خبرا آخر.

قوله (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الجملة موقعها الحال، أو خبر ثان، والابتغاء الطلب والسؤال، والفضل زيادة الخير، وتنكيره للتعظيم، والرضوان الرضى، وصلته محذوفة للإيجاز تقديرها: منه.

قوله (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) يراد بالسيماء العلامة الظاهرة، وضمير جمع الغائبين عائد على (الذين معه)، وهم المؤمنون، وأريد بالوجه الجباه، لأنها بها يكون السجود.

وموقع شبه الجملة (من أثر السجود) الحال من الضمير المستكن في الخبر، أو بدل من لفظ (سيماهم)، والمعنى تذللهم خشوعاً لله، أو بمعنى تأثر جباههم بسبب كثرة السجود عليها، وهي ثفنة تظهر على الجبهة بسبب تيبس الجلد، مأخوذة من ثفنت البعير، وسمى الإمام زين العابدين عليه السلام بذئ الثفنت لطول سجوده، ومنه قول دعلج بن علي:

ديار عليّ والحسين وجعفر حمزة والسجاد ذي الثفنت

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم. انتهى.

وفيه: ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آبائنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما، أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت،

وأنزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه، ومتبونا أوطانه.
انتهى.

قوله (ذلك مثلهم في التوراة) أي: ذلك المذكور من نعوتهم الجليلة، والإشارة بالبعيد لعلو مقامهم مع قرب العهد بالمشار إليه، ولفظ المثل بمعنى الخبر والصفة، وشبه الجملة (في التوراة) محلها الحال، والتوراة كتاب موسى عليه السلام.

قوله (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه) العطف وتكرار لفظ المثل لتأكيد غرابته، والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام، وتشبيههم بالزرع الذي أخرج شطئه أي: الذي أخرج فراخه مما أنبت حوله من زرع، والمراد به الكثرة بعد الوحدة.

قوله (فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) الفاء للترتيب، وأزره: أي: الشطء قوى الزرع، والاستغلاظ مبالغة في القوة والتمتين، والاستواء على سوقه، أي: القيام معتدلا منتصبا على ساقه، الزرع وشطؤه، ولفظ السوق جمع ساق.

والصورة حسية بأسلوب التشبيه التمثيلي، الذي يصلح كل جزء منه أن يكون صورة، فقد كثر المسلمون بعد قلة، واشتدوا بعد ضعف.

قوله (يعجب الزراع) فعل العجب يقال لما هو نادر الوقوع في نفس الغير، ومضارع الفعل للاستمرار والتجدد، والزراع جمع زارع.

قوله (ليغيظ بهم الكفار) جملة تعليل لصورة تشبيه المؤمنين بالزرع الكثير القوي، وهو إغاضة الكفار وإغضابهم، لأنهم ما كانوا يتوقعون كثرة المؤمنين وقوتهم.

قوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) يبدو من سياق النظم أنه تعالى لم يعد مطلق المؤمنين بالمغفرة والأجر العظيم، فقد قيده بالتبعيض في (منهم) أي: من بعض الذين مع النبي ﷺ، مشترطا الثبات على الإيمان والبقاء على العمل الصالح، والكلام نظير ما شرط في قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما).

والآية من الفن البديعي اللافت، لأن في الثناء على النبي ﷺ والمؤمنين معه حسن ختام للسورة.

وذكر أن الرسول ﷺ خرج في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبية، وهي سنة سبع من الهجرة، في ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام، فدخل مكة مع أصحابه معتمرين، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم رجعوا إلى المدينة. والله أعلم.

تفسير سورة الشورى

- ﴿ حَمَّ ١ عَسَقَ ٢ ﴾ ١
- ﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ ﴾ ... ٢
- ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٤ ﴾ ٣-٢
- ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ ... ٥ ﴾ ٤-٣
- ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ ... ٦ ﴾ ٤
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ... ٧ ﴾ ٦-٥
- ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ ... ٨ ﴾ ٦
- ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ... ٩ ﴾ ٧
- ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ ... ١٠ ﴾ ٨
- ﴿ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ... ١١ ﴾ ٩-١٠
- ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ... ١٢ ﴾ ١٠
- ﴿ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي ... ١٣ ﴾ ١٣-١٠
- ﴿ وَمَا تَقَرَّفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ ... ١٤ ﴾ ١٥-١٣
- ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ ... ١٥ ﴾ ١٧-١٥

- ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ ... ﴾ (١٦) ١٨-١٧
- ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ ... ﴾ (١٧) ١٩-١٨
- ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾ (١٨) ٢١-٢٠
- ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (١٩) ٢٢-٢١
- ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ... ﴾ (٢٠) ٢٣-٢٢
- ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ ... ﴾ (٢١) ٢٤-٢٣
- ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ ... ﴾ (٢٢) ٢٥-٢٤
- ﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ﴾ (٢٣) ٢٩-٢٦
- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ ... ﴾ (٢٤) ٣٠-٢٩
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ ... ﴾ (٢٥) ٣١-٣٠
- ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ (٢٦) ٣٢-٣١
- ﴿ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ (٢٧) ٣٣-٣٢
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ... ﴾ (٢٨) ٣٤-٣٣
- ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ... ﴾ (٢٩) ٣٤

- وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ٣٥
- ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ... ﴾ ﴿٣١﴾ ٣٦-٣٥
- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ﴿٣٢﴾ ٣٦
- ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رَوَاكِدٌ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ... ﴾ ﴿٣٣﴾ ٣٧-٣٦
- أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ٣٧
- ﴿ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَخِصٍ ﴾ ﴿٣٥﴾ ٣٨-٣٧
- ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ... ﴾ ﴿٣٦﴾ ٣٩-٣٨
- ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا ... ﴾ ﴿٣٧﴾ ... ٤٠-٣٩
- ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ... ﴾ ﴿٣٨﴾ ٤١-٤٠
- ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ ٤١
- ﴿ وَجَزَّاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ... ﴾ ﴿٤٠﴾ ٤٢-٤١
- ﴿ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ﴿٤١﴾ ٤٣-٤٢
- ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ﴿٤٢﴾ ٤٣
- ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٤٣﴾ ٤٤

- ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى ... ﴾ ﴿٤٤﴾ ٤٥-٤٤
- ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلِّ ... ﴾ ﴿٤٥﴾ ٤٦-٤٥
- ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾ ﴿٤٦﴾ ٤٧
- ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، ... ﴾ ﴿٤٧﴾ ... ٤٨-٤٧
- ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ ... ﴾ ﴿٤٨﴾ ٤٩-٤٨
- ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ ... ﴾ ﴿٤٩﴾ ٥٠
- ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإُنثَىٰ ۚ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ... ﴾ ﴿٥٠﴾ ٥١
- ﴿ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ ... ﴾ ﴿٥١﴾ ... ٥٣-٥١
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ... ﴾ ﴿٥٢﴾ ... ٥٧-٥٣
- ﴿ صَرِطَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ﴿٥٣﴾ ٥٨-٥٧

تفسير سورة الزخرف

- ﴿ حم ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴾ ٥٩
- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣ ﴾ ٦٠-٥٩
- ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ٤ ﴾ ٦٠

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ ... ﴾ ٦١

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ... ﴾ ٦٢-٦١

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ... ﴾ ٦٢

﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ... ﴾ ٦٣-٦٢

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ... ﴾ ٦٣

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا ... ﴾ ٦٤

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً ... ﴾ ٦٥-٦٤

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ ... ﴾ ٦٦-٦٥

﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ... ﴾ ٦٨-٦٦

﴿ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ... ﴾ ٦٩-٦٨

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ... ﴾ ٦٩

﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ... ﴾ ٧٠

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ... ﴾ ٧١-٧٠

﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ... ﴾ ٧٢

- ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ ... ﴾ ١٩ ٧٣-٧٢
- ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ ... ﴾ ٢٠ ٧٤-٧٣
- ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ ٢١ ٧٥-٧٤
- ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا ... ﴾ ٢٢ ٧٦-٧٥
- ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا ... ﴾ ٢٣ ٧٧-٧٦
- ﴿ * قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ... ﴾ ٢٤ ٧٨-٧٧
- ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ٢٥ ٧٨
- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ٢٦ ٧٩-٧٨
- ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ ٢٧ ٨٠-٧٩
- ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ٢٨ ٨١-٨٠
- ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ ٢٩ ٨٢-٨١
- ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ٣٠ ٨٢
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ٣١ ٨٤-٨٣
- ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ ... ﴾ ٣٢ ٨٥-٨٤

﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن ... ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ ٨٦-٨٥

﴿ وَلِيُبَيِّنَ لَهُمَ الْبُتُونَ وَأَسْرَارًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴾ ﴿ ٣٤ ﴾ ٨٧-٨٦

﴿ وَرُخْرَفًا وَإِن كُلاً ذَلِك لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ... ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ ٨٧

﴿ وَمَن يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا ... ﴾ ﴿ ٣٦ ﴾ ٨٩-٨٧

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ ٨٩

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ... ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾ ... ٩٠-٨٩

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ ... ﴾ ﴿ ٣٩ ﴾ ٩١-٩٠

﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْأَصَمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَن كَانَ ... ﴾ ﴿ ٤٠ ﴾ ٩٢-٩١

﴿ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ ٩٣-٩٢

﴿ أَوْ نُزِيلَنَّ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ ﴿ ٤٢ ﴾ ٩٣

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿ ٤٣ ﴾ ٩٤-٩٣

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ ٩٥-٩٤

﴿ وَسَقَل مَن أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ... ﴾ ﴿ ٤٥ ﴾ ٩٥

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ ... ﴾ ﴿ ٤٦ ﴾ ٩٦

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ٩٧

﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ... ﴿٤٨﴾ ﴾ ٩٨-٩٧

﴿ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِهْدَ عِنْدَكَ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ ٩٨

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ ٩٩

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومُ آلِيسَ لِي مُلْكٌ ... ﴿٥١﴾ ﴾ ١٠٠-٩٩

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ ١٠١-١٠٠

﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ ١٠٢-١٠١

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ ١٠٢

﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ١٠٣-١٠٢

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ١٠٤-١٠٣

﴿ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ ١٠٤

﴿ وَقَالُوا ءِالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا ... ﴿٥٨﴾ ﴾ ١٠٦-١٠٥

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ ... ﴾ ١٠٦

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ١٠٧-١٠٦

- ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلُّكُمْ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا ... ﴾ (٦١) ١٠٧
- ﴿ وَلَا يَصُدَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٦٢) ١٠٨-١٠٧
- ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ ... ﴾ (٦٣) ١٠٩-١٠٨
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٦٤) ١٠٩
- ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ... ﴾ (٦٥) ١١٠-١٠٩
- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ... ﴾ (٦٦) ١١٠
- ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ... ﴾ (٦٧) ١١١-١١٠
- ﴿ يَعْبادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (٦٨) ١١١
- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (٦٩) ١١٢-١١١
- ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ (٧٠) ١١٢
- ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ... ﴾ (٧١) ١١٤-١١٢
- ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٢) ١١٤
- ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٧٣) ١١٤
- ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٧٤) ١١٥-١١٤

﴿ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (٧٥) ١١٥

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧٦) ١١٥

﴿ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴾ (٧٧) ١١٦-١١٥

﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ (٧٨) ١١٧-١١٦

﴿ أَمْ أَتَرْمُونَ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ (٧٩) ١١٧

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا ... ﴾ (٨٠) ١١٨

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾ (٨١) ١١٩-١١٨

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٨٢) ١١٩

﴿ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي ... ﴾ (٨٣) ... ١٢٠-١١٩

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ... ﴾ (٨٤) ... ١٢١-١٢٠

﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ﴾ (٨٥) ١٢١

﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ ... ﴾ (٨٦) ١٢٢

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٨٧) ... ١٢٣-١٢٢

﴿ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨) ١٢٣

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ١٢٣-١٢٤

تفسير سورة الدخان

﴿ حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴾ ١٢٥

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ ١٢٦

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ ﴾ ١٢٦-١٢٧

﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ ١٢٧

﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦ ﴾ ١٢٧-١٢٨

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ ١٢٨

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ١٢٩

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ ١٢٩

﴿ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ١٢٩-١٣٠

﴿ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١٣٠-١٣١

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ ١٣١

﴿ اُنْزِلَ لَهُمُ الذِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ ١٣١-١٣٢

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴾ ١٣٢

﴿ اِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا اِنْكُمْ عَائِدُونَ ﴾ ١٣٢-١٣٣

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى اِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ ١٣٣

﴿ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ ... ﴾ ١٣٣-١٣٤

﴿ اَنْ اَدُّوْا اِلَىٰ عِبَادَةِ اللّٰهِ اِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ اَمِيْنٌ ﴾ ١٣٤-١٣٥

﴿ وَاَنْ لَا تَعْلُوْا عَلٰى اللّٰهِ اِنِّىْٓ اَتِيْكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ﴾ ١٣٥

﴿ وَاِنِّىْٓ اَعٰذُ بِرَبِّىْ وَرَبِّكُمْ اَنْ تَرْجُمُوْٓنَ ﴾ ١٣٥

﴿ وَاِنْ لَّمْ تُوْمِنُوْٓا لِىْ فَاَعٰزِلُوْٓنِ ﴾ ١٣٦

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥ اَنْ هٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُوْنَ ﴾ ١٣٦

﴿ فَاَسْرِ بِعِبَادِىْ لَيْلًا اِنْكُمْ مُّتَّبِعُوْنَ ﴾ ١٣٦-١٣٧

﴿ وَاَتْرٰكُ الْبَحْرَ رَهْوًا اِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُوْنَ ﴾ ١٣٧

﴿ كَمْ تَرَكُوْٓا مِنْ جَنٰتٍ وَعُيُوْنٍ ﴾ ١٣٧-١٣٨

﴿ وَزُرُوْعٍ وَمَقَامٍ كَرِيْمٍ ﴾ ١٣٨

﴿ وَنِعْمَ كَانُوا فِيهَا فَلَکَهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ١٣٩-١٣٨

﴿ کَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ١٣٩

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ١٣٩-١٤١

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ ﴾ ١٤١

﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ ١٤١-١٤٢

﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ ١٤٢

﴿ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ ١٤٢-١٤٣

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ١٤٣

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ١٤٣

﴿ فَالْتَوُوا بِأَفْئَاتِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ١٤٣-١٤٤

﴿ أَهْمَ حَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ ... ﴿٣٧﴾ ﴾ ١٤٤-١٤٥

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ ١٤٥

﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ ١٤٥-١٤٦

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ١٤٦

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٤١ ١٤٦-١٤٧

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٤٢ ١٤٧

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ ٤٣ ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ ٤٤ ١٤٨

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ٤٥ ﴿كَغَلَى الْحَمِيمِ﴾ ٤٦ ١٤٩

﴿خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ٤٧ ١٤٩

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ ٤٨ ١٤٩-١٥٠

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ٤٩ ١٥٠

﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ ٥٠ ١٥٠

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ٥١ ١٥٠-١٥١

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٥٢ ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ ...﴾ ٥٣ ١٥١

﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ٥٤ ١٥٢

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ ٥٥ ١٥٢-١٥٣

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ ...﴾ ٥٦ ١٥٣-١٥٤

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٥٧ ١٥٤

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ ١٥٥-١٥٤

﴿ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ ١٥٥

تفسير سورة الجاثية

﴿ حَمْدٌ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ﴿٦٠﴾ ١٥٦-١٥٧

﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٦١﴾ ١٥٧

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ ١٥٧-١٥٨

﴿ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ ... ﴾ ﴿٦٣﴾ ١٥٨-١٥٩

﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ ... ﴾ ﴿٦٤﴾ ١٥٩-١٦٠

﴿ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ ﴿٦٥﴾ ١٦٠

﴿ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ ... ﴾ ﴿٦٦﴾ ١٦١

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ ... ﴾ ﴿٦٧﴾ ١٦١-١٦٢

﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا ... ﴾ ﴿٦٨﴾ ١٦٢-١٦٣

﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن ... ﴾ ﴿٦٩﴾ ١٦٣

- ﴿ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ ... ﴾ ١٢ ﴿ ١٦٥-١٦٤
- ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ... ﴾ ١٣ ﴿ ١٦٦-١٦٥
- ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ... ﴾ ١٤ ﴿ ١١٦٧-١٦٦
- ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَالِيهَا ... ﴾ ١٥ ﴿ ١٦٧
- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ... ﴾ ١٦ ﴿ ١٦٨
- ﴿ وَءَاتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَفَوْا إِلَّا مِنْ ... ﴾ ١٧ ﴿ ١٦٩
- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ... ﴾ ١٨ ﴿ ١٧٠-١٦٩
- ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ ... ﴾ ١٩ ﴿ ١٧١-١٧٠
- ﴿ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ٢٠ ﴿ ١٧١
- ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن ... ﴾ ٢١ ﴿ ١٧٢-١٧١
- ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ ... ﴾ ٢٢ ﴿ ١٧٣-١٧٢
- ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ ... ﴾ ٢٣ ﴿ ١٧٤-١٧٣
- ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا ... ﴾ ٢٤ ﴿ ١٧٥-١٧٤
- ﴿ وَإِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَن ... ﴾ ٢٥ ﴿ ١٧٦-١٧٥

- ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ... ﴾ (٣٦) ١٧٧-١٧٦
- ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ ﴾ (٣٧) ١٧٧
- ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ نُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ ﴾ (٣٨) ١٧٨
- ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ ﴾ (٣٩) ١٧٩-١٧٨
- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ ﴾ (٤٠) ١٨٠
- ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرُوا ... ﴾ (٤١) ... ١٨١-١٨٠
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (٤٢) ١٨١
- ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا ﴾ (٤٣) ١٨٢-١٨١
- ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَكُمُ النَّارُ ... ﴾ (٤٤) ١٨٢
- ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَعَزَّوْا الْحَيَاةَ ﴾ (٤٥) ١٨٣
- ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... ﴾ (٤٦) ... ١٨٣
- ﴿ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤٧) ١٨٤

تفسير سورة الأحقاف

- ﴿ حَمَّ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) ﴾ (٢) ١٨٥

- ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴾ (٣) ١٨٥-١٨٦
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا ... ﴾ (٤) ١٨٦-١٨٨
- ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا ... ﴾ (٥) ١٨٨-١٨٩
- ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (٦) ١٨٩-١٩٠
- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا ... ﴾ (٧) ١٩٠
- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ ... ﴾ (٨) ١٩١-١٩٢
- ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يُفْعَلُ بِي ... ﴾ (٩) ١٩٢-١٩٣
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ ... ﴾ (١٠) ١٩٣-١٩٤
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا ... ﴾ (١١) ١٩٤-١٩٥
- ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ... ﴾ (١٢) ١٩٥-١٩٧
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ ... ﴾ (١٣) ١٩٧-١٩٨
- ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤) ١٩٨
- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ... ﴾ (١٥) ١٩٨-٢٠٢
- ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ... ﴾ (١٦) ٢٠٢-٢٠٣

﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفِ لَكُمْ أَنْتَعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ ... ﴾ (١٧) ٢٠٦-٢٠٣

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ ... ﴾ (١٨) ٢٠٦

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٩) ٢٠٦-٢٠٧

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي ... ﴾ (٢٠) ٢٠٧-٢١٠

﴿ * وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ ... ﴾ (٢١) ٢١٠-٢١١

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ... ﴾ (٢٢) ٢١١-٢١٢

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَلِيعْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ... ﴾ (٢٣) ٢١٢-٢١٣

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ ... ﴾ (٢٤) ... ٢١٣-٢١٥

﴿ نَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى ... ﴾ (٢٥) ٢١٥-٢١٦

﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ ... ﴾ (٢٦) ٢١٦-٢١٨

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ ... ﴾ (٢٧) ٢١٨

﴿ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَٰهَةً ... ﴾ (٢٨) ٢١٩

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ... ﴾ (٢٩) ... ٢٢٠-٢٢١

﴿ قَالُوا يَقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ ... ﴾ (٣٠) ٢٢١

﴿ يَتَقَوَّمْنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ۖ يَعْفِرَ لَكُمْ ... ﴾ ﴿٣١﴾ ... ٢٢٣-٢٢١

﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ﴿٣٢﴾ ٢٢٤-٢٢٣

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... ﴾ ﴿٣٣﴾ ٢٢٥-٢٢٤

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ... ﴾ ﴿٣٤﴾ ٢٢٦-٢٢٥

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا ... ﴾ ﴿٣٥﴾ ٢٢٨-٢٢٦

تفسير سورة محمد

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ٢٣٠-٢٢٩

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامِنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى ... ﴾ ﴿٣٦﴾ ٢٣١-٢٣٠

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾ ﴿٣٧﴾ ٢٣٢-٢٣١

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ ... ﴾ ﴿٣٨﴾ ٢٣٥-٢٣٢

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ ﴿٣٩﴾ ٢٣٦-٢٣٥

﴿ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾ ﴿٤٠﴾ ٢٣٦

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتُورُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ﴿٤١﴾ ٢٣٧-٢٣٦

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٤٢﴾ ٢٣٧

- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ٩ ٢٣٨
- ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ... ﴾ ١٠ ٢٣٩-٢٣٨
- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ ... ﴾ ١١ ٢٤٠-٢٣٩
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ... ﴾ ١٢ ٢٤١-٢٤٠
- ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ... ﴾ ١٣ ٢٤٢-٢٤١
- ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ... ﴾ ١٤ ٢٤٣-٢٤٢
- ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرٍ ... ﴾ ١٥ ٢٤٦-٢٤٣
- ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ ... ﴾ ١٦ ٢٤٨-٢٤٦
- ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ ١٧ ٢٤٨
- ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ ... ﴾ ١٨ ٢٤٩-٢٤٨
- ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ... ﴾ ١٩ ٢٥١-٢٥٠
- ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ ... ﴾ ٢٠ ٢٥٢-٢٥١
- ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا ... ﴾ ٢١ ٢٥٣-٢٥٢
- ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ٢٢ ٢٥٤

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ (٢٣) ٢٥٥

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتْرَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) ٢٥٦-٢٥٥

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا ...﴾ (٢٥) ٢٥٧-٢٥٦

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ...﴾ (٢٦) ٢٥٧

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ...﴾ (٢٧) ٢٥٨

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ ...﴾ (٢٨) ٢٥٩-٢٥٨

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن ...﴾ (٢٩) ٢٦٠-٢٥٩

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ ...﴾ (٣٠) ٢٦١-٢٦٠

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكَ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ ...﴾ (٣١) ٢٦٢-٢٦١

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾ (٣٢) ٢٦٣-٢٦٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ...﴾ (٣٣) ٢٦٤-٢٦٣

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ ...﴾ (٣٤) ٢٦٤

﴿فَلَا يَهْنَأُ وَلَا تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ ...﴾ (٣٥) ٢٦٥-٢٦٤

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِن تَوُفُّوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ ...﴾ (٣٦) ٢٦٦

﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَخُجِرَ أَصْغَنَكُمْ ﴾ ٢٦٦-٢٦٧

﴿ هَآأَنُكُمْ هَآؤَآءُ نُدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ ٢٦٧-٢٦٩

تفسير سورة الفتح

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ ٢٧١-٢٧٣

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ ... ﴾ ٢٧٣-٢٧٦

﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴾ ٢٧٦

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا ... ﴾ ٢٧٦-٢٧٧

﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ... ﴾ ٢٧٨

﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ ... ﴾ ٢٧٩-٢٨٠

﴿ وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴾ ٢٨٠

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ٢٨٠-٢٨١

﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ... ﴾ ٢٨١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ ... ﴾ ... ٢٨٢-٢٨٣

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا ... ﴾ ٢٨٣-٢٨٥

- ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى ... ﴾ ﴿١٢﴾ ٢٨٦-٢٨٥
- ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ ﴿١٣﴾ ... ٢٨٧-٢٨٦
- ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ... ﴾ ﴿١٤﴾ ٢٨٧
- ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ ... ﴾ ﴿١٥﴾ ٢٨٩-٢٨٨
- ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى ... ﴾ ﴿١٦﴾ ٢٩٠-٢٨٩
- ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا ... ﴾ ﴿١٧﴾ ٢٩٢-٢٩١
- ﴿ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ... ﴾ ﴿١٨﴾ ٢٩٣-٢٩٢
- ﴿ وَمَغَائِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١٩﴾ ٢٩٣
- ﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ ... ﴾ ﴿٢٠﴾ ٢٩٨-٢٩٣
- ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ ... ﴾ ﴿٢١﴾ ٢٩٩
- ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَرُ ثُمَّ ... ﴾ ﴿٢٢﴾ ٣٠٠-٢٩٩
- ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ ﴿٢٣﴾ ... ٣٠٠
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنٍ ... ﴾ ﴿٢٤﴾ ٣٠١-٣٠٠
- ﴿ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ ... ﴾ ﴿٢٥﴾ ٣٠٣-٣٠١

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةً ... ﴾ (٦٦) ٣٠٤-٣٠٣

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ ... ﴾ (٦٧) ٣٠٥-٣٠٤

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ ... ﴾ (٦٨) ٣٠٦

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ... ﴾ (٦٩) ٣١٠-٣٠٦